دراسات الفكر العربي المعاصر
سلسلة قضايا الثورة العربية

العرب وتحديات المستقبل

دكتور أحمد صدقي الدجاني

إهـــــــداء ٢٠٠٦

المرحوم السيد الأستاذ

الدكتور / أحمد صدقي الدجاني

القاهرة

دراسات الفكر العربي المعاصر
سلسلة قضايا الثورة العربية

العرب وتحديات المستقبل

دكتور أحمد صدقي الدجاني

يطلب من
الشركة المتحدة للتوزيع
مكتبة الأنجلو المصرية

رقم الايداع ٧٦/٢٣٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى جيل عربي جـــديد يتلمس مواقع أقدامه ، ويحمل على كاهله مسؤوليات المرحلة القادمة .

مقدمة

حول « العرب وتحديات المستقبل » وقضايا الثورة العربية تدور الدراسات التى يضمها هذا الكتاب : وطبيعى أن تنشغل أمتنا فى هذه المرحلة من تاريخها برؤية المستقبل وهى تناضل لبناء مستقبلها ، وبإدراك تحدياته وهى تحرص على الاستجابة الصحيحة لهذه التحديات .

يعالج هذا الكتاب بالفكر وبالنظرة المستقبلية قضايا الواقع العربى كما بدت عام ١٩٧٥ إثر حرب رمضان وفى مطلع الربع الأخير من القرن العشرين . ويتناول هذه القضايا على الصعيد القومى وعلى صعيد الثورة الفلسطينية وعلى الصعيد الدولى . وتفصّل هذه المعالجة بعض ما أوجزته فى كتابى « ماذا بعد حرب رمضان » من شرح لهذه القضايا ، كما تتناول أهم الأحداث التى تلت الحرب .

هذه المعالجة هى محاولة غايتها أن يحكم الفكر العلمى المواقف السياسية ، وأن يسهم فكرنا القومى فى تحديد نظراتنا السياسية

فيوجه عملية صنع المستقبل العربى كجزء من مستقبل عالمنا. وقد انطلقنا فى هذه المحاولة من إحساس قوى بمسؤولية الفكر ومسؤولية المفكرين فى توضيح الرؤية وتحديد معالم الطريق لجماهير شعبنا المناضلة، ومن إدراك أهمية الوضوح الفكرى فى دفع حركة الثورة العربية، ومن ثقة بما يمكن لهذا الفكر أن يقدمه من أجل خير الإنسان فى الوطن العربى وفى العالم كافة.

لقد ارتبطت جميع هذه الدراسات بأحداث جرت فى وطننا العربى، وكان كاتبها مشاركا فى هذه الأحداث. فجاءت المعالجة ثمرة تفاعل الفكر مع الواقع . وهذه هى المعالجة التى نؤمن بصلاحيتها فى سبر الأغوار والإحاطة بالأبعاد عند تحديد المواقف .

ولا بد من الإشارة هنا إلى مدى صعوبة الإلتزام بالسير فى هذا الطريق ومحاولة شقة فى وقت ما تزال الكتابة السياسية فيه تعانى فى وطننا من غلبة العاطفية عليها ومن وقوع كل من الكاتب والقارىء تحت تأثير العاطفة، وفى وقت ما تزال الكتابة السياسية فيه تعانى من تأثير السلطة المباشر عليها الأمر الذى جعل الكثير منها أسير المدح والهجاء، فقلت ثقة القارئ بها وزاد تجرؤ السلطة عليها.

إن مكان الفكر من السلطة هو مكان الرأس من الجسم ، ودوره هو أن يؤثر على السلطة ويوجهها الوجهة الصحيحة ، وهو يقف دوماً فى القمة ليستشرف الصورة كاملة ويتغلغل بنظراته الثاقبة فى الأعماق فيوفرّ للسلطة العقل . وفى اللحظة التى يختل فيها موقع رجال الفكر من السلطة يختل سير الجسم كله . وفى اللحظة التى يتخلى رجل الفكر فيها عن دوره يخرج من دائرة « العلماء » الذين حفظ لهم تراثنا منزلة « ورثة الأنبياء » .

لعل من أهم ما يساعد على الالتزام بالسير فى هـــذا الطريق ومحاولة شقه الإيمان بأن الكلمة الطيبة « كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، وكذلك يضرب الله الأمثال » والثقة بالمنهج العلمى الذى نعتمده فى المعالجة وبسلامة اللغة التى نختارها للتعبير .

فأما المنهج فسيتضح للقارىء من خلال الصفحات . ونكتفى بالإشارة هنا إلى أنه يقوم على النظر إلى الأحداث بالنظرة الشاملة التى تحيط بجميع أبعاد الحدث التاريخى . وهو يعتمد على تأصيل هذه الأحداث فكرياً لأن الموقف السياسى يجب أن يقوم على رؤية فكرية . وهو يحرص على ترتيب الأحداث ليحدث التوافق بين

الجزء والكل ، ويأخذ الموقف من قضية جزئية مكانه من الموقف من القضية الكلية . وهو ينطلق فى التحليل من إدراك خريطة القوى الاجتماعية ووعى مسار الحركة التاريخية وفهم طبيعة جدلية الصراع بين القوى المتقدمة فيها والثقة بدور قوى الثورة فى فرض إرادتها من خلال قدرتها على الفعل .

إن هذا المنهج الذى تعتمده الثورة العربية فى المعالجة هو المنهج لا يقف عند مظهر من مظاهر الحياة كالسياسة والاقتصاد أو العلم فيحصر بحثه ضمن حدوده ، بل يعتبر الحضارة هى الوحدة السياسية فى الدراسة وهو لا يقف عند عامل واحد من عوامل تكوين الظواهر ولكنه يستقصى جميع هذه العوامل ويلاحظ العلاقة الجدلية بينها . وهو يرى أن العوامل الأساسية فى التغيير هى عوامل إنسانية إرادية ، فالإنسان الفاعل هو الذى يصنع الأحداث ويبنى الحضارة ، وهو الذى يتفاعل مع التراب والزمن تدفعه القيم الروحية. وما العوامل الأخرى بجانبه إلا إمكانات أو قيود ، وهو يدرك الإمكانات فيجتهد فى تحقيقها ويعى القيود فيسعى إلى تحطيمها ، وموقفه هو موقف الفاعل المؤثر الذى تزداد بالوعى قدرته على التأثير . ويأخذ هذا المنهج فى اعتباره حقيقة الوجود القومى وحقيقة

الصراع الطبقى وحقيقة الإرتقاء العقلى والروحى .

وأما اللغة فهى تلك التى أطلقنا عليها فى كتاب « ماذا بعد حرب رمضان » وصف اللغة الجديدة وتحاول هذه اللغة تجاوز سلبيات اللغة القديمة ومن أبرزها تحكم الهوى والإنفعال، وتحرص على اعتماد الوضوح والبساطة والحكمة .

قلنا إن هذا الكتاب يضم دراسات تعالج قضايا الواقع العربى كما بدت عام ١٩٧٥ ، والحق أن جميع هذه الدراسات كتبت خلال ذلك العام عدا محاضرة « فلسطين وأمن وسلام آسيا » التى كتبت فى خريف عام ١٩٧٤ وكنت قد تقدمت بها لمؤتمر عقد فى سمرقند آنذاك عن « أمن وسلام آسيا » ومثلت فيه منظمة التحرير . وقد ألقيت محاضرة « الوحدة العربية وقضية التحرير » فى الندوة القومية لدعم الثورة الفلسطينية التى انعقدت فى طرابلس الغرب يوم الخامس عشر من شهر آيار (مايو) لعام ١٩٧٥ ودار حولها نقاش الندوة الموضوع . كما كتبت بحث « حركة التحرير العربى الإفريقى فى عالم الغد » أواخر ذلك العام وعرضته فى ندوة الخرطوم للتنمية والتحرير ضمن الحوار العربى الإفريقى التى أفتتحت يوم السابع من يناير لعام ١٩٧٦ . أما بقية الدراسات فقد نشرت جميعها

فى جريدة المحرر البيروتية على مدى عام ١٩٧٥ .

ولابد لى هنا أن أشير لفضل أخى شفيق الحوت فى دعوتى للكتابة فى « المحرر » وفى العناية بانتظام نشر هذه الدراسات أسبوعياً ، كما أنوه بروعة الأفكار الموحية وحرارة المشاعر الصادقة التى كانت تفيض بها أحاديثنا على مدى ذلك العام استمرارا لرفقة ابتدأت قبل ذلك بعشرة أعوام ، وأسجل شكرى أيضاً لإدارة « المحرر » لما لمسته من اهتمام بالدراسات ولما أتاحته لى من حرية كاملة فى التعبير .

أود أن أشير أيضاً إلى دور جميع من التقيت بهم من الإخوة والدارسين سواء فى مجالات العمل العام أو فى قاعات الدرس،فى بلورة الأفكار التى تضمنها هذا الكتاب من خلال الحوار الغنى الذى جرى معهم. ولن يكون من قبيل المجاملة المعتادة أن أشير إلى فضل زوجتى التى قرأت أكثر هذه الدراسات قبل نشرها وتبادلت حديثاً غنياً معى حولها وشجعتنى على الانتظام فى كتابتها .

بقى أن أرجو أن يجد القارىء فى هذا الكتاب ما أردته منه حثاً على متابعة النضال العربى لتحقيق أهدافه وشرحاً

لقضايانا وتأريخا ليوميات عام كان مليئا بالأحـداث يتضمن شهادة كاتبه .

وأرجو على الخصوص أن ينتفع به شبابنا العربى الذى يتطلع بصدق لتحمل مسؤلياته .

والله الموفق ؟

أحمد صدقى الدجانى

مصر الجديدة يناير ١٩٧٦

على الصعيد القومي العربي

الوحدة العربية وقضية التحرير

إيجاد الحقائق الوحدوية

هذه الجامعة العربية

الصراع بين عرب وعرب

ثورة على الرواسب

اليد السفلى .. واليد العليا

الاتحاد الاشتراكى أمام الفرصة الأخيرة

فى الذكرى الخامسة لرحيل عبد الناصر

فى الذكرى الثانية لحرب رمضان

الوحدة العربية وقضية التحرير*

هذه الندوة، بالاسم الذى تحمله وبالشعار الذى ترفعه، تمثل معنى كبيراً نقف عنده ونحييه وننطلق منه إلى بحثنا .

هى لقاء على هذه الأرض العربية المباركة يجمع عربا مناضلين من شتى ساحات الوطن العربى ليبحثوا بالفكر الحر فى تحقيق هدف ثورى عربى كبير هو « دعم الثورة الفلسطينية » . فتحية للمعنى القومى الوحدوى الذى يمثله هذا اللقاء ولمعنى النضال من أجل تحرير فلسطين الذى ينضوى تحت لوائه، وتحية للجمهورية العربية الليبية التى استضافته .

. . .

طبيعى حين نتطلع لتحقيق هدف هذه الندوة التى رفعت شعار نحو مشاركة أكبر للجماهير العربية فى معركة التحرير أن ننشغل بموضوع « الوحدة العربية وقضية التحرير » . وبداية نلاحظ أن هذا

* ألقى هذا البحث فى « الندوة القومية لدعم الثورة الفلسطينية » التى انعقدت بطرابلس يوم ١٥ مايو ١٩٧٠ وكان أحد أربعة أبحاث تناولت جوانب قضية فلسطين المحلية والقومية والعالمية ودار النقاش حولها .

الموضوع مرتبط ومتكامل بموضوعات الندوة الثلاثة الأخرى . وهذا أمر مفهوم ، وما إيرادنا لهذه الملاحظة إلا لننبه على أننا سنركز في حديثنا على جوانب محددة في موضوع كبير اخترناها شعوراً منا بأهميتها ، تاركين للموضوعات الأخرى وللمناقشة أن تسلط الأضواء على بقية الجوانب فيه .

ننطلق في موضوعنا من واقعنا العربي الراهن الذى تبرز فيه بوضوح حقيقتان مرتان لا حاجة بنا إلى الإسهاب في الحديث عنهما.

الحقيقة الأولى : أن أرضنا العربية في فلسطين وسيناء والجولان لا تزال تحت الإحتلال الإسرائيلي . وليست هناك مرارة أشد من مرارة إحتلال أجزاء من الوطن ، فكيف إذا احتل موقع القلب من الوطن ودنس قدس أقداسنا .

الحقيقة الأخرى : أن وطننا العربي وهو يدخل الربع الأخير من هذا القرن ، ما يزال مجزءاً تقوم فيه لتفصل بين أجزائه حدود « وسدود » ، في وقت يشهد العالم فيه انضواء قوميات مختلفة في وحدات عقيدية أو حضارية .

إن الترابط بين هاتين الحقيقتين قديم ، والأسباب التي مهدت لبروزهما واحدة ، فلقد جاءت الغزوات الاستعمارية الأوربية إلى

وطننا فى القرن الماضى فى موجات ثلاث لتحتله وتجزئه . وكانت الغزوة الصهيونية الاستعمارية التى استهدفت فلسطين واحدة منها . ومكّن لها ما كانت الأمة العربية تعانيه من تخلف أورثها الضعف .

لن نكون منصفين لو أننا اقتصرنا على إثبات هاتين الحقيقتين ، وغفلنا أو تغافلنا عن ذكر حقيقة ثالثة تبرز بقوة فى مواجهتهما . . نراها ساطعة كالشمس تشع نورا وتوحى معانى عظيمة وتطرح قيما سامية .

تلك هى حقيقة وجود ثورة عارمة فى هذا الوطن العربى تناضل من أجل تحرير كل شبر فيه من الاستعمار وتناضل من أجل وحدته وإزالة الحدود والسدود بين أجزائه ، وتناضل من أجل بناء مجتمع الكفاية والعدل فيه لتظلله الشورى والديموقراطية .

هذه الثورة كما تراها وتحيط بها النظرة الشاملة ويتعمق فهمها بإدراك حركة التاريخ ، هى ثورتنا العربية الواحدة التى تقع ضمنها وكجزء لا يتجزأ منها ثورتنا الفلسطينية . والتى ينتسب لها ثوارنا العرب فى الساقيه الحمراء وفى ظفار ، وكل الثوار العرب الذين ناضلوا فى شتى أنحاء الوطن من أجل تحريره ووحدته . أنها تتفجر اليوم ومنذ عقد من السنين على أرض فلسطين تماما كما تفجرت بالأمس على أرض الجزائر فى المغرب العربى وعلى أرض اليمن فى جنوب

الجزيرة ، وناضلت فى كل الأقطار العربية لتحقيق استقلالها وتقدمها.

أن هذه الثورة العربية الواحدة التى نضج مفهومها بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو العربية فى مصر كما عبر عنها عبد الناصر « الحركة التاريخية لجماهير الأمة العربية للقفز عبر التخلف إلى التقدم السياسى والاجتماعى والثقافى وصولا للوحدة مستندة على القيم الحضارية للأمة العربية محققة بالنضال الثورى أهدافها . وهى لا تمارس دورها وحدها وإنما تقف ضمن التحالف العظيم لقوى الثورة العادية للاستعمار والتخلف» . وهى التعبير عن المرحلة الحاضرة فى حركة اليقظة التى ظهرت فى وطننا منذ أواخر الثامن عشر وحملت مسئولية النضال فيه ضد التحالف الاستعمارى الصهيونى ، وشقت طريقها صعدا لتحقيق انبعاث الأمة العربية وبناء نهضتها بفضل جهود قيادات مناضلة ألتحمت بجماهير شعبنا التى ناضلت كأعظم ما يكون النضال.

أن الثورة العربية بهذا المفهوم تشمل جميع الحركات العربية الثورية التى قامت فى وطننا العربى . وفيها يبرز الإنسجام بين الوطنية والقومية وينتهى اصطناع التناقص بينهما . ولقد ترابط فى هذه الثورة هدفا التحرير والوحدة وتبادلا التأثير فى بعضها . وحين ننظر فى

الأحداث الراهنة بالنظرة الشاملة نرى أمثلة كثيرة على هذا الترابط وصوراً له نعيشها يوميا .

نتذكر كمثل ماجرى فى آخر اجتماع للمجلس المركزى الفلسطينى الذى جاء انعقاده بعد عملية سافوى العظيمة وفشل مهمة كيسنجر . وكانت قضية التحرير هى الموضوع الرئيسى للبحث ومنها انطلق المجلس ليدرس وحدة التحرير والنضال التى اقترح الرئيس الأسد قيامها بين الجمهورية العربية السورية ومنظمة التحرير . وقد اتخذ توصيه بالموافقة عليها وقرنها بتوصية أخرى لم يجر الإعلان عنها ولكن تحرك قيادة المنظمة خلال الشهر الماضى كان تجسيدا لمضمونها. فقد تضمنت قيام قيادة المنظمة بالسعى القوى السريع لرأب الصدوع التى ظهرت فى الموقف العربى بهدف تمتينه لمنع التفريط وحشد الطاقات لاستمرار النضال . وهكذا اقترن العمل للتحرير بالعمل للتوحيد .

ومثل آخر رأيناه فى عملياتنا الرائعة فى أعماق أرضنا المحتلة التى شارك فيها أبطال عرب من ساحات عربية عدة إلى جوار أخوتهم من أبطال فلسطين . وما بالنا نذهب بعيدا وهذا اللقاء بالمعنى الذى حييناه مثل على هذا الترابط .

واضح أن هذه الصور تبين كيف تجابه الحقيقة الثالثة الحقيقتين

المرتين وتسعى للانتصار عليها ومحوها فلا يبقى احتلال استعمارى ، ولا تجزئه . وكيف يتجلى فى الثورة العربية فى أية صورة ظهرت ترابط هدفى التحرير والوحدة. وكيف تجسد حقيقة الثورة فى الوقت نفسه معنى قدرتنا على الفعل .

والحق أننا بحاجة ماسة إلى تمثل فهم هذا المعنى الكبير وفاء بحق أنفسنا على أنفسنا وشرطا أساسيا لمتابعة النضال وضربا لمعانى اليأس والحيرة والتمزق التى لاتنتهى إلا بالقعود والتى من أجل النفخ فيها وجدت الحرب النفسية . وإذا كان هذا المعنى الكبير يحثنا على تقدير نضال الشعوب الأخرى وتمثل تجاربها فإنه فى الوقت نفسه يستحضر ماحققه النضال العربى ضمن ثورته ويوفيه حقه لتفرض حقيقة أننا فاعلون .

إن النظرة الشاملة لتاريخنا الحديث تبين أننا فى مرحلة إنبعاث حضارى وقد مثل النضال العربى فيها خطا متصاعدا فى محصلته على الرغم مما رزء به من نكسات .

يهمنا أن نفسر هذا الترابط بين هدفى الوحدة والتحرير كما يظهر فى قضية فلسطين. لننطلق من وضوح الفهم إلى مايشغلنا فى هذه المرحلة ويستولى على أفكارنا وهو « موضوع التحرير والوحدة اليوم

وغدا . . وفى حاضرنا ومستقبلنا القريب .

يمكننا فى مجال تفسير هذا الترابط ومن وحى حقائق للماضى ورؤى المستقبل أن نحدد مايلى :

* إن حقائق تاريخ العرب الحديث والمعاصر تؤكد أن التحالف الاستعمارى الصهيونى ممثلا ببريطانيا والحركة الصهيونية حين غزا فلسطين وركز عليها كان فى اعتباره موقعها من الوطن العربى ؛ وصفحات تاريخ القضية حافلة بالشواهد على ذلك . ويكفى أن نشير بسرعة إلى اهتمام هرتزل بالموصل فى العراق بعد أن ظهرت فيه رائحة النفط . وتفكيره بالحصول على أجزاء فى شرقى مصر ، والبعثة الصهيونية إلى ليبيا لدراسة الجبل الأخضر عام ١٩٠٨ وصلة استعمار بريطانيا لفلسطين وإصدارها تصريح بلفور بسياستها تجاه قناة السويس والوطن العربى ، ثم ارتباط السياسية الاستعمارية الاميركية تجاه فلسطين منذ الحرب العالمية الثانية بمخططاتها للتسلط على ثروات الوطن العربى . وهكذا فإن فلسطين لم تكن قط بالنسبة للتحالف الاستعمارى الصهيونى هدفا لذاتها ، ومن هنا كانت قضية فلسطين قضية قومية تخص شعب فلسطين العربى والأمة العربية جمعاء .

استجابت الأمة العربية لهذه الحقيقة ، ولما تمثله فلسطين على

الخصوص بالنسبة للوطن العربى فظهر النضال القومى الحديث أول ماظهر فى أرضنا المقدسة حيث التحم مناضلون عرب من مختلف الأقطار العربية بنضال شعب فلسطين العربى ضد الاستعمار البريطانى والغزو الصهيونى قبل النكبة وضمن الثورة الفلسطينية لاسترجاع فلسطين فى وقتنا الحاضر . ولقد كانت ثورة ١٩٣٦ أول ثورة عربية قومية فى القرن العشرين كما رويت أرض فلسطين عام ١٩٤٨ بدماء الشهداء العرب من المغرب والمشرق الذى اندفعوا للمشاركة فى نضال قومى . وبلغت صورة الالتحام القومى روعتها بعد أن تفجرت الثورة الفلسطينية .

* أدرك التحالف الاستعمارى الصهيونى حقيقة هذا الترابط بين هدفى التحرير والوحدة فانتهج سياسة تضرب الوحدة لتقضى على التحرير ، وتضرب التحرير لتقضى على الوحدة . ولقد عشنا ولانزال نعيش ممارسة هذه السياسية . ويكفى أن نشير إلى انخفاض معدلات الهجرة اليهودية لفلسطين المحتلة إبان وحدة مصر وسوريا ، وإلى ما كتبه إيبان فى كتابه «شعبى» عن سهر بن جوريون الليل بطوله عند اعلان ميثاق الوحدة الثلاثية بين مصروسورياوالعراق وتوجهه رسائل استغاثه لأصدقاء اسرائيل فى العالم على الرغم من أن تقديرات

الخارجية الاسرائيلية كانت تقول بأن هذا الميثاق سيتعثر . كما نشير إلى العطاء الذى قدمته مقاومة شعب فلسطين أثر نكسة ١٩٦٧ للنضال القومى ، وماقدمته حرب الاستنزاف بعد ذلك للمقاومة من عطاء .

* ضمن هذا الترابط بين الهدفين نلاحظ إن طبيعة الظروف المحيطة بالقضية كانت تدفع النضال الفلسطينى والعربى عامة لتخصيص جهد أكبر لأحدهما وتقديمه على الآخر . وهذا مايفسر بروز شعار « الوحدة طريق التحرير » بعد نكبة ١٩٤٨ ، ثم شعار « التحرير طريق الوحدة » بعد نكسة الأنفصال عام ١٩٦١ . ولقد حسم النضال العربى الحوار الذى احتدم بين الشعارين بعد عام ١٩٦٧ بالثورة الفلسطينية وبحرب الاستنزاف ثم حرب رمضان . وهكذا أصبحت واضحة اليوم العلاقة الجدلية بين الهدفين وارتباطهما معا بنضال جماهير شعبنا لبناء مجتمع الكفاية والعدل . كذلك حسم النضال العربى فى أن مسئولية تحرير فلسطين هى مسئولية قومية يتحمل شعب فلسطين فيها نصيبه الكبير فيها .

وحين ننظر رؤى مستقبل وطننا نجد استمرار هذا الترابط حيث لامكان فى عالم الغد إلا للأمم الموحدة والكتل الضخمة ولامجال لتحقيق التقدم إلا بإنهاء الاستغلال ومضاعفة الإنتاج وبسيادة الاشتراكية .

* * *

والآن ماذا عن الوحدة العربية وقضية التحرير في هذه المرحلة وفي الأيام القادمة ؟

لنحدد بداية هذه المرحلة من النضال العربي التي تتصل بما سبقها من مراحل . أنها مرحلة ما بعد حرب رمضان وكما هو واضح من واقعنا العربي فيها فإن هدف التحرير ما يزال يلح علينا فيها وكذلك يلح هدف الوحدة .

والحق أن حرب رمضان مع ما مثلته من نصر معنوى كبير ومن انتصار عسكرى محدود ، لن تكون أبدا نهاية صراعنا مع العدو الغاصب ولكنها يجب أن تكون بداية النهاية في صراع سيستمر حتى ينتهى بالتحرير والوحدة . ذلك أن انتهاء صراع ما لا يتحقق إلا بزوال مسبباته . وصراعنا كما هو واضح ناجم عن غزوة استعمار استيطانى أوروبى نظمتها الحركة الصهيونية وهذه المسببات ما تزال قائمة بعد حرب رمضان . فالحركة الصهيونية متشبثة بهدفها الصهيونى تمارس الاغتصاب والعدوان وتعمل على استمرار تهجير يهود العالم إلى الأراضى العربية المحتلة . والأمة العربية وشعب فلسطين فى موقع القلب منها بثورته الفلسطينية مصممة على مجابهة العدوان

والدفاع عن نفسها ووطنها واسترجاع حقها وارجاع من تشرد من أبنائها إلى أراضيهم .

إذن فالصراع مستمر وهدفنا فيه واضح لالبس فيه ، ويمكننا أن نتوقع من خلال معرفتنا لطبيعة الوجود الصهيونى باعتباره استعمارا استيطانياً ألا تأتى نهايته فجأة وإنما ستستغرق وقتا شأنها فى ذلك شأن نهايات الاستعمار الاستيطانى التى عرفها العالم .

وحين ننظر فى المرحلة الراهنة نجد أن محاولات نشطت منذ الحرب لبلوغ تسوية سلمية على مستوى الدبلوماسية الدولية . والحق أن هذه المحاولات لاتتصدى لمسببات الصراع وانما تتصدى لمبررات التوتر فيه . وهى تنشغل بتفرعات المشكلة أكثر من إنشغالها بإصولها ومن هنا لن تنجح هذه المحاولات فى إنهاء الصراع ، وإن كان مستقبله سيتأثر بها. وعلينا أن نفكر بقضية التحرير والوحدة العربية ونحن على يقين من أن الحرب الخامسة قادمة لامفر منها ولامناص. وقد يستغرق الإعداد لها بعض الوقت لأن للحرب الشاملة شرائطها ولكنها آتية لاريب فيها . وعلينا أن نعد العدة لخوضها وكسبها .

إننا ننطلق فى تفكيرنا هذا من حقيقة أن لنا دورا كبيرا

فاعلا فى هذا الصراع وأن زمام المبادرة فى نطاق هذا الدور بإيدينا ومجال الحركة واسع أمامنا . ولقد أشارت حرب رمضان إلى إمكانية ظهور قوة جديدة فى العالم هى قوة الأمة العربية التى تبرز فى عالم الغد من خلال عناصر محددة فيها . . عنصر الموقع الاستراتيجى لوطننا العربى وعنصر ثروات هذا الوطن وعنصر القيم الحضارية و التراث الحضارى لهذه الأمة .

إن هذا الدور الكبير الفاعل فى تحقيق تحرير فلسطين يطرح قضية الوحدة العربية على أكثر من مستوى . إذ أنه لا معنى للحديث عن عمل عربى يجابه العدوان وعن مكان العرب فى عالم الغد ما لم تبرز حقيقة الأمة العربية الواحدة من خلال الموقف العربى الواحد. والحق أن تعدد الكيانات العربية بما يعنيه من توزع الإرادات العربية ووجود التناقضات وماينتج عنها من تصادم هذه الإرادات وقف عقبة أمام اتخاذ الموقف الواحد مرات كثيرة، ومكّن للعدوان أن ينال مآربه فى وطننا . الأمر الذى طرح بإلحاح قضية الوحدة العربية كهدف أصيل للنضال العربى . ولقد بات الشعور بضرورة الوحدة أكثر إلحاحا بعد حرب رمضان ليس لقطع الطريق على العدوان بحسب بل للنتائج الإيجابية الضخمة التى تسفر عن الموقف

العربى الواحد والتى ذقنا شيئا من حلاوتها أثناء الحرب .

إن على النضال العربى أن يوفق لاتباع الأساليب الصحيحة لبلوغ الوحدة مستفيدا من هذا الشعور . وهو فى هذا المجال لا يبدأ من فراغ فعنده حصيلة تجارب هامة فى العمل الوحدوى العربى يستطيع بدراستها ودراسة الواقع العربى اليوم أن يتوصل إلى تحديد هذه الأساليب الصحيحة . وبإيجاز نشير إلى أن الواقع العربى يؤكد وجود أمة واحدة توافرت لها كل مقومات الأمة تعيش فى وطنها الكبير ضمن دول ، وتمر فى طور انبعاث حضارى تعمل فيه بجد للقضاء على التخلف الذى عانته قرونا . وتتعدد فى هذه الأمة أنماط الحياة ، فهناك نمط حياة البادية ونمط حياة القرية ونمط حياة المدينة وتتأثر المثل السائدة فيهما بهذه الأنماط التى يتفاعل فى تكوينها الجغرافيا والتاريخ . ويتوزع الولاء فى هذه الأمة بفعل البيئة الاجتماعية والجغرافيا وتعدد الكيانات والثورة النفطية بين العائلية والوطنية والقومية . وتتباعد بين أجزاء الوطن العربى الواحد ، بل بين أجزاء القطر الواحد المسافات بسبب تأخر ثورة المواصلات فيها . وتختلف بسبب عوامل تاريخية وسياسية واجتماعية واقتصادية أنظمة الحكم فى الدول العربية . ويقوم صراع فى المجتمع العربى بين قوى التقدم وقوى الجمود والتخلف

إن الأساليب الصحيحة لبلوغ الوحدة تأخذ بعين الاعتبار هذا الواقع وتنطلق منه لتغييره . ولا تضع رأسها فى التراب لتنكر ما لا يعجبها فيه . ولعل من أهم دروس عبر التجارب الوحدوية خلال العقدين الماضيين ضرورة الإنطلاق من الواقع وفهم حقائق الجغرافيا والتاريخ والاجتماع فى الوطن العربى لايجاد صيغ وحدوية صحيحة . ولقد كشفت هذه التجارب على أن اخلاص وحماس الوحدويين لم يكن كافيا لتحقيق الوحدة والتغلب على صعوبات الواقع العربى . كما كشفت أن الوحدة عانت أيضاً من متحمسين لها حاولوا القفز عن الحقائق فاختلت خطواتهم .

إن قضية التحرير تطرح فى مجال الوحدة العربية كيفية التوفيق بين استمرار النضال الثورى لتحقيق الوحدة وبين إيجاد موقف عربى واحد تجتمع عليه الأمة العربية لمجابهة الخطر الصهيونى والاستعمارى . والحق أن المعادلة الصحيحة هى الحرص على استمرار النضال الثورى الذى سيستمر لأنه ثمرة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية فى مختلف أجزاء الوطن العربى ، مع السعى لصنع موقف عربى واحد فى مواجهة تناقضنا الرئيسى كعرب مع العدو .

والنضال من أجل الوحدة العربية ضمن هذه المعادلة يجب أن يسعى لإيجاد حقائق وحدوية تكون أساسا للوحدة الموجوة . ولقد آن الأوان أن نجعل إيجاد هذه الحقائق الوحدية مقياسا أساسيا للوحدوية ، إذ لا يجوز بحال أن يتردد حديث عن الوحدة من أنظمة تمارس كل يوم مع المواطنين العرب فى دخولهم وخروجهم وبما يتعلق من مصالح قومية لهم أسوأ صور الإقليمية الضيقة . كذلك فإن النضال من أجل الوحدة والموقف العربى الواحد مرتبط ارتباطا وثيقا بالنضال من أجل بلوغ هدفى الحرية والاشتراكية وبناء الإنسان العربى وتوفير الحيـــاة الحرة الـكريمة له .

إن هذا النضال يستوجب لقاء كل الوحدويين العرب على العمل للوحدة والتحرير . ولقد آن الأوان أن ينطلق نداء فى الوطن العربى للوحدويين أن يتحدوا وأن يبحثوا عن نقاط اللقاء فيما بينهم وهى كثيرة ، وأن يتجاوزوا حالة التعدد والتشرد التى يعانى منها التيار الوحدوى العربى ، ويكفوا عن التفنن فى البحث عن نقاط الخلاف وتعميقها كدأب من سبقهم من أتباع المذاهب والطوائف فى عصور الانحطاط . هذه الندوة بمعناها الـكبير مؤهلة لأطلاق هذا النداء

ولعلها تذكر أن عدونا يرانا وحدة ويستهدفنا جميعا ، وأن مسئوليات النضال العربى فى المرحلة القادمة تستوجب هذا اللقاء . وتلح فى طلب السير لتطبيق جميع المواثيق الوحدوية على صعيد التنظيمات وعلى صعيد الأنظمة فهذه المواثيق عبرت بشكل ما عن بعض آمال شعبنا . وإننا ننظر إلى رمز دولة الاتحاد وإلى الشعارات الثلاثة التى تتردد فى أرجاء الوطن العربى بغض النظر عن الاختلاف على ترتيبها لتكتسب مضمونها الفعلى فننفذ السير فى طريق الوحدة وننفذ السير فى طريق التحرير .

إن هدف التحرير جلى واضح أمامنا ومعالم طريقه بينة . ولا مجال لاتخاذ سبل كى تفرق بنا عن سبيله . ونحن نسير فيه واعين أن النضال لا بد أن يتجسد بالكفاح المسلح فى فلسطين والأراضى العربية المحتلة . فالنضال العسكرى هو أساس نضالنا السياسى فى عالم يعانى من أزمة القيم ويتحكم فيه منطق القوة والمصلحة . ونحن نناضل عسكريا بالكفاح المسلح لنحرر أرضنا ونطرح قيمنا الحضارية الجديدة .

ولقد قطعت شعوب العالم الثالث شوطا فى التعريف بهذه القيم على المستوى الدولى . وإن لنا أن نتحرك فى النضال السياسى مدركين الحدود التى يجب ألا نتجاوزها فيه . وواضح أنها حدود

عدم الاعتراف باغتصاب وطننا وعدم الصلح أو التفاوض مع عدونا مع طرحنا للحل الإنسانى الحضارى لمشكلة اليهودية التى نشأت فى ظل الغرب ، وهو الحل الذى يدعو لاستيعاب كل يهودى فى قوميته، ويفتح المجال ليهود الوطن العربى الذين هاجروا لفلسطين المحتلة كى يرجعوا إلى الأقطار العربية التى ولدوا فيها ، ونحن ندرك فى تحركنا أن مستقبل الجيوب الاستعمارية العنصرية الباقية فى العالم ، وإسرائيل فى مقدمتها هو مستقبل مظلم والطريق أمامها مسدود ، بعد أن دخل العالم بثورتنا وثورات العالم الثالث وانتصار الهند الصينية عصراً جديدا .

أن الطريق مفتوح أمامنا لمتابعة كفاحنا المسلح وقد أثبت أبطالنا ذلك فى الخالصة ومعلوت وسافوى ومئات الأماكن الأخرى. وعلينا أن نعمل على مزيد من تصعيد مقاومتنا وثورتنا فى الوقت الذى نطرح فيه العالم حلنا الإنسانى لقضية فلسطين ونتمسك بمنهج معالجة أصول القضايا وهو المنهج الذى طرحناه فى خطاب فلسطين بالأمم المتحدة .

والنضال من أجل التحرير يتطلب اهتماما خاصا بالساحة الفلسطينية التى تشهد هذا التصعيد . ولعل من أوجب ما يتطلبه تحقيق التصعيد هو تحقيق الوحدة الوطنية فى الساحة الفلسطينية ضمن إطار منظمة التحرير وتحقيق الموقف العربى الواحد فى الساحة العربية القومية .

والصلة وثيقة بين مايجرى فى الساحة العربية القومية وفى الساحة الفلسطينية . وأن الوحدة الوطنية والموقف العربى الواحد على أساس تمسكنا بهدف التحرير بمتابعة النضال هو الكفيل بإلزام الجميع بالموقف القومى ومنع الاندفاع نحو التفريط بالحق أو الدخول فى مقامرات وواضح أن الحوار الديموقراطى هو خير مدخل للوحدة الوطنية . وتجربة الساحة الفلسطينية تصديق لذلك .

إن تحقيق الوحدة الفلسطينية فى الفترة الراهنة مطلب ملح وخصوصا ونحن على أبواب مجلس وطنى جديد يتشكل وينعقد يبحث فى تصعيد النضال العسكرى ومتابعة النضال السياسى ، ولعل نداء يصدر عن هذه الندوة يحث قيادة المنظمة وجميع الفصائل والقيادات الشعبية على مباشرة الحوار لتحقيق الوحدة الوطنية والاتفاق على صيغة محددة للعمل تمكن من تصعيد المقاومة ومن مضاعفة النضال السياسى .

وواضح أن تصعيد الكفاح المسلح للثورة الفلسطينية يستوجب على الصعيد القومى التعاون الفعال بين الجبهتين الجنوبية والشمالية وعمقيهما : كما يستلزم النضال لبناء جبهة شرقية حرة الإرادة . ولا بد من مجابهة مخططات العدو الصهيونى الاستعمارى الرامية لعزل مصر العربية التى سيبقى لها دور خاص فى التصدى بحكم عوامل الجغرافيا والتاريخ والديموجرافيا من جهة وما بذلته الثورة العربية فيها من جهة أخرى .

وبعد ..

فإن المستقبل أمامنا رحب مادمنا سائرين فى طريق التحرير طريق الوحدة الاشتراكية ندعم الثورة الفلسطينية ونلتحم بها .. وهذا يعنى ويستلزم تجسيد معنى قومية العمل الفدائى فى صيغة علمية : ومادمنا ننضوى تحت لواء الثورة العربية الواحدة نتابع نضالنا لتحقيق أهدافها . ومادمنا ننطلق من موقعنا كجزء من ثورات العالم الثالث ومن تعاوننا مع القوى الاشتراكية للقضاء على الاستعمار متطلعين لبناء عالم أفضل والإسهام فى تشييد حضارة إنسانية جديدة .

إيجاد الحقائق الوحدوية

من بين أخبار كثيرة نسمعها أو نقرأها يوميا حول ما يجرى فى وطننا العربى ، أجد نفسي مشدودا بشكل خاص لقلة منها تتصل بايجاد حقائق وحدوية بين أجزاء هذا الوطن .

ولقد شدنى مؤخرا خبر عن اتفاق بين حكومتى مصر والعراق على (انتقال) ٥٠٠ عائلة من عرب مصر الفلاحين للاقامة فى منطقة حول بغداد وزراعة أراضيها المستصلحة . وكذلك كبداية وتجربة أولى بهدف انتقال عدد أكبر من فلاحينا فى مصر لأراضينا فى العراق ليعملوا جنبا إلى جنب مع اخوتهم من عرب العـــراق الفلاحين . ومعلوم أن وادى النيل فى مصر يشكو من الكثافة السكانية فيه ، بينما تشكو منطقة ما بين النهرين وأرض الرافدين من نقص الكثافة السكانية . وكنت قد تابعت باهتمام قبل هذا الخبر ما تردد من أخبار عن هذا الموضوع ورد فيها ذكر حاجة العراق إلى ما يقارب المليون من الأيدى العاملة للعمل فى أراضيه ، وما تم من اتصالات بين الجهات المعنية فى القطرين . وكان أكثر

ما يهمنى وأنا أتابعه هو التوجه الذى تكشف عنه هذه الأخبار ، وتصور النتائج التى يمكن أن نصل إليها حين نسير فى هذه الوجهة .

الأمر نفسه كان يحدث معى حين اقرأ عن تسهيل إجراءات الخروج والسفر والعمل للمواطنين العرب فى أقطار عربية ، مثل السفر بالبطاقة الشخصية بين قطر وآخر ، وحين أقرأ عن مشاريع شق طرق برية بين أجزاء عربية وافتتاح خطوط بحرية وجوية تصل بين المدن والموانىء العربية ، أو عن مشاريع تحقق نوعا من التكامل الاقتصادى العربى أو توحد برامج ومناهج التربية والتعليم العربية .

وكلما قرأت أو سمعت هذه الأخبار تلح على فكرة (شبكة الخيوط الحريرية) واستشعر ضرورة مضاعفة جهد جميع الوحدويين العرب لإيجاد مزيد من الحقائق الوحدوية فى وطنهم تجعل قيام الوحدة الحقيقية الكاملة أمرا قريباً ، وننتقل بالوحدة من (الشعار والفكرة) إلى (الواقع المتجسد).

فكرة (شبكة الخيوط الحريرية) هذه تحدث عنها تاريخ ألمانيا فى مطلع القرن التاسع عشر ، حين كانت ألمانيا مجزأة كرقعة

الشطرنج . فنى أعقاب مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ قام عدد من إداريي بروسيا يجمعون بين الكفاية والنزاهة ببعض الإصلاحات المالية والإدارية ، وأخرجوا إلى الوجود هيئة قدر لها أن تؤثر على ألمانيا كلها ، وذلك بالتسلل فى حيلة ودهاء إلى كافة أوجه النشاط التجارى والامتزاج به . وقد عرف التاريخ تلك الهيئة باسم (الزولفرين) أو الاتحاد الجمركى الذى شرعت بروسيا فى انشائه عام ١٨١٨ ، وبدأ بداية متواضعة بين بضع ولايات ثم نما واتسع قبل أن يفطن مترنيخ لخطورته على مصالح الرجعية النمساوية ، وحين فطن وشرع فى مقاومته كان الأوان قد فات . . ووجد الأعضاء المشاركون فيه أنفسهم مشدودين إلى بعضهم بخيوط شبكة اقتصادية حريرية أمنت التفوق الاقتصادى لألمانيا ومهدت للوحدة الألمانية التى كان بطلها بسمارك . وفى الوقت الذى كان فيه (الزولفرين) يربط الخيوط الحريرية فى مجال الاقتصاد كانت جامعة برلين والفلاسفة الألمان يوجدون الحقائق الوحدوية فى مجال الفكر والتربية والتعليم ، فحدث التكامل بين جميع هذه المجالات .

واضح سر تداعى فكرة (شبكة الخيوط الحريرية) للذهن عند ذكر مشاريع تستهدف إيجاد حقائق وحدوية . فالمتأمل فى الواقع

العربى يجد أنه على الرغم من حقيقة وحدة الأمة العربية ، وهى حقيقة برزت منذ أربعة عشر قرنا ، وعلى الرغم من الحاح الدعوة لوحدة الوطن العربى فى نصف القرن الماضى ، فإن هذا الوطن لا يزال بأشد الحاجة إلى ايجاد حقائق وحدوية تربط بين أجزائه فى شتى مجالات الحياة فيه ، تتناسب مع متطلبات العصر . والأمثلة على هذه الحاجة الشديدة كثيرة تقابلنا يوميا .

فى مجال المواصلات يتحسر المواطن العربى وهو يرى بعض الأقطار العربيه مربوط بخطوط بحرية وجوية مع دول أوروبية يبلغ عددها أضعاف الخطوط التى تربط بينه وبين أقطار عربية أخرى . وما أكثر ما يضطر المواطن للوصول إلى ذلك القطر أن يسافر إليه عبر عاصمة أوروبية . ولا تزال أقطار عربية كثيرة تفتقر إلى الربط بينها بخطوط حديثة بعد مضى أكثر من قرن على انتشار الخطوط الحديدية فى أوروبا وأميركا . ومعلوم ماصنعه مد خط حديد المحيط الهادى من امتداد للولايات المتحدة فى غرب القارة حتى بلغ بها من المحيط إلى المحيط . وفى مجال الاتصال الهاتفى والبرقى تتكرر قصة اتصال عاصمة عربية بأخرى عبر عاصمة أجنبية ناهيك عن الوقت الذى يستغرقه هذا الاتصال ، فى الوقت الذى

ربطت به دول أوروبا وأميركا بالاتصال الفورى المباشر .

وفى مجال الاقتصاد — والصلة وثيقة بينه وبين المواصلات — تبرز الحاجة الشديدة أيضاً لإيجاد الحقائق الوحدوية التى توجد السوق العربية الواحدة . ويلفت النظر أن صلات عدد من الأقطار العربية بدول السوق الأوروبية المشتركة سبقت صلاتها بعضها ببعض .

والأمر نفسه يتكرر فى مجال التربية والتعليم حيث لم تتوحد بعد مناهجه وبرامجه فى خطوطها الرئيسية ، وفى مجال الانتقال والسفر حيث تتكرر المناظر المؤذية عند نقط الحدود فى إجراءات الدخول والخروج .

وهكذا نتعرض كعرب لمشكلات كثيرة بسبب واقعنا المجزأ يمكن أن نجد لها حلولا ناجعة بمنطق ايجاد الحقائق الوحدوية . ويبدو أن بعض هذه المشكلات ستكون خطيرة كمشكلة نقص الغذاء ، واضطرار أقطار عربية أن تشترى القمح والحبوب عموماً بأسعار خيالية فى الوقت الذى تتوق فيه الأرض العربية الخصيبة لبذور القمح كى تعطى الغلال الوفيرة .

إن الإحساس بخطر التجزئة علينا كعرب كان عاملا رئيسيا

فى إلحاح الدعوة لوحدة الوطن العربى . ولقد ربط الفكر العربى بين مظاهر الافتقار للحقائق الوحدوية وبين التجزئة وتعدد الكيانات ، ومن هنا كان اتجاهه لضرورة قيام الوحدة الفورية بين أجزاء الوطن . وبرزت فكرة العمل العربى الثورى كسبيل لتحقيق ذلك وتجاوز الحدود المصطنعة . وطبيعى أنه ما دامت هناك تجزئة فستبقى فكرة العمل العربى الثورى مطروحة بقوة باعتبارها الحل الجذرى السريع .

ولكن العمل العربى الثورى من خلال نضاله عبر عقدين من السنين وجد أنه من الضرورى له مع سعيه للوحدة الفورية أن لا يتأخر عن إيجاد الحقائق الوحدوية ويلتفت إلى العمل الوحدوى طويل المدى مدركا أن مثل هذا العمل يمهد ويهيىء لبلوغ الصورة الكاملة . وهكذا لم تعد الدعوة للوحدة الفورية هى المقياس « للوحدوية » فى الوطن العربى بل أصبح من الواجب اقترانها بالعمل الملموس لإيجاد حقائق وحدوية فى شتى مجالات الحياة كما أصبح ايجاد هذه الحقائق هو هدف العمل العربى الثورى من العمل العربى الموحد .

إن وضوح هذه الحقيقة يشعرنا بأهمية قيام مؤسسات عربية

قومية تقوم بالتخطيط لمستقبل الوطن العربى بنظرة قومية تعى حقائق واقع التجزئة القائم واحتياجات المستقبل . وواضح أن غياب هذه النظرة القومية عند التخطيط لمستقبل أى قطر عربى بمفرده سيؤدى فى كثير من الأحيان إلى بروز مشكلات التضارب والتراكم. ومن هنا تأتى أهمية البدء بالتخطيط القومى الشامل ، ويمكن لهذه المؤسسات أن تباشره ، وإذا كان لابد من التخطيط على المستوى القطرى فينبغى أن يتم من خلال المنظار القومى . وأمامنا تجربة السوق الأوروبية المشتركة كمثل على التخطيط بين قوميات عدة تجمع بينها الحضارة الغربية والقارة الأوروبية .

ضمن هذا التخطيط القومى الشامل يمكننا تصور مجالات التعاون الواسعة بين الأقطار العربية وعلى الخصوص من أجل إستصلاح الأراضى والرى والزراعة والمواصلات والصناعة والتربية والتعليم . وبهذا التعاون يمكن أن نصل إلى الاستغناء عن طلب المعونات المالية من الدول الكبرى ، وإلى إستثمار المال العربى فى الأرض العربية .

ويهمنا أن نؤكد على أهمية النظرة القومية عند الحديث عن تعاون بين أقطار عربية . لأن غيـــاب هذه النظرة ورؤية

التعاون بنظرة إقليمية لا يمكن أن يوصل لشيء . ولقد حدثت فى الآونة الأخيرة وبعد حرب رمضان تحركات عربية رسمية بهدف قيام تعاون وفشلت بسبب تحكم النظرة الإقليمية . وأذكر مثلا على ذلك سمعته وأنا أبحث عن سر تعثر البدء باستثمارات لأموال نفطية فى أحد الأقطار العربية ، فكان حديث مسؤول فى ذلك القطر أن المموِّلين النفطيين فرضوا شروطاً كتلك التى يتعاملون فيها مع دول أجنبية . وكان حديث أحد المموِّلين النفطيين أن المسؤولين فى ذلك القطر نظروا إلينا كأجانب فكان طبيعياً أن نبادلهم النظرة . وتعود المعاناة من تحكم هذه النظرة على أمتنا .

إن إيجاد الحقائق الوحدوية على طريق الوحدة العربية هو مطلب ملح فى هذه المرحلة من النضال العربى ، وهو « مقياس » دقيق لمن ينادى بالوحدة وهو فى السلطة . ولجهد كل الوحدويين العرب فى نضالهم اليومى . والمجال مفتوح لتحقيق الكثير لأن حقائق الوحدة تفرض نفسها . ولا بد أن يعى أولئك الذين يقفون فى وجهها أنها مدّ يأخذهم فى طريقه . ويكفى لشرح هذه الحقيقة أن نذكر أن الانفجار السكانى فى بعض المناطق العربية سوف يجعل من هذه المناطق مراكز طرد سكانى يخرج منه عرب كثيرون إلى

المناطق العربية قليلة الكثافة السكانية التى ستكون بدورها مراكز جذب . ولن تغنى نقط الحدود كثيرا لمنع هذا التحرك السكانى الذى حدث مرات فى تاريخنا . ولقد سألت فى أحد أقطار النفط العربية عن عدد العرب الذين دخلوا « تهريبا » ويقيمون بشكل غير رسمى فقيل لى أنهم يتجاوزون ربع المليون . وتابعت فى أحد الأقطار كيف يأتى الفلاحون من قطر مجاور فى مواسم الحصاد ليعملوا فى المزارع على الرغم من الحظر الرسمى . ثم لا يكون أمام الإدارة إلا الاعتراف بالأمر الواقع ومحاولة تقنينه .

إن حاجتنا ملحة أمام هذه الحقيقة للعقلية القوميه المتفتحة التى تبذل الجهد لإيجاد الحقائق الوحدوية وإكمال صنع شبكة الخيوط الحريرية وصولا إلى وطن عربى موحد .

هذه الجامعة العربية

الوحدويون العرب والقيادات العربية عامة مدعوون لوقفة موضوعية أمام جامعة الدول العربية ، يدرسون فيها واقعها و يقومون تجربتها و يفكرون بمستقبلها .

يمكننا أن نورد ثلاثة أسباب تدعونا لهذه الوقفة في المرحلة الراهنة .

* إن التفكير بايجاد حقائق وحدوية فى وطننا العربى والحديث عن المؤسسات القومية المطلوبة لهذا الغرض يقود إلى الوقوف أمام أول هذه المؤسسات وأقدمها فى تاريخ العرب المعاصر . . وهى الجامعة .

* إن الجامعة العربية تدخل فى هذا العام — عام ١٩٧٥ — العقد الرابع من عمرها . والذكرى الثلاثينية للميلاد والتأسيس تغرى بوقفة زمنية يجرى فيها النظر بالأحوال ، وهى تدعو للقيام بالوقفة الموضوعية .

* إن متطلبات العمل العربى الموحد فى المرحلة الراهنة سواء فى مجال رأب الصدوع التى تحدث فيه أو فى مجال حشد الطاقات له

تطرح دور الجامعة العربية فى بلوغ الموقف العربى الواحد وتدعو للتفكير فى دراسته وتطويره .

هذه الأسباب جميعها — كما هو موضح — أسباب وجيهة تدعو للقيام بالوقفة الموضوعية . ومع ذلك فان مثل هذه الدعوة — كما نتوقع — لن تقابل بحماس على الأرجح . والتساؤل عن سبب الفتور إزاء ما يخص الجامعة يصلح أن يكون مدخلنا فى هذا الحديث عن الوقفة الموضوعية .

والحق أن أول ما يلفت نظرنا ونحن نتأمل حال الجامعة العربية هو ضآلة ما تتمتع به من شعبية فى الوطن العربى، والنظرة التى ينظر بها كثيرون من العرب إليها . وهى نظرة يغلب عليها الاستهانة التى تصل حد اللامبالاة وعدم الاقتناع بالجدوى أو الجدية مع شعور غير ودى . ويكفى هـــذا أن يكون سببا للفتور أزاء ما يخصها .

هذه النظرة للجامعة وحقيقة ضآلة شعبيتها تظهر فى مناسبات كثيرة تصلح مقياساً للرأى العام فى غياب عمليات القياس العلمية التى تقوم بها عادة معاهد ووكالات متخصصة. وتظهر على الخصوص

حين تتحدث الأجيال الجديدة من الحكام العرب عن الجامعة أو تتعامل معها ، وحين يأخذ الحديث بين العرب أفراد أو هيئات طابع « الثورية » أو يعرض لسلبيات الواقع العربى . وأحيانا يخرج التعبير عنها بشكل صارخ يضغط على ضرورة الوقفة وإجراء التقويم للوصول إلى موقف علمى صحيح . وأذكر مثلا على ذلك ما سمعته بمناسبة التعطيل فى ذكرى تأسيس الجامعة فى آذار من أحد المثقفين العرب وهو يتساءل أهذه مناسبة للفرح أم للحزن !!

مما لاشك فيه أن هناك أسبابا محددة أوصلت إلى افتقار الجامعة للشعبية وساهمت فى تكوين هذه النظرة إليها ، وليس صعبا على المرء أن يدرك هذه الأسباب حين يدرس تجربتها عبر ثلاثين عاما . ولكنه فى الوقت نفسه سيجد نفسه أمام مفارقة كبيرة .

هذه المفارقة الكبيرة هى أن جامعة الدول العربية التى تفتقر إلى الشعبية فى وطننا هى المؤسسة القومية الوحيدة التى استطاعت أن تصمد وتستمر طيلة مدة وسط المتناقضات التى تعانى منها الساحة العربية . فلقد شهد تاريخ العرب المعاصر محاولة إيجاد صيغ قومية بين قطرين عربيين أو أكثر وقيام بعض المؤسسات المعبرة عن هذه الصيغ ، ولكن ما أسرع ما طويت صفحاتها أو أصيبت بالشلل

الـكامل . وتمثل أمامنا الآن تجربة اتحاد الجمهوريات العربية فنراها تعانى ما تعانيه وتلح بحاجتها إلى الوقفة الموضوعية لإخراجها من هذه المعاناة .

إن حقيقة قدرة الجامعة العربية على الصمود والاستمرار فى واقع عربى يبحث عن نفسه ويسعى جاهدا للانبعاث الحضارى ، وما تمثله هذه الحقيقة من مفارقة كبيرة مع المصير الذى آلت إليه تجارب قومية أخرى ، تدفعنا بشكل أقوى إلى تقويم التجربة والبحث عن الأسباب التى كونت نظرة غالبية الرأى العام العربى للجامعة . وهذا يقتضى أن نستعرض فى الوقفة الموضوعية تجربة الجامعة فى شتى مجالات نشاطها على مدى أعوامها الثلاثين . وتجدر الإشارة هنا بإيجاز إلى أن ميلاد الجامعة جاء فى نهاية الحرب العالمية الثانية فـكان اجتماع اللجنة التحضيرية لوضع ميثاقها فى خريف عام ١٩٤٤ بالاسكندرية وتلاه الانعقاد الأول لمجلس الجامعة عام ١٩٤٥ وقد ضم هذا المجلس فى عضويته سبعة دول عربية كانت تتمتع آنذاك بشىء من الاستقلال مع وجود فلسطين كعضو مراقب فيه . ومن تدفق موجة التحرير وبقاء التجزئة وتعدد الـكيانات العربية أصبح مجلس الجامعة يضم عشرين دولة عربية . ولم يقتصر عمل الجامعة

على المجال السياسى بل تجاوزه إلى المجالات الثقافية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية ، وتعددت المنظمات التى تعمل فى الجامعة كوكالات متخصصة ومن بينها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمنظمة العربية للدول العربية المصدرة للنفط .

من خلال تتبعنا لتاريخ الجامعة نستطيع أن نشير إلى جملة أسباب تفاعلت فأدت إلى الموقف العربى القائم منها على الصعيدين الشعبى والرسمى .

* هناك الظروف التى أحاطت ببروز فكرتها إبان الحرب العالمية الثانية . ومن بين هذه الظروف اعلان إيدن وزير خارجية بريطانيا آنذاك عن هذه الفكرة . وقد اقترنت الجامعة بسبب ذلك بالمخططات الاستعمارية التى وضعت للوطن العربى . وبقى هذا الاقتران على الرغم من تغير هذه الظروف وتحرر الجامعة كمؤسسة من الهيمنة الاستعمارية المباشرة التى تسلطت عليها أيام كانت هذه الهيمنة تتسلط على الوطن العربى وأقطاره .

* اقترنت الجامعة أيضاً فى ذهن الإنسان العربى بمجموعة أحداث مؤلمة أصابت وطنه . ولعل أشدها وأخطرها نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ التى وقعت والجامعة وليد يحبو . وقد وجد العقل العربى فى

الجامعة تجسيداً ماديا لما رسخ فيه من مسؤولية عربية رسمية إزاء النكبة . ثم برزت الجامعة العربية فى نكسة الانفصال وبقيت عالقة فى الذهن الذكريات المريرة لما حدث فى شتورا فى نطاق اجتماعاتها . واقترنت بعد ذلك ومن خلال مؤتمرات القمة بنكسة ١٩٦٧ .

ومع أن تاريخ الجامعة لم يخل من صفحات سجلت انتصارات عربية نظير حصول عدد من الأقطار العربية على استقلالها وانتصار ثورة الجزائر ونجاح الموقف العربى الواحد فى حرب رمضان ، إلا أن فضل الجامعة فى هذه الانتصارات لم يتضح للرأى العام العربى وكان يتحول لفضل جهات أخرى . وهكذا اقترنت صورة الجامعة بالنكسات والهزائم والنكبات فقط .

* إن طبيعة عمل الجامعة لا تنسجم مع نفسية الانسان العربى فى هذه الحقبة من تاريخه . فهو عمل طويل المدى يأخذ بعين الاعتبار واقع التجزئة ولا يستطيع انكاره والقفز عليه . والانسان العربى بتحرقه على الوحدة وعلى القضاء على التجزئة يضيق بالعمل الطويل المدى ويتطلع إلى الانجاز السريع ، ويرى فى الجامعة صورة مجسدة لواقع التجزئة .

* ويضاف إلى ذلك عدم وضوح انجازات الجامعة فى عملها الطويل المدى للانسان العربى . وما بدا له من ضعف العاملين فى أجهزتها وعجزهم عن الوصول إليه وإقناعه بدور الجامعة وما تقوم به .

إن إدراكنا لهذه الأسباب يساعدنا على إجراء عملية التقويم ونحن نقف وقفتنا الموضوعية . ويكون بإمكاننا من ثم أن نحدد النظرة العلمية التى يجب أن ننظر بها إلى الجامعة والدور الذى يمكن لها أن تقوم به مستقبلا .

وفى مجال تقويم تجربة الجامعة العربية نرى من المناسب أن نمهد بما أورده عالم الاجتماع الفرنسى جاك بيرك فى كتابه « العرب تاريخ ومستقبل » عند حديثه عن القيم السياسية حول الجامعة . ويشجعنا على ذلك ما عرف عن بيرك من خبرة بالوطن العربى من خلال إقامة طويلة فيه ودراسة عميقة له ، وما وضح لديه من مشاعر صداقة نحو العرب ، وشعورنا بفائدة الاستفادة من نظرة مراقبة لنا .

لقد لاحظ بيرك أن العرب يريدون أن يكونوا عربا ، لا مصريين ولا سوريين ولا عراقيين وهلم جرا . . وهم يؤكدون

هذه الإرادة، على الرغم من معرفتهم بوجود فوارق . وهكذا تقع البلاد العربية فريسة توترات تفرضها الأحداث السائدة وميول القادة وضغوط المشاعر الجماهيرية فلا تستطيع أن تقدم بالرغم من تفاوتها فى درجة النجاح ، إلا نظرة مفرطة فى تشاؤمها . كما أشار بيرك إلى إحساس بالوحدة الاتحادية بين العرب وجد التعبير البليغ عنه فى ايجاد الجامعة العربية . ولاحظ أن هذا الإحساس فاق عن طريق استهزائه العاطفى حدود الإنجاز الفعلى بمراحل كثيرة . وقد تساءل وهو يسجل ذلك « ألا يهمنا فى الواقع أن نبحث فى التكييف الصعب والتوفيق بين الحافز والصورة والهدف والنتيجة ؟ » والحق أن الجامعة شهدت خلافات حادة بين الدول الأعضاء فيها لأنه فى إطارها وعن طريقها تتم المواجهة الفعلية بين اتجاهات الدول العربية ومنافساتها وأهدافها . ومن هنا برز التذمر الكثير المعبر عن نفاذ الصبر من الجامعة ، وبرزت خيبة الأمل فيها .

ويسجل جاك بيرك أنه على الرغم من ذلك فقد أسهمت الجامعة العربية إسهاما كبيرا فى تقوية المشاعر العربية ، وتحررت بصورة سريعة من الملابسات التى أحاطت بمولدها فرفضت وساطات الدول الأجنبية . كما أنها وضعت الأسس للنقد الذاتى النافع ، وعززت

الإحساس بوجود كيان عربى أعلى من الكيانات الإقليمية المشتركة فيها . وكان لها الفضل فى تعزيز اتجاهين أحدهما يدعو إلى تقدم العروبة الشاملة وثانيهما هو المفهوم المصرى للقومية . وحققت عملا ضخما مؤكدا تمثل فى الجهود التى تبذلها لتحقيق التقدم فى ميدان الثقافة العربية ومجالات البحث العلمى .

إن تقويم تجربة الجامعة وفق أسس موضوعية سيصل بنا إلى تسجيل ايجابيات كثيرة حققتها ، وإلى إدراك ما لصق بها من سلبيات . وستكون محصلته لصالح استمرار هذه المؤسسة القومية مع بذل الجهد لتطويرها والتقدم بها . وهكذا تتأكد النظرة العلمية التى نظرت بها الثورة العربية للجامعة . ولقد شرح الميثاق الوطنى للجمهورية العربية المتحدة هذه النظرة فى فصل الوحدة العربية . فبعد الحديث عن أساليب العمل للوحدة ختم الفصل « بأن ذلك لا يؤثر — ولا ينبغى أن يؤثر — على قيام جامعة الدول العربية ، وإذا كانت الجامعة العربية غير قادرة على أن تحمل الشوط العربى إلى غايته العظيمة البعيدة فإنها تقدر على السير به خطوات . ان الشعوب تريد أملها كاملا ، والجامعة العربية بحكم كونها جامعة للحكومات لا تقدر أن تصل أبعد من الممكن . وإن الممكن خطوة فى الطريق

المطلوب الشامل . إن تحقيق الجزء مساهمة فى تقريب يوم الـكل . لهذا فإن الجامعة العربية تستحق كل التأييد ، على ألا يكون هناك تحت أى ظرف من الظروف وهم تحميلها أكثر من طاقتها العملية التى تحددها ظروف قيامها وطبيعته » . ولقد أكد هذه النظرة العملية مرارا الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ، وكان خطابه فى المجلس الوطنى الفلسطينى الثـــانى عام ٦٥ واضحا حين تحدث عن مسالك العمل العربى الثلاثة وذكر منها مسلك العمل من خلال الجامعة العربية كمسلك يتكامل مع مسلك العمل الثورى. ونذكر أن حديثه هذا جاء رداً على موجة ظهرت تندد بمؤتمرات القمة وبالجامعة العربية .

وتجدر الملاحظة هنا أن الأنظمة العربية المختلفة تلتقى فى موقفها النهائى من الجامعة على الرغم من اختلاف عوامل صنع هذا الموقف عند كل منها . وهام جدا الاستفادة من هذا اللقاء مع وعى حدوده وطبيعته .

إن علينا أن ننطلق من النظرة العلمية للجامعة إلى بذل الجهد لتطويرها ودعمها وفاء بمتطلبات النضال العربى فى المرحلة الراهنة . ولقد أوضحت حرب رمضان ما يمكن أن يحققه العرب ضمن إطار

جامعتهم فى صنع الموقف العربى الواحد فى مجالات النشاط المختلفة . وبات مطلوبا أن تقوم الجامعة بدورها كاملا .

أن أول ما ينبغى علينا عمله من أجل دعم الجامعة وتطويرها أن نقوم بعد التقويم فى وقفتنا الموضوعية بتقديم أفضل الإمكانات العربية البشرية للعمل فى منظمات الجامعة وأجهزتها ، لتخطط هذه العناصر للعمل العربى الموحد فى مرحلته القادمة على ضوء استشرافها آفاق المستقبل العربى فى عالم الغد ، ولتقضى على المكتبية وما يقترن بها من علل . ولتجعل من الجامعة عقـــلا عربيا محركا فى الوطن العربى .

الصراع بين عرب وعرب

ما أقسى أن تتوزع أمتنا بين الانشغال بمتطلبات صراعها ضد العدو الإسرائيلي والأطماع الاستعمارية في وطنها ، وبين الانشغال بصراع دموي ينشب في داخلها يقتتل فيه عرب وعرب. وفي كل مرة يحدث هذا التوزع نراها وكأنها تضع يدها على قلبها وتحبس أنفاسها وتعاني وهي تسعى لإيقاف القتال الجاري داخلها لتتفرغ للعدو المتربص بها. ويتوقف القتال ولكن خطر تجدده سيبقى قائماً حتى نحسم نحن العرب قضية أساسية في واقعنا العربي . هذه القضية هي كيفية حل التناقضات الموجودة بيننا ، وإمكانية حلها سلمياً دون اللجوء إلى العنف .

إن تكرار الصراع الدموي بين عرب وعرب في وطننا العربي خلال الأعوام الخمسة عشر الماضية يطرح هذه القضية. وتجنب الحديث عنها ومعالجتها بسبب حساسيتها هو من قبيل ماتفعله النعامة حين تدفن رأسها في التراب كي لاترى مايضايقها . ومن هنا تأتي ضرورة الانشغال بهذه القضية بعد أن أصبح الصراع الدموي ظاهرة متكررة الحدوث في وطننا يشتد خطرها ويؤثر تأثيراً مباشراً على صراعنا ضد

العدو الصهيونى الاستعمارى الذى يهدد العرب جميعا بلا تفريق بينهم.
وإن نظرة فاحصة على تاريخ العرب المعاصر ترينا أن أمتنا عانت وهى في خضم مجابهتها لعدوها من نشوب الصراع داخلها مرات .. أحيانا بين قطرين عربيين ، وأحيانا أخرى داخل القطر الواحد ، ومرة فى مشرق الوطن العربى ومرة فى مغربه .

حين نباشر معالجة القضية المطروحة هذه لابد أن نتغلب على صعوبة أولية هى ما يحيط بالقضية من جو عاطفى يمكن أن يؤثر على الرؤية العقلية لها وتحكيم المنطق فى معالجتها . وعلينا أن نتابع بعد ذلك الحذر من أن ننساق ونحن نعالجها فى النمط الوعظى الخطابى الذى كان يسود فى كل مرة ولا يجدى إلا قليلا وتبقى القضية مطروحة تنتظر الحسم .

يحسن بنا أولا أن نبدأ بتحديد طبيعة هذا الصراع بين عرب وعرب ووضعه فى مكانه من صورة المرحلة التى تعيشها أمتنا .

من الواضح أن أمتنا فى هذه المرحلة ومنذ تفتح يقظتها فى القرن الماضى لا تزال تعانى من تناقضات فى داخلها هى نتاج عصر التخلف والانحطاط ، وهى أيضا تعبير عن اختلاف أطوار النمو الحضارى

فيها . وحين تسلط الاستعمار على العرب فى النصف الأول من هذا القرن زاد من حدة هذه التناقضات وعمل على تكريس أوضاع تمكن من استمرارها قبل أن يضطره النضال العربى للخروج. وهكذا نجد فى وطننا تناقضات يحكمها العامل الاقتصادى بين أغنياء وفقراء، وبين بقايا الإقطاع العسكرى من العهد العثمانى والرأسمالية الحديثة من العهد الاستعمارى وبين من يقع عليهم الاستغلال من فئات الشعب . ونجد فى وطننا تناقضات يحكمها العامل الاجتماعى بين أنماط حياة عديدة تتحكم فيها مثل وقيم مختلفة فى بعض اتجاهاتها . . فهناك البادية والقرية والمدينة ولكل منها عالمها . ثم نجد فى وطننا تناقضات تلبس ثوب المذهبية والطائفية ويدخل الدين والمعتقد فيها عاملا يتفاعل مع العاملين السابقين أو يتلبسهما . وتبرز من خلال ذلك كله تناقضات سياسية تعبر عن نفسها من خلال العمل السياسى وتظهر فى تكوين مؤسساتنا السياسية .

إن وجود هذه التناقضات فى أمتنا ليس شيئا خاصا بها . فهى لاتنفرد به ولا هو بدعة فى الحياة الإنسانية ، بل أننا لا نجد مجتمعا إنسانيا خال من التناقضات . وإدراك هذه الحقيقة أمر هام عند

النظر للقضية المطروحة ، لأن النظرة العاطفية لهذه التناقضات تضخمها إلى حد يدفع لإصدار أحكام خاطئة بشأنها والحق أن وجود هذه التناقضات فى أمتنا مقترن فى الوقت نفسه بوجود وشائج قوية بين أبنائها ، وبحقيقة انتمائهم القومى لأمة واحدة اكتملت فيها عناصر القومية منذ أربعة عشر قرنا ، أى قبل أمم كثيرة أخرى .

ويحضرنا كمثل على النظرة العاطفية للتناقضات كلمة رئيس جمهورية سوريا الراحل شكرى القوتلى عقب إعلان الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ للزعيم الراحل عبد الناصر التى وصف فيها شعب سوريا العربى مبرزا التناقضات فيه . وما أكثر ماتتردد هذه الكلمة على الألسنة حين يجرى الحديث عن الفرقة بين العرب .

إذن أمتنا ليست بدعا بين الأمم فى وجود تناقضات داخلها ، ومن المتوقع أن تنشب أشكال من الصراع فيها تعبيرا عن هذه التناقضات ولكن لماذا يبلغ الأمر حد دموية الصراع ؟

يبرز هذا السؤال بقوة لما نستشعره من أخطار الصراع الدموى، خصوصا وأن أمما أخرى فيها الكثير من التناقضات لاتعرف الصراع الدموى كمحاولة لحلها .

إن النظر فى أحوال الأمم يمكننا من ملاحظة أن الصراع الدموى فيها يجرى حين تكون الأمة فى مرحلة تستكمل التعبير فيها عن وجودها القومى ببناء كيانها السياسى الموحد . وفى تاريخ العالم الحديث نجد أن فرنسا شهدت صراعات دموية حين حسمت تناقضات الأمارات الإقطاعية ، ولبست هذه الصراعات مرة ثوب الحروب الدينية حتى جاء مرسوم نانت ، ثم تفجرت بصورة الثورة الفرنسية مرة أخرى . ونجد حربا أهلية فى بريطانيا وحربا أهلية أخرى فى الولايات المتحدة ، وكلاهما كانتا قبل الوصول إلى الدولة الواحدة المتماسكة . وفى تاريخنا العربى تستوقفنا تلك الحروب التى جرت بين قيس ويمن ، فى مطلع الإنطلاقة العربية ، والتى كثيرا ما نستشهد بها كدليل على أن الفرقة عميقة الجذور فينا ، وهى أيضاً تقع ضمن المرحلة التى نتحدث عنها ، وأمتنا ليست فريدة فى هذا الشأن . وهناك مرحلة أخرى ينشب فيها الصراع الدموى فى حياة الأمم ويكتسب خطورة كبيرة ، وذلك حين يعبر عن استحكام الفرقة مع وجود خطر خارجى فى طور انحلال حضارى . ولعل المثل الصارخ عليه الصراع الدموى بين ملوك الطوائف العرب فى الأندلس. ونلاحظ أن الأمة بعد أن تستكمل بناء كيانها السياسى الموحد

تصبح قادرة على حل تناقضاتها بعدم اللجوء إلى الدم والعنف وبالأساليب السلمية فتتوفر طاقاتها لتشييد صرح تقدمها .

كان لا بد من هذا النظر في أحوال الأمم لنسترشد به في الإجابة على السؤال الذي برز بقوة متسائلا لماذا يبلغ الأمر حد دموية الصراع في أمتنا حين تجرى محاولة حل تناقضاتنا ؟

ليس من الصعب إدراك حقيقة أن أمتنا تسعى جاهدة لاستكمال بناء كيانها السياسي الموحد بعد أن قطعت شوطا في نهضتها وانبعاثها الحضاري ، وبعد أن نجحت في تحرير غالبية وطنها من الاستعمار . وهذا الاستكمال يتم في أمتنا على صعيد الكيانات القطرية والكيان القومي ككل في وقت واحد . ولقد نشب الصراع الدموي في تاريخ العرب الحديث والمعاصر نتيجة تفاعل عاملين أولهما ما نعانيه كعرب من رواسب التخلف وآخرهما العامل الخارجي المتمثل في العدو الاستعماري الصهيوني الذي يسعى بدأب للنفخ في أوار هذا الصراع بين عرب وعرب .

ان خطورة الصراع الدموي هذه تتضاعف مع وجود صراع آخر بين الأمة ككل وبين عدوها الخارجي . وواضح أن أمتنا تعيش في مرحلتها الراهنة هذين النوعين من الصراع . فهي بمجموعها

تجابه العدو الصهيونى الاستعمارى وصراعها معه قضية وجود ومصير . وهى أيضا تعانى من الصراع الداخلى المعبر عن التناقضات فيها . وواضح أن الانشغال بالنوع الأخير والانسياق فيه إلى الدموية والقتال يعنى المساس بقدرتها على حسم الصراع الآخر الذى لا يمكن أن يحسم إلا بالقوة . ومن هنا يبرز التوجه للعمل على تهدئة تناقضاتنا الداخلية من أجل التفرغ لحسم تناقضنا الرئيسى مع العدو الخارجى ، وتلح فكرة حل تناقضاتنا سلميا دون اللجوء إلى العنف .

وهكذا يوصلنا تحديد طبيعة الصراع بين عرب وعرب ووضعه فى مكانه من صورة المرحلة التى تعيشها أمتنا إلى ضرورة السعى لحل تناقضاتنا سلميا والالتزام بهذا الحل حتى نكون قادرين على حسم صراعنا ضد العدو . هذا إذا نظرنا الى القتال بين عرب وعرب من ناحية تأثيره على حربنا ضد المحتلين الغاصبين . ويمكننا أن نصل إلى النتيجة نفسها ونتأكد من سلامتها حين نستحضر حقيقة أن الصراع الدموى داخل أمتنا لم يكن قادرا فى كل مرة نشب فيها على الوصول لنتيجة حاسمة فى حل التناقضات التى عبر عنها وتفجر بسببها . فالحق أننا نفتقد فيه صورة الغالب والمغلوب التقليدية ، ولا

تبدو إلا صورة المعاناة وتبديد القوى والطاقات وقد أحسن أديب العصر كازانتزاكى تصويرها فى رائعته « الإخوة الأعداء » عن الحرب الأهلية فى اليونان . ومن هنا تبلورت فكرة حل التناقضات الداخلية سلميا وبفعل التغير المستمر فى العلاقة بين قوى المجتمع .

إننا لو نظرنا فى الفكر السياسى العربى المعاصر لوجدنا أنه انشغل ببعض جوانب القضية ، ولرأينا أن الثورة العربية اجتهدت رأيها فيها وتوصلت الى ضرورة هذا الحل السلمى . فقد تطرق الميثاق الوطنى للصراع الطبقى فوجده « حتميا وطبيعيا ولا يمكن تجاهله أو إنكاره ، وإنما ينبغى أن يكون حله سلميا فى إطار الوحدة الوطنية وعن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات » . هذا داخل القطر الواحد . وفى حديثه عن الوحدة والعلاقة بين قطر وآخر رأى أن الوحدة لا يمكن أن تكون فرضا . وذكر أن القسر عمل مضاد للوحدة وخطر على وحدة الأمة العربية فى تطورها الشامل . وتبقى الحاجة ملحة لتعميق هذه النظرات بالشرح وتلك مهمة الفكر السياسى العربى .

وطبيعى أن يثير هذا الحل أسئلة كثيرة حول كيفية تطبيقه والتوفيق بين متطلبات التغيير وبين حشد طاقات الأمة لمجابهة العدو.

والحق أن التجربة العربية الثورية وإن افتقدت التنظير الذى يجيب عن كل هذه الأسئلة إلا أنها حاولت طرح منهج مستمد من واقع الأمة يحقق معادلة التوازن بين العمل العربى الثورى والعمل العربى الموحد. ومطلوب استمرار المحاولة وإغناء التجربة العملية من خلال الالتزام بالحل السلمى للتناقضات .

ويهمنا وقد أثبتنا النظرة العربية لهذه القضية أن نتعرف أيضاً على نظرة الآخرين لها . وستجد هنا أن الدراسات الغـــربية والصهيونية أولتها اهتماما كبيراً وحددت موقفها منها وسياستها تجاهها إدراكا لما كان لها من تأثير على مسار معركة الأمة العربية معها .

إن عددا من الدراسات الغربية تتحدث عن وجود انقسامات سياسية متعددة بين الدول العربية ، أبرزها كما يقول «مالكولم كير» فى دراسته عن النزاع الإقليمى فى الشرق الأوسط هو ذلك الذى يفصل بين أنظمة الحكم الثورى عن الأنظمة الأكثر محافظة . وبحسب هذا التقسيم هناك مجموعتان ولكنهما لا تشكلان كتلة واحدة حيث يضعف تماسك أعضاء كل مجموعة ويقوى حسب الحالة . وهـــذه الدراسة ترى أن الانقسام « ينشأ لا عن مجرد خداع دبلوماسى

حاذق ، بل عن أزمة داخلية ، اجتماعية ، ثقافية ، اقتصادية نفسية ، أخلاقية ضمن المجتمع العربى ككل » . وتركز دراسة أخرى عن الصراع فى المنطقة والتسليح على أن الأسباب التى تقسم دول المنطقة وتؤدى إلى اقتتالها هى قضايا محلية لا ترجع بجذورها إلى صراع المزودين بالسلاح . ووجود التنافس والعداوات المحلية هو الذى فسح للدول الأجنبية أن تتدخل بالشئون المحلية . « وكان وجود عدد كبير من حالات الصراع المحلى عاملا مساعدا لجعل التزويد بالسلاح مظهراً بارزاً للتدخل الأجنبى » . ولقد تحدثت هذه الدراسة التى كتبها بلومفيلد ولايس عن خمسة حروب نشبت بين دول المنطقة فى الستينات ، كما توقعت نشوب عشرة حروب فى السبعينات . ويكاد القارىء يلمس فى التوقع نوعا من التخطيط المقترح . وما نخلص به من مثل هذه الدراسات هو أن أصحاب المصالح الاستعمارية فى منطقتنا وتجار الحروب يراهنون على الصراع بين عرب وعرب ويخططون كى تتفجر التناقضات الداخلية فى صورة صراع دموى .

ولا حاجة بنا للشرح الطويل عند الحديث عن موقف إسرائيل من الصراع بين عرب وعرب ، فجيلنا يتابع يوميا جهود السياسة الإسرائيلية للنفخ فى أوار هذا الصراع . وعدونا الإسرائيلى

لا يستطيع أن يخفى مشاعره حين ينجح فى ذلك . وقد جاءت تصريحات الزعماء الإسرائيليين أبان أحداث لبنان شاهداً على ذلك. ودوما ستحاول السياسة الإسرائيلية اللعب بورقة الخلافات العربية والمراهنة عليها .

إن نظرة الآخرين للصراع بين عرب وعرب تؤكد على ضرورة حسم القضية المطروحة وحل تناقضاتنا سلميا. وإذا كانت الثورة العربية هى التى بادرت لطرح هذا الحل فإنها فى الوقت نفسه حذرت القوى التى ترفض الحل السلمى لخوفها من المستقبل من « أن ضراوة الصراع الطبقى ودمويته والأخطار الهائلة التى يمكن أن تحدث نتيجة لذلك هى فى الواقع من صنع الرجعية التى لاتريد التنازل عن احتكاراتها وعن مراكزها الممتازة التى تواصل منها استغلال الجماهير » . وكان هذا التحذير دعوة إلى إزالة التصادم توطئة لحل التناقضات . فهل تستجيب هذه القوى للدعوة ؟ انها إن لم تفعل فستكون الخاسرة بحكم منطق التطور وبحكم أن المستقبل هو لأمة عربية استكملت بناء كيانها السياسى الموحد .

ثورة على الرواسب

من أجل بعث القيم الأصيلة

خضرة ربيع لبنان تشوبها هذا العام الحمرة والسواد. حمرة صنعتها دماء قتلى وجرحى جاوزوا العشرات إلى المئات . وسواد رسمه الدمار والتهديم .

وهدوء لبنان يعكره هذا العام أزيز زخات الرصاص ودوى المدافع والصواريخ . ونحن وسط هذا الجو نكتب بينما أنظار كل العرب متجهة إلى ما يجرى مفعمة بالتساؤل والحنق والحزن.

ومع دخول صيف غريب يأتى إعلان تشكيل الحكومة الجديدة وتتباعد أصوات الانفجارات ، فنتطلع لفترة نلتقط فيها الأنفاس لنفكر ونحاول فهم هذا الذى جرى لعلنا نخرج بدروس مستفادة تساعدنا على تلمس أقدامنا فى الشهور القادمة وتحديد ما نريده .

لماذا حدث هذا الاقتتال ؟

دوما يبرز سؤال « لماذا » أولا حين يثقل على الانسان ضغط المأساة . وقد يندفع فى خضم الأحداث إلى الاجابة السريعة مشيرا

---

(١) كتبت هذه المقالة عشية تشكيل حكومة رشيد كرامى فى مطلع شهر يوليو (تموز) ١٩٧٥ .

بأصبع الاتهام إلى هذا أو ذاك وإلى هنا أو هناك . ولكن فترة التقاط الأنفاس والتفكير ترفض رد الفعل وتطلب تعمق الفهم والإنطلاق بالإجابة من النظرة الشاملة السابرة للغور .

ونؤكد على هذه النظرة كى نتبين مدى ضلال الإجابات الانفعالية، ونقطع دابر أحاديث كثيرة غير مسؤولة ترددت إبان الأحداث فى بعض ساحات الوطن العربى وداخل لبنان تحاول طمس الحقائق والانحاء باللائمة على أشباح هربا من مجابهة الواقع .

الأسباب المباشرة فيما جرى يمكننا تحديدها حين نتتبع سلسلة الأحداث التى تتالت منذ شباط الماضى وشهدت صيدا بدايتها. وسنلاحظ ونحن نستعيدها كيف كانت الشرارة تنطلق فتشعل ناراً كامنة، وحين تجرى محاولات إطفائها وتوشك أن تنجح ما أسرع ما تشتعل مرة أخرى بشرارة جديدة .

إذن النار هنا كامنة ، وهى تحت الرماد أو أى غطاء آخر مزركش لها وميض ويوشك أن يكون لها ضرام . والشرارة قد تأتى بفعل حدث داخلى له ما يبرره ، أو تأتى بفعل حدث مفتعل بهدف تعجيل الاشتعال .

مطلوب إذن أن نتعرف على مكونات هذه النار الكامنة التى ما أسرع

ما تضرم ، لنعمل على تغيير بنيتها وإزالة خصائص الاحتراق منها . أما الاقتصار على محاولات منع شرارة من الوصول إليها وإضرامها فهو « حذر لا يغنى عن القدر » وهرب من معالجة أصل الداء .

ستبقى النار فى لبنان كامنة مادامت الصيغة السياسية فيه متخلفة. ولبنان فى ذلك ليس بدعاً وشأنه شأن كل بلد النار فيه تحت الرماد. ذلك أن للتاريخ سننه ولا سبل للقفز عليها أو الفكاك منها ، والحق أن تخلف الصيغة السياسية فى بلد ما كان دوما سبباً فى تفجر الصراع داخله ونشوب الثورات فيه .

ولقد كثر الحديث إبان الأحداث عن المطالب الوطنية وتطرق لدور الصيغة السياسية المتخلفة فى عدم تلبيتها . وبدا من خلال الأحداث ما يمكن لهذه الصيغة أن تجره وتوصل إليه من خراب يبلغ حد تقطيع أوصال البلد .

وواضح أن تخلف هذه الصيغة التى ظهرت فى الأربعينات إبان معركة الاستقلال تضاعف مع عجزها عن ملاحقة ما حدث من تغير فى البنية الاجتماعية والثقافية فى لبنان . فشتان بين صورة هذه البنية اليوم وبينها بالامس . ولا يملك الإنسان العربى فى الوطن العربى أو فى لبنان إلا أن يندهش ويتحسر وهو يقارن بين ما حدث من

تطور ثقافى ومن تغير اقتصادى على أرض لبنان وما بقيت عليه الصيغة السياسية من جمود . ولقد زاد الطين بلة أن هذه الصيغة حين ظهرت عبرت عن رواسب التخلف التى كان لبنان كجزء من الوطن العربى يناضل للقضاء عليها . وهكذا أصبح منظر البلد الذى كان فى مقدمة الأجزاء التى شهدت اليقظة العربية الحديثة فى القرن الماضى بالغ الغرابة فى السبعينات من هذا القرن وهو يحكم بمنطق طائفى سقيم .

ونلاحظ أنه كما حال تخلف الصيغة السياسية فى لبنان دون تلبية المطالب اليومية لأبناء لبنان فإنه كان سببا فى عجز الصيغة عن تمكين لبنان من القيام بدوره فى صد العدو الطامع الذى يمارس عدوانه على الجنوب وفى التكيف مع بروز حقيقة الثورة الفلسطينية . وهكذا اتسع البون بين عطاء شعب لبنان فى هذا المجال وبين قدرة الصيغة على استيعاب هذا العطاء. وطبيعى والأمر كذلك أن تكتمل مكونات النار ، وأن تبرز فى الوقت نفسه النزعات الفاشية للمستفيدين القلة فتزيد من تهيئة جو الانفجار .

ليس صعباً وهذا هو الحال أن تأتى الشرارة من حدث داخلى . وسهل أيضاً أن يفتعل الشرارة عدو خارجى . ولو عدنا لاسترجاع الأحداث التى جرت للاحظنا أن محاولات إطفاء النار التى اشتعلت

كانت حين توشك أن تنجح تلحق بشرارة تشعل النارثانية وبأعمال تنفخ فيها من جديد .

إن هذه الملاحظة تصل بنا أيضا إلى الوقوف عند توقيت هذه الأحداث . فلقد جاءت فى ربيع عام ٧٥ بعد أن بدت حقيقة وجود شعب فلسطين كأقوى وأعظم مانكون فى عام ١٩٧٤ الذى أطلق عليه البعض اسم عام فلسطين . وكان ذلك من خلال تصاعد عمليات المقاومة فى الأرض المحتلة ونجاح نضال الثورة السياسى على الصعيدين العربى والدولى . وهكذا أصبح فى هم التحالف الصهيونى الاستعمارى أن يبذل جهده ليوجه ضربة للثورة الفلسطينية فى محاولة للالتفاف على الحقيقة التى برزت ولتقليص الحجم الذى ظهرت به أمام العالم. ولقد كانت قيادة العمل الفلسطينى واعية مخططات العدو فبذلت جهدها كى تمنع التوتر ووصول شرارة إلى النار الكامنة ، وضاعفت من جهدها بعد انفجار الأحداث لتضبط الأمور وكان توجهها هذا قد تأكد فى اجتماع المجلس المركزى يوم ١٩ أيار حين أشعلت شرارة جديدة فى تل الزعتر .

إذن فى مجال البحث عن النافخين فى النار والمشعلين للشرارة

تتجه أنظارنا إلى العدو الخارجى الذى يستغل وجود النار الكامنة . ولقد تكاثفت أدلة كثيرة على الدور الذى قام به فى الأحداث ، بعد أن مكنت له الأوضاع من دس عناصره .

ولكن لا ينبغى أن تصرفنا هذه الحقيقة عن رؤية مسببات النار الكامنة التى ماأسرع ما تشتعل .

ونسأل أين نحن الآن بعد أن تم التوصل إلى وقف إطلاق النار؟ وإلى أين أوصلتنا الأحداث ؟

أن أول ما نقف عنده هو تلك المعاناة التى عاناها شعب لبنان فى نفسه وماله ، وذلك الألم الذى عاناه كل عربى وهو يتابع ما يجرى . ولقد حفلت الأيام الماضية بالمآسى والأحزان والآلام وكشفت عن بشاعة ما يمكن لرواسب التخلف أن تدفع إليه . وستسجل بعض الجرائم فى صفحات سوداء ويقرأها أولادنا مستقبلا فيخجلون ويدينون من تولوا كبر استغلال رواسب التخلف . والحق أنه مما يندى له الجبين أن يندفع البعض لقتل المرضى والإجهاز على الجرحى وانتهاك الحرمات باسم الطائفية . وينطلق من أعماق وحش بشع لا يجدى المظهر الخارجى اللامع فى تغطيته .

ولـكن مما لاشك فيه أن التجربة كشفت عن إيجابيات عبر عنها النضال الشعبي ودفع ثمنا كبيرا لها . ونشير في هـــذا المجال إلى نقطتين :

الأولى أنه من خلال هذا النضال ووسط هذه المعاناة تحددت المطالب الوطنية التي يمكن أن تقضي حين تتحقق على النار الـكامنة ، وتضع رواسب التخلف في ذكريات التاريخ المريرة لنأخذ منها الدرس والعبرة . وتستبدل للبنان الصيغة بالسياسية المتخلفة صيغة سياسية متقدمة لا تحاول التستر وراء الطائفية والمفاهيم البالية ، وإنما تنطلق من المواطنة والمعاصرة .

والحق أن نظرة فاحصة لتطور المفاهيم السياسية في لبنان خلال العقد الأخير من السنين تـكشف عن مدى ما شهدته سنوات ما بعد نـكسة ٦٧ من تغير في هذه المفاهيم . وتوضح أثر تلاحم شعب لبنان مع الثورة الفلسطينية في تحقيق ذلك . والمثل المحسوس هنا ما نراه من اختلاف بين المفاهيم التي سادت في أحداث ١٩٥٨ والمفاهيم التي برزت اليوم ، والمطالب الوطنية التي ارتفعت تعبر عن نضج الحركة الشعبية ووضعها يدها على أسباب العلة وسبيل التقدم .

النقطة الثانية : أنه من خلال هذا النضال ووسط هذه المعاناة أخذت قيم جديدة عليا تحل محل القيم القديمة البالية . فلم يعد الصراع فى حقيقته صراعا طائفيا تحركه الاتجاهات المذهبية وإنما انكشف على حقيقته باعتباره صراعا اجتماعيا تحاول القلة المستفيدة أن تلبسه الثوب الطائفى . ولم تعد تجدى العصبية الطائفية فى تحريكه . وهذا مافرض ظهور لغة جديدة فى التعبير عنه .

ولعل من أعظم القيم التى ستسود قيمة الأخوة والتسامح . ولن نكون منصفين إن وصفناها بالجدة لأنها سادت قرونا طويلة فى حضارتنا قبل أن تغطيها رواسب التخلف فى القرن الأخير . ولقد ظهرت أمثلة لها كثيرة فى الأحداث الأخيرة واكتفى بمثل أعرف أبطاله ، وفى مقدمتهم أخت مناضلة تناضل فى العمل الفلسطينى ذهبت فى مهمة لمستشفى المقاصد فى الفترة التى كانت تتردد فيها أخبار عن قيام بعض الفاشيين الطائفيين فى أحياء أخرى بقتل المرضى والجرحى الموجودين فى أحد المستشفيات لأنهم من دين آخر . وبعد أن أنهت الأخت مهمتها وبينما هى فى طريق الخروج لاحظت وجود مسلحين على باب المستشفى وعلمت من أحد الأطباء القلقين أن لديه

جريحين من الأخوة المسيحيين ، وهناك خطر يتهددهم من قبل بعض الذين أثارتهم أخبار قتل المرضى والجرحى المسلمين . فما أسرع ما اندفعت الأخت المناضلة للذهاب إلى قيادة الثورة وعرضت الأمر فوجدت ما توقعته من تعبير أصيل عن الأخوة والتسامح وتزودت بالإذن اللازم وبقوة عسكرية رافقتها إلى المستشفى . ومن هناك اتصلت بأخ مناضل من الآباء واتفقت معه على مكان يتسلم فيه الجريحين لينقلا إلى منزليهما فى الجهة الأخرى . . ورافقت الجريحين بعد إسعافهما حتى بلغا مأمنهما مع الأب المناضل .

لقد ذكرتنى هذه القصة بعشرات من قصص الأخوة والتسامح الدينى فى حضارتنا حين كانت هذه القيمة العليا هى الأصل وهى السائدة . كما تذكرت قصة الأمير عبد القادر الجزائرى إبان الفتنة الطائفية عام ١٨٦٠ التى كانت بداية السوء وقد سجلها فيليب حتى فى كتاب تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ووقفت عند المعنى الكبير الذى انطلقت منه الأخت المناضلة والذى يعبر عنه فى المصطلح الحديث بالعلمانية ، ولاحظت المدى الذى تجسد فيه هذا المعنى إيجابيا على أرض فلسطين .

إن بداية سيادة هذه القيم مع وضوح المطالب الوطنية يعنى أن

النضال الشعبي قادر على التزود بطاقة جديدة من التجربة الصعبة التى خاضها وعانى فيها الكثير . وسيكون قادرا على متابعة السير لتحقيق هذه المطالب الوطنية وانتصار القيم . وسيكون حريصا على حل الصراع سلميا وتجنب الاقتتال مااستطاع إلى ذلك سبيلا . وسيلتحم هذا النضال الشعبي دوما بالثورة الفلسطينية التى هى ذروة التجسيد للنضال فى أمتنا .

قد لاتكون الأحداث فى لبنان انتهت تماماً لأن النار لاتزال كامنة، ولكن من المؤكد أن النضال من أجل لبنان متقدم عربى قد دخل مرحلة جديدة .

اليد السفلى والبد العليا

تنقل الأخبار بين الحين والآخر أقدام بعض دولنا العربية على طلب معونات اقتصادية من دول أخرى أجنبية تعرف عادة بالدول الغنية ، ويصطلح على تسمية بعضها بالدول الكبرى . وكلما قرأت خبرا من هذه الأخبار تبادر إلى الذهن ذلك القول المأثور « اليد العليا خير من اليد السفلى » . وشعرت بضرورة الوقوف أمام ظاهرة طلب المعونات هذه ، وقد تعاظمت فى الآونة الأخيرة ، وبضرورة إعادة النظر فى سياسة طلب المعونات على ضوء عدد من الحقائق التى تحيط بها .

اليد العليا التى عناها القول المأثور هى اليد المعطية ، واليد السفلى هى اليد التى تأخذ . وواضح المعنى النفسى الكبير الذى ينبه إليه القول والذى ينسجم مع قيم ومثل سادت فى حضارتنا . ولكن يبدو أن الأمر لايقتصر على هذا المعنى النفسى بل يتجاوزه إلى معنى اقتصادى ، والمعنيان معا يفرضان علينا إعادة النظر .

ويلفت النظر ويزيد من نفورنا الأولى من طلب هذه المعونات

أخبار أخرى تصدر فى الوقت نفسه تتحدث عن إقدام بعض دولنا العربية على كنز ثرواتها أو توظيفها فى خزائن تلك الدول الغنية . ومن خلال هذه الأخبار تبدو المفارقة كأشد ما تكون حدة على أكثر من مستوى . فهذا المال الذى يكنز هناك عربى سرعان ما يصرف قسم منه لدول عربية محتاجة عن طريق الدول الغنية التى تسلطت عليه. وهذا المال حين يسلم لتلك الدول الغنية لا يأخذ صورة المعونة لها ولكنه حين يقدم منها لنا يحاط بكل قيود المعونة المعنوية والمادية ، ويأخذ شكل يد عليا تقدم ليد سفلى .

إن إعادة النظر فى سياسة طلب المعونات يمكن أن تتم على ضوء حقيقتين

أولهما: ما كشفت عنه سياسة المعونات الاقتصادية التى تنتهجها الدول الغنية سواء فى مواقفها من المعونة أو الفوائد التى تجنيها منها أو الشروط التى تفرضها أو أثر المعونات على التنمية أو المشاكل الناجمة عن المعونة فى الدول التى تتلقاها .

ثانيهما : حقيقة الترابط القومى بين الدول العربية والثروة العربية القومية اليوم .

لقد مضت فترة كافية على ظهور سياسة المعونات الاقتصادية ، بحيث بلورت الممارسة والتطبيق حقيقة هذه السياسة . فمنذ ربع قرن والدول المستقلة حديثا تمثل حقل تجارب خصبا لسياسة المعونات ، وذلك فى أعقاب الحرب العالمية الثانية وبعد تطبيق مشروع مارشال الأميركى لمعونة أوروبا الغربية . ويمكننا أن نتعرف على أركان حقيقة هذه السياسة من خلال الدراسات التى تناولتها ومن خلال مارسخ من تجارب عالمنا الثالث فى هذا المجال .

— فبالنسبة لدوافع المعونة عند الدول التى تقدمها أصبح واضحا أنها دوافع عدة فى مقدمتها النفوذ السياسى . وفى دراسة هامة لروبرت ولترز* يعدد أيضاً من دوافع المعونات الاقتصادية الاميركية دافع تحقيق فوائد اقتصادية « فعندما تحقق المساعدات بعض التنمية فى الدول المتخلفة تضمن الولايات المتحدة موردا كافيا من المواد الاستراتيجية الخام وتخلق جوا صالحا لاستثمار الأموال الأميركية ، وتزيد فى حجم صادراتها لتلك الدول بزيادة طلبات

(*) روبرت والترز .. المعونات الأمريكية السوفيتية ترجمة د . نبيل صبحى دار القلم الكويت .

الاستيراد » . . والنفوذ السياسى الذى تسعى إليه الولايات المتحدة يأخذ أسماء مكافحة الشيوعية فى مرحلة ، وضمان أمن العالم الغربى فى مرحلة أخرى . ويغلف بالمشاعر الإنسانية كما يساندبالنفوذ الثقافى وصيانة الأنظمة القائمة .

— وبالنسبة لأثر هذه المعونات على عملية التنمية فى الدول التى تتلقاها يلاحظ أن وكالة التنمية كانت تميل إلى تضخيم الإنجازات الناجحة فى عملية التنمية الاقتصادية . وقد ثبت أن هذه التنمية فى بلدان العالم الثالث لم تؤد إلى الاكتفاء الذاتى ، وإلى قيام هذه البلدان على أقدامها . بل أدت إلى تفاقم حاجتها إلى المعونة أكثر فأكثر ومن ثم إلى مزيد من المصاعب أمام تحقيق التنمية . ويقول ولترز فى دراسته « إن مجمل المراجع الغربية عن التنمية الاقتصادية والسياسية فى السنين الأخيرة أظهرت تراجعا عن التفاؤل الموجود فى أنماط البرامج الأميركية للمساعدة الاقتصادية » .

— وبالنسبة للشروط التى تقترن بتقديم المعونات بات مؤكدا أنه لا مكان لمعونات غيرمشروطة، وأن جميع الدول التى تتلقى هذه المعونات تنوء كواهلها عن تحمل الشروط التى تفرض عليها .

وتتضمن القائمة عادة سعر الفائدة ومدة التسديد واقتسام المصاريف بين الدولة التى تقدم المعونة والدولة التى تستلمها . وأهم من ذلك كله الشروط السياسية والاقتصادية التى يصطلح على تسميتها « بالخيوط » العالقة بالعون. ومعلوم أن فى العون الأميركى نصوص صريحة واضحة لقيود تفرض على كيفية منح العون والطريقة التى يجب أن يستعمل فيها. وهى موجودة فى قانون برامج العون والتعديلات التى وضعها الكونجرس لهذا التشريع . والمثل الصارخ على هذه الخيوط السياسية أن قانون برنامج « الغذاء من أجل السلام » الأميركى عام ١٩٦٦ يمنع الولايات المتحدة من تموين البلاد التى لها أية علاقة تجارية بفيتنام الشمالية أو التى تبيع أى شىء لكوبا ماعدا الأدوية والأغذية غير الاستراتيجية والمحصولات الزراعية ، ولقد كان على الهند وهى تعانى من خطر مجاعة تهدد الملايين فيها أن تقبل هذه القيود أوائل عام ١٩٦٧ . وتستعمل الخيوط الاقتصادية فى العون الأميركى كواسطة لحفظ بعض المصالح الأميركية الخاصة والعامة . كما تستعمل لتخفيف عبء المعونة عن كاهل الولايات المتحدة . والحق أن هذه الخيوط تفرض عودة كل مايقدم إلى المنبع • ويوجز ولتزر فى دراسته القول عن هذه القيود السياسية والاجتماعية بأنها فى الواقع

« تنازلات من الدولة المتخلفة للدولة المعطية » .

هذه بعض جوانب حقيقة المعونات . وبقية الجوانب تكشف عن مدى خطورة وقوع دول العالم الثالث فى براثن هذه السياسة . ولعل من أبرز أخطارها مشكلتين حادتين تنجمان عنها هما مشكلة الديون وعبء تسديدها ومشكلة الأجواء السياسية والاجتماعية والاقتصادية التى تنفذ فى إطارها برامج المعونة للدول النامية . ولقد ظهر أن مبالغ الديون تزيد سنويا بالفائدة بمقدار ١٢ بالمئة ، وقد اضطرت الهند لاستعمال ١٥ — ٢٠ بالمئة من قطعها النادر الذى ربحته من صادراتها لدفع الديوان الخارجية العامة عام ١٩٦٦ ، وبعد ثلاث سنوات بلغت أقساط الهند فى تسديد ديونها ٥٤٧ مليون دولار . وهذا الواقع حدا بالرئيس السابق للبنك الدولى أن يقول: « إذا استمر الحال على هذا المنوال تكون كمية رؤوس الأموال الخارجية فى الدول النامية أكثر من المبالغ الداخلة إليها فى فترة خمسة عشر عاما بسبب الفوائد » .

إن الصورة التى ترسمها هذه الحقيقة الأولى هى صورة مخيفة تؤكد الخلل فى النظام الدولى وتكشف عن معاناة الدول المتخلفة

النامية . ولا حاجة بنا إلى الإسهاب فى الحديث عن معاناتنا نحن العرب كجزء من العـــالم الثالث ، لأن تاريخنا المعاصر حافل بالأمثلة عليها .

هل يجوز والأمر كذلك أن نقع فى براثن سياسة المعونات ؟

ربما كان من الصعب طرح هذا السؤال قبل عقدين من السنين لأن واقع الدول النامية حديثة العهد بالاستقلال التى نهب الاستعمار ثرواتها كان يدفعها دفعا لطلب المعونة ، وكانت نظرة عدم الانحياز أن طلب المعونة حق وتقديمها فرض على الدول الغنية كيلا يستفحل خطر الخلل القائم فى النظام الدولى . وهذه نظرة سليمة فى وقتها عبرّ عنها عبد الناصر فى أكثر من خطبة . ولكن الحصار الذى تعرض له عدم الانحياز مكّن من قرن المعونات بالشروط فظهرت حقيقتها . وبات ملحا البحث عن سبيل آخر . وجدّت ظروف فرضت طرح هذا السؤال .

فقد حدث ارتفاع نسبى فى سعر النفط وطرح ذلك موضوع التوازن بين أسعار المواد الأولية والمواد المصنعة . وتجمعت ثروات فى وطننا بفعل زيادة أسعار النفط . وهنا أصبح السؤال مطروحا وبرزت الحقيقة الأخرى .

الحقيقة الأخرى هى أن الثروة العربية بمنطق الترابط القومى والنظرة القومية تـكفى لسد حاجات كل البلدان العربية من أجل التنمية . ومن هنا يكون الجواب الواضح أنه لا يجوز لنا بحال أن نقع فى براثن سياسة المعونات . ولا مبرر لنا كعرب فى هذه الحقبة التاريخية يبرر طلب دولة عربية المعونة من خارج الوطن العربى .

يؤكد هذا الجواب أن الثروات الفائضة عن بعض الأقطار العربية تتجه إلى الدول التى تطلب دول عربية منها المعونة . ولقد كان من دواعى المرارة لنا فى الشهور الماضية أن نقرأ أخبار توظيف أموال عربية فى اليابان ثم طلب دولة عربية عونا من اليابان . وقد تـكرر الأمر مع عدة دول غربية .

وواضح أن وقوع بعض الدول العربية فى براثن سياسة المعونات ، وظهورها بمظهر اليد السفلى ، متصل بواقع التجزئة العربية وغياب سياسة مالية عربية واحدة . ومن هنا تلح علينا فى هذه الفترة حفاظا على وطننا وعلى الثروات العربية ضرورة وضع هذه السياسة ومباشرة تنفيذها .

ولا حاجة للاسهاب فى شرح أن تورط أية دولة عربية فى قبول

المعونات سيؤثر تأثيرا سلبياً على قوة الوطن بمجموعه وعلى الخصوص سيؤثر على الدول العربية النفطية صاحبة الثروات .

ونقف عند وضع هذه السياسة الحالية ، فنجد للانصاف أن التعبير الأدق هو إعادة وضعها لأن خطوات هامة تمت فى طريق الوضع ولـكن على الورق ، وبقى أن توضع مـــوضع التنفيذ . وكمثل عليها نشير إلى أن المجلس الاقتصادى العربى يحتفل فى هذا الشهر بمضى ثمانية عشر عاما على إعلان الوحدة الاقتصادية بين دول الجامعة العربية . وحين نقرأ بنود هذه الاتفاقية نجد فيها أن « عقد الاتفاقات التجارية واتفاقات المدفوعات مع البلدان الأخرى يجب أن تتم بصورة مشتركة » ونجد نصوصاً أخرى . كما نجد بين مجموعة الاتفاقات والمعاهدات الاقتصادية العربية المعقودة فى نطاق جامعة الدول العربية ما يرسم خطوط سياسة مالية عربية يمـكن أن ننطلق منه لإعادة وضعها بما يناسب المرحلة الراهنة .

المطلوب إذن هو الإرادة العربية لوضع هذه السياسة موضع التنفيذ . ولقد أثبتت هذه الإرادة فعاليتها فى مناسبات هامة

نذكر منها مؤتمر القمة بالخرطوم إثر نكسة ٦٧ . ولقـــد آن الأوان أن تتجسد فى مؤتمر القمة القادم وتعلن مبدأ رئيسيا بالامتناع عن طلب المعونة من دول أجنبية واكتفاء العرب ذاتياً بتطبيق التكافل الاقتصادى . وعندها نردد بفخر « اليد العليا خير من اليد السفلى » .

الاتحاد الاشتراكى

أمام الفرصة الأخيرة

فى الذكرى الثالثة والعشرين لثورة ٢٣ يوليو تتجه أنظار العرب إلى مصر العربية ، لتشارك فى الاحتفال بعيد الثورة العظيمة وتتابع ما يجرى على أرض الكنانة .

لقد اكتسبت المشاركة العربية فى الاحتفال بعيد ثورة يوليو صفة العادة عند جماهير أمتنا منذ أن دللت هذه الثورة على شعبيتها وتقدميتها فالتحم الشعب العربى بها ، وأصبح عيدها فى يوليو من كل عام عيداً قومياً عاماً تتجسد فيه حقيقة وحدة الأمة ، وتتجدد فيه آمالها ببلوغ أهداف الثورة الثلاثة الحرية والاشتراكية والوحدة .

وفى هذا العيد القومى يقترن بالثورة اسم عبد الناصر العظيم الذى مثّل فى حياته لجماهير شعبنا معنى الزعامة القومية وأصبح بعد وفاته رمزاً للثورة العربية .

ومتابعة العرب لما يجرى على أرض الكنانة تعبير صادق عن انشغالهم بمصر . ومن الواضح أن مصر من بين الساحات العربية الأخرى فى الوطن العربى تأتى فى المرتبة الأولى من انشغال العرب . ولقد كان هذا الأمر مثار دهشة أحد المثقفين من أبناء مصر حين قام بزيارة لعدة أقطار عربية فلاحظ أن كثيرين فى هذه الأقطار يناقشون تفاصيل ما يجرى فى مصر ، وتحتل مصر فى صحفهم وكتاباتهم جانباً كبيراً ، الأمر الذى دفعه إلى التساؤل عن سر هذا الاهتمام .

والحق أن هذا الاهتمام هو حصيلة تفاعل عوامل محددة أعطت مصر مكاناً خاصاً فى الوطن العربى وحملتها مسؤولية خاصة .

فهناك أولا ما لمصر من مكانة حضارية احتلتها بحكم تفاعل حقائق التاريخ والجغرافيا .

وهناك ثانياً ما زرعته الثورة العربية فى مصر وما خلفته فيها من تراث .

وهناك ثالثاً ثقل دور مصر بحكم هذين العاملين وبحكم الكثافة السكانية فى أية مواجهة ضد العدو الاسرائيلى من أجل تحرير الأرض .

وهكذا أصبحت القاهرة فى وجدان كثير من العرب فضلا عن كونها عاصمة لمصر عاصمة للوطن العربى الكبير . ولا بد من الإشارة هنا بأسف إلى أن هذه الحقيقه غائبة عن قطاع من المثقفين المصريين الذين وقعوا فى إسار الاقليمية ، الأمر الذى يدفعهم إلى اساءة فهم ما ينتج عنها ، وإلى اساءة التعبير عن مصر فى الوطن العربى .

* * *

ونحن نتابع مايجرى فى مصر العربية نجد أموراً كثيرة تستحق أن نقف عندها فى المجالات الداخلية والعربية والدولية . ومن بين هذه الأمور نقف فى ذكرى الثورة عند الاتحاد الاشتراكى العربى الذى ينعقد مؤتمره القومى هذا الاسبوع ، لنتعرف على تجربته فى صورتها الجديدة ولننظر فى مستقبل هذه التجربة على ضوء الظروف المحيطة بها .

وان اختيارنا هذا يرجع إلى إدراكنا أهمية قضية التنظيم فى دول العالم الثالث عموماً وفى أقطارنا العربية كجزء من هذا العالم الثالث . كما يرجع إلى أن تجربة الاتحاد الاشتراكى كانت رائدة

فى المنطقة حين باشرها عبد الناصر عام ١٩٦٢ . وقد اقتفى أثرها أكثر من قطر عربى وعدة دول نامية . فظهرت فى الوطن العربى تجربة الاتحاد الاشتراكى فى السودان وتجربة الاتحاد الاشتراكى فى ليبيا بعد حدوث التغيير فيهما ، وظهرت أكثر من تجربة على الصعيد الشعبى فى المشرق العربى للاتحاد الاشتراكى بين الوحدويين العرب .

اننا ونحن نقف أمام الاتحاد الاشتراكى فى مصر ننظر بدقة إلى ما يجيش من تفاعل القوى الاجتماعية فيهـا على السطح وفى الأعماق . ومن الواضح أن هـذا التفاعل سيحدد مستقبل تجربة التنظيم هذه . والسؤال المطروح عشية انعقاد المؤتمر القومى هو :

هل ستدب الحياة فى الاتحاد الاشتراكى فتستمر تجربته وتنمو ؟

أم ستنتهى هذه التجربة لتفسح المجال أمام قيام أحزاب ؟

يبدو السؤال المطروح حاداً فى صيغته . والحق أن هـذه الحدة مرتبطة بالظروف التى تحيط بانعقاد المؤتمر القومى وبالأحداث التى أوصلت قبل ذلك إلى انعقاده . ويمكننا من بين هـذه الظروف

والأحداث أن نشير إلى عاملين سيكون لهما تأثيرهما المباشر على التجربة .

* العامل الأول عامل خارجى يحيط بالاتحاد الاشتراكى ، وهو وجود معارضة علنية له تعبّر عن نفسها بوسائل مختلفة . وهذا أمر يحدث للمرة الأولى فى تاريخ التجربة . وقد بدأت هذه المعارضة بالاعلان عن نفسها على صفحات الجرائد وفى أجهزة الأعلام إثر حرب رمضان ، واتخذت شكلا واضحاً قبل عام ، حين طوحت السلطة ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى للمناقشة. وعلى الرغم من أن السلطة حسمت المناقشة فى اكتوبر (تشرين ١) الماضى لصالح بقاء صيغة التحالف التى يقوم عليها الاتحاد الاشتراكى فإن المعارضة العلنية استمرت مستفيدة من بعض المنابر الاعلامية وما أعلنته السلطه من حرصها على حرية الصحافة . وهكذا جــــرت عملية فتح باب العضوية فى التنظيم ومباشرة انتخاب قياداته وسط هـذه المعارضة العلنية التى اتخذت أسلوباً مباشراً وأسلوباً غير مباشر .

فأما الأسـلوب المباشر فهو النقد لفـكرة الاتحاد الاشتراكى وتجربته والمطالبة بقيام الأحزاب . وأما الأسلوب غير المباشر فهو التركيز على إبراز سلبيات حدثت فى مسيرة ثورة ٢٣ يوليو

العظيمة وتضخيمها للنيل من المسيرة ككل ، وتشويه صورة التنظيم فيها .

ويلاحظ أن هذه المعارضة تضم فى المقام الأول المعادين للثورة ، سواء منهم أولئك الذين عادوا حديثاً لمصر أو الموجودون من قبل الذين كانوا يقومون بمعارضتهم سراً وأصبحوا يمارسونها علناً . وتضم المعارضه فضلا عن هؤلاء قطاعاً من المثقفين من مختلف الاتجاهات يرفض بحكم ثقافته فكرة التنظيم الواحد ويميل إلى ممارسة الحرية وفق الأسلوب « الليبرالى » . وقد لوحظ فى مناقشات ورقة التطوير بروز عدد من هؤلاء المثقفين بينهم اليمينى واليسارى والوسط .

والأمثلة على هذه المعارضة العلنية كثيرة ويمكننا أن نراها فى الصحف يومياً ، كما نرى مناقشة لها فى ردود المكلفين بالأشراف على الاتحاد الاشتراكى أو فى رسائل قراء متحمسين للاتحاد الاشتراكى .

ولقد كان مما يلفت النظر أن يكتب واحد من أشهر المعادين للثورة مهاجماً التنظيم يوم فتح باب العضوية ومطالباً بعودة

الاحزاب على صفحات « الأهرام » « والأخبـــار » . ولم تمض أيام على نشر رسالتين من رسائل القراء تردان عليه ، فضلا عن ردود شباب كثيرين عليه نشرت فى مجلة « الطلاب » .

* العامل الآخر الذى سيكون له تأثيره المباشر على تجربة الاتحاد الاشتراكى يمكننا أن نصفه بأنه عامل داخلى كامن فى طبيعة التجربة نفسها . والمتابع لشرح المسؤولين لتصوراتهم حول التنظيم يلمس هذا العامل من خلال بروز تساؤلات وقضايا تثور . فالنسبة لماهيته أهو حزب واحد أم تنظيم ؟ وما إمكانه من السلطة ؟ وكيف يمكن له وهو بهذا الاتساع أن يقوم بدوره ؟ وإذا كان لابد من جهاز سياسى له فما مكان هذا الجهاز منه وكيف يتم تكوينه ؟ وما هى مهام التنظيم ؟ وهل هو حين يمارس دوره يحكم أم يخدم بالحكم ؟ فهذه الأسئلة وغيرها لا تزال مطروحة وهى بمجموعها تصنع هـــذا العامل الداخلى ، وتعرض التجربة للاصطدام بقضايا حساسة أو الوقوع فى « مطبات » . ولقد جرى طرح بعضها من قبل ، وقامت ورقة التطوير بمحاولة الإجابة عليها ولكن هذه المحاولة تبقى نظرية تنتظر الممارسة ليتبين مدى صوابها.

ويجدر بالذكر هنا أن الأزمة التي سبقت ١٥ مايو ١٩٧١ حدثت في نطاق الاتحاد الاشتراكي ، بغض النظر عن عواملها الأصلية . وعلى الرغم من محاولات تحديد دور التنظيم إثر تلك الأحداث فإن التجربة شهدت تفاعلا تيارات قوية قبل أن تقف .

لقد كررت ورقة التطوير بأن « بناء تنظيم سياسي من موقع السلطة أمر صعب » . وسجلت للاتحاد الاشتراكي في تجربته السابقة على صدورها إيجابيات عدة ثم عرضت للسلبيات التي ظهرت فيها وحاولت إيجاد صيغة تعالج بها هذه السلبيات . ولكن هذه الصيغة نفسها تطرح التساؤلات وتثير القضايا التي ذكرناها .. وتبقى الممارسة هي المحك في كل الأحوال .

إن هذه الممارسة بدأت . وقد تمت انتخابات مستويات التنظيم حتى المؤتمر القومي . وسينعقد هذا المؤتمر في عيد الثورة . وسابق للأوان تقويم التجربة ، ولكن يمكن رصـــد بعض المؤشرات فيها .

— من الملاحظ أنه على الرغم من وجـــود للمعارضة العلنية للاتحاد الاشتراكي وتغيير شرط العضوية التي أصبحت اختيارية

فإن الإقبال على الدخول فى التنظيم كان كبيرا ، وشهدت انتخابات الوحدات حماسة فى التنافس فى عدد من المناطق .

والحق أن المعارضة العلنية مثلت تحديا حدثت استجابة صحيحة له فى أوساط فئات من الشعب العامل . ومن الملاحظ أن هذه الاستجابة تعبر عن نفسها بقوة مع تتالى الأصوات التى ترتفع بالهجوم على ثورة ٢٣ يوليو . ولقد عبرت المسيرة العظيمة التى خرجت فى ذكرى وفاة عبد الناصر الماضية عن هذا المعنى وهى تحيى القائد الرمز وتؤكد استمرار الثورة .

وحين نقرأ ردود القراء على الكتابات التى تهاجم الثورة نرى أمثلة على هذه الاستجابة الصحيحة . وقد جاء فى رد أحد العاملين فى شركة كيما على المقال السابق « أننى أريد أن أطرق على الكاتب السؤال التالى : لماذا أنت الوحيد الذى مازال يكتب ضد الاتحاد الاشتراكى ؟ :. إن موقف أبو الفتح من بعض أبطال ثورة ٢٣ يوليو ينعكس على التنظيم السياسى الذى هو رمز الثورة بل روحها مما يجعله يتصور أن إلغاء الاتحاد الاشتراكى ثم عودة الأحزاب سوف يضيع معالم الثورة أو ينهيها . . أن الحب يبنى لكن الحقد يهدم » . كما جاء فى رد طالب من جامعة الزقازيق

« لماذا تتوقع فشل تطوير الاتحاد الاشتراكى قبل أن يبدأ ؟ ن فرصتك الذهبية فى عهد السادات هى أن تأخذ مكانك بين من يبنون مصر لتضع ولو حجراً واحداً فى صرح البناء الذى سيبنى سواء رضيت أم أبيت » .

ومن الملاحظ أن نتائج انتخابات المستويات أسفرت عن ظهور وجوه جديدة قدرت بأكثر من ٨٠ ٪ ، من بينها ٦٠ ٪ من الشباب . وقد فشل فى هذه الانتخابات عدد من أعضاء مجلس الشعب ونجح عدد آخر . ويبدو أن المنطق السائد بين كثير من هؤلاء المتحمسين فى مواجهة العامل الداخلى وما يتضمنه من تساؤلات وقضايا هو أن الممارسة الإيجابية هى الكفيلة بتقديم إجابات تعبر عن مصالح قوى الشعب العامل . ولقد أكد هؤلاء ما قيل فى مصر من الحديث عن إيجابيات تجربة الاتحاد الاشتراكى من أن عدداً لا يستهان به من المواطنين قد تدرب داخله على طرح القضايا العامة ومناقشتها .

— يجرى الحديث عن تعدد المنابر فى الاتحاد الاشتراكى ، ومن المتوقع أن تعبر الاتجاهات المختلفة عن نفسها فى الصحافة .

فهل سيؤدى ذلك إلى بلورة مجموعات تقوم فى وقت قادم بإنشاء أحزاب ؟

إن مبرر طرح هذا التساؤل فضلا عن دور الحوار فى هذه البلورة هو أن هناك اتجاها يطرح قيام الأحزاب كصيغة متقدمة على صيغة الاتحاد الاشتراكى . ولقد جاء فى حديث للرئيس السادات رد فيه على أسئلة أعضاء وفد أميركى « فى الحقيقة نجد أن نظام تعدد الأحزاب قد ينجح فى بعض البلاد ، وهو ينجح بصفة خاصة فى الدول التى انتهت من بناء أسس تقدمها ، ومن ثم تتنافس الأحزاب فيما بينها على أنسب التطورات لسبل تحقيق الرخاء . ولـكن حينما يكون شعب فى مرحلة البناء الأولى ، فإن تجربتنا قد دلت على أن الأحزاب فى هذه الأحوال قد تحول القضايا الوطنية إلى خلافات شخصية ، كما أنها قد تعطل أسس البناء » ومثل هذه النظرة تجدها عند بعض المثقفين . وقد كتب لويس عوض مؤخرا فى الأهرام عن نظرة الرأى العام الأميركى لما يجرى فى مصر فقال « وكلما واجهتهم بهذا السؤال كيف تـكون هناك عودة إلى نظام حرية التجارة والاقتصاد الحر ولا تـكون هناك عودة إلى حرية التنظيم السياسى والتعبير السياسى ؟ كانت إجابتهم أن مصر غير

مهيأة للديمقراطية الليبرالية وأنسب نظام سياسى لها هو نظام الحزب الواحد أو إذابة القوى السياسية فى تحالف واحد ، وهو عندهم الوجه الوحيد المضىء الباقى من عهد عبد الناصر . فالأطفال بحاجة إلى وصاية والحرية خطر على الأطفال » . ولسنا فى مناقشة هذا القول ولكننا أوردناه فى معرض التدليـــــل على النظرة لتعدد الأحزاب . ونكتفى هنا بالقول أن تجربة الثورة العربية تؤخذ بمجموعها ولا يمكن الحكم على جانب فيها دون النظرة لبقية الجوانب .

ونعود للسؤال المطروح ، ولا نستبق الجواب ولكن نتابع ما سيجرى فى المؤتمر القومى ونتعمق فهم ما يجيش من تفاعلات على السطح وفى الأعماق . ومن المتوقع أن يكشف انعقاد المؤتمر سواء من داخله أو من خارجه عن القوى الحقيقية التى تتحرك على مسرح السياسة فى مصر ، وعن نوعية حركتها فى هذه المرحلة التى تسعى السلطة فيها لإحراز تقدم فى قضية تحرير الأرض المحتلة وتصطدم بالعناد الإسرائيلى وبالتسويف الكيسنجرى ؟ ويبدو أن احتمال حدوث انسحاب اسرائيلى آخر قبيل انعقاد المؤتمر أصبح

ضعيفا جدا بعد وضوح الموقف الإسرائيلى الذى عبر عنه رابين ، الأمر الذى حدا بمصر لاتخاذ موقف من تجديد مدة القوات الدولية لعل هذا الموقف يقوى الاحتمال من جديد . ومن المتوقع أن يؤثر هذا الجو على سير الأعمال فى المؤتمر .

بقى أن نسجل أنه أيا ستكون الإجابة على السؤال المطروح فإن النظرة المتعمقة لما يجرى فى مصر تبين أن زرع الثورة العربية فيها على صعيد تغيير البنية الاجتماعية سيثمر ، وسيقوم المؤمنون بالثورة بدورهم فى التعبير عن مصر والعرب ويمثلون قوة تتنامى باستمرار ، تعبر عن التيار الوحدوى فى مصر وتلتحم بالتيار الوحدوى فى الوطن العربى عامة . وواضح أن هؤلاء المؤمنين بالثورة العربية فى الوقت الذى يتخذون فيه موقفاً ايجابياً من تجربة الاتحاد الاشتراكى وهو أمام فرصته الأخيرة ويعملون على استمراره ونموه وإنجاحه ، فإنهم ليسوا غافلين عن احتمال انتهاء التجربة بحكم الظروف المحيطة لتفسح المجال أمام قيام الأحزاب . ولذلك فهم لن يفاجأوا بصيغة تعدد الأحزاب بل سيتابعوا نضالهم وعملهم ضمن هذه الصيغة ليقوم تيارهم الوحدوى بدوره كاملا .

وقفة أمام لغتنا السياسية اليومية

نحن العرب أمة يكثر أفرادها من الحديث فى أمور السياسة. تظهر هـــذه الحقيقة بوضوح من خلال متابعة أحاديث ندواتنا ولقاءاتنا ووسـائل أعلامنا . وتتأكد بإجراء مقارنات بيننا وبين شعوب أخرى فى هذا المجال . حيث يتبين منها أننا نأتى فى مقدمة الشعوب التى تتحدث فى السياسة فى حياتها اليومية . ويلاحظ أن كثيراً من العرب يفاجأون عند زيارتهم لأقطار أخرى غربية كانت أو اشتراكية حين يجـــدون حديث الناس منصباً على الرياضة أو الطقس أو الاقتصاد أو الصيد أو الطعام وللسياسة فيه نصيب ضئيل .

لهذه الظاهرة تفسيرها . فهناك عوامل عـــدة شاركت فى تكوينها ، ولعل من أهم هذه العوامل طبيعة الطور الحضارى الذى نعيشه فى هذا القرن ، والتحديات الكبيرة التى جابهتنا كافة وأثرت فى مجرى حياتنا اليومية .

ولـكن بأى لغة يعبر العربى عند معالجته لقضايانا السياسية ؟

وكيف تبدو لغة أحاديثنا السياسية أمام الدراسة الموضوعية ؟ ذلك هو الموضوع الذى يبرز حين نتابع هذه الظاهرة . وهو يستحق منّا وقفة تأمل نحاول فيها الإجابة عن السؤالين . لعلنا نزداد معرفة بأنفسنا ، ونتمكن من ثم تحقيق تقدم فى المعالجة السياسية والتعبير السياسى وهو أمر بات مطلوباً .

ان تطور اللغة السياسية فى حياة الأمم حقيقة واضحة . وهى تظهر لنا فى تجربة أمتنا حين نتابع نماذج من الخطابات للسياسية على مدى قرن من الزمان . وسنلاحظ أن اللغة التى كانت شائعة فى الربع الأخير من القرن الماضى تختلف فى أسلوبها وتركيبها عن اللغة السائدة بيننا اليوم . وقد حدث هذا الاختلاف عبر مراحل عدة . فمرحلة عرابى وعبد الله النديم فى مصر مثلا هى غير مرحلة مصطفى كامل ثم مرحلة سعد زغلول فمصطفى النحاس ولقد طرأ تغير واضح على لغة الخطابات السياسية فى عهد عبد الناصر ، بل اننا نجد تطوراً فى هذه اللغة بين بداية هذا العهد ونهايته. وهذا الأمر طبيعى مادامت اللغة كالكائن الحى تمر فى أطوار .

وطبيعى أيضاً حين نقف أمام لغتنا السياسية اليوم أن نجد

التعبير عنه . . وتلك هى غلبة الوصف فى هذه اللغة دون التحليل ، وغياب المنهج الواضح لاستخلاص النتائج . ولذلك كثيراً ما يتجه الحديث عند تناول موضوع ما إلى الافاضة بالمقدمات وشرح ماينبغى علينا أن نفعل ان أردنا معالجته ، وتكون المفاجأة حين ينتهى الحديث عند هذا الحد دون أن يسام فى هذه المعالجة ولو جزئياً . ويؤدى غياب المنهج وعـــــدم الانطلاق فى النظر إلى الموضوع بالنظرة الشاملة إلى الانفصام بين المقدمات والنتائج ، وإيراد أحكام غير مترابطة فيما بينها .

ومما يلفت النظـر أيضاً فى الطابع الغالب على هـذه اللغة عـدم تحديد المصطلحات فيهـا ، الأمر الذى يثير خلافات ضخمة فى الحوار يتضح فى النهاية أنه ناجم عن عدم تحديد المصطلحات هذا .

نحـكى مثلا عن « الثورة العربية » وهى مصطلح له أكثر من تحديد فى الأذهان . فواحد يراه دلالة على حقيقة قائمة ، وآخر يراه يدل على حلم مستقبلى ، وثالث قد يظنه حادثة تاريخية مضت . ونعالج موضوع « الوحـــــدة » فينصرف البعض إلى الحديث عن

أن نسبة هذا الحرص قد قلّت كثيراً عما كانت عليه فى القرن الماضى إلا أنه لا يزال يحكم لغتنا السياسية . ويبدو أنه بقايا ذلك الميراث من البلاغة الذى توارثناه عبر أجيال .

وإذا كان مصطفى كامل قد تحدث قائلا « لا حياة مع اليأس ولا يأس مع الحياة » ، فإننا نردد تعبير « وحـــدة القوة وقوة الوحدة » ، ويبرز فى حياتنا السياسية تعبير « الثورة والثروة » وتعبيرات مماثلة كثيرة .

ويؤدى هـــذا الحرص على البلاغة فى أحاديثنا السياسية إلى غلبة اللفظ على المعنى ، فيحدث الاسترسال فى استعمال المترادفات ، ويتتالى إيراد الألفاظ ذات الجرس الموسيقى الواحد، حتى يصل الأمر أحياناً إلى وأد المعنى كما عزلت القافية « ذلك القاضى بقم » حين خاطبه الحاكم محاولا النظم فأكمل نداءه له بقوله « قد عزلناك فقم » فكان أن ردد « والله ما عزلتنى إلا القافية » .

ان الحماسة والبلاغة وغلبة اللفظ على المعنى سمات واضحة على الطابع الغالب لأحاديثنا السياســية . وهى جميعهـا تتصل بالتعبير . وهناك فضلا عنهـا سمة أخرى تتصل بمنهج التفكير الذى يجرى

تفاوتاً بين نماذج مختلفة منها ، راجع فى الغالب للتفاوت بين الأفراد. ولكن هناك مع ذلك طابع غالب عليها وهو الذى نقف أمامه نتعرف عليه ونحاول تفسيره .

الموضوعات التى نتناولها فى أحاديثنا السياسية متعددة ، ولعل فى مقدمتها موضوع قضية فلسطين والصراع العربى الإسرائيلى . كما أن من بينها موضوع الوحدة العربية والعلاقات العربية والدولية. ولو نظرنا فى الطابع الغالب لهذه الأحاديث لوجدنا أن الحماسة عنصر رئيسى فيها . وتتجلى هذه الحماسة بتدفق عاطفى يعبر عن خطورة المرحلة ويخاطب الوجدان . ومن هنا نلاحظ أن الحديث السياسى كثيراً ما يكون استهلاله بالإشارة إلى « خطورة المرحلة » و « دقتها البالغة » و « الظروف الصعبة المحيطة بها » . كما نراه يحفل بالتعبيرات العاطفية التى تركز على التضحية والموت والاستشهاد فى سبيل القضية .

وفضلا عن الحماسة التى تبدو فى الطابع الغالب للغتنا السياسية نجد الحرص على البلاغة التى تتجلى فى السجع على أشكاله وفى التعبيرات المتقاربة وفى صور الاستعارة والتشبيه . وعلى الرغم من

الوحدة بمفهوم الموقف العربى الواحد ، بينما يتحدث آخرون عن الوحدة الاندماجية التى تصنع دولة واحدة ، فضلا عن آخرين يفكرون فيها كمدلول على تصور بين التصورين . ويحتدم الخلاف وكل يغنى على ليلاه .

ونتيجة لتفاعل هذه السمات أو بعضها يغلب على طابع لغتنا السياسية إصدار الأحكام المطلقة التى يلجأ فيها إلى التعميم بدون اعتماد المنطق . وتبرز بفعل ذلك المبالغة فى هذه الأحكام .

جميع هذه السمات تبرز أمامنا حين نقف وقفة تأمل أمام لغتنا السياسية اليومية . ولقد بدت لى فى إحدى المرات التى لذت فيها بالصمت أتابع حواراً سياسياً فى إحدى ندواتنا استمر لساعات . وأذكر أننى سجلت بعض التعبيرات التى ترددت أكثر من مرة فى الحوار . ومن هذه التعبيرات استهلال الحديث الخطابى بالقول « لسنا بحاجة إلى الكلام الكثير . . كفانا كلاماً . . . لسنا بحاجة إلى التفلسف والفلسفة . . نريد عملا . وقد تكرر أكثر من مرة أن صاحب هذا الاستهلال تابع خطبته الحماسية لوقت غير قصير . ومن التعبيرات أيضاً « ان قضية فلسطين توشك أن تنتهى إن لم تنته

فعلا . والتصفية قريبة » . والقول « انه لن تقوم لنا قائمة ان حدث كذا . ونحن محشورون فى مأزق صعب » . والقول « الطريق واضح ولا بد أن نسلكه » وتأتى المفاجأة حين يرد على لسان القائل نفسه « الطريق مسدود أمامنا » . ولقد تتبعت باهتمام حديث أحد الخطباء وهو يردد مدى الخطأ الذى اقترف فى وقف القتال ثم وهو يردد أن جميع القوى العربية حشدت فى المعركة ولم يكن ممكناً أن تحقق أكثر مما حققته . ولم يبد على المتحدث أنه شعر بتناقض بين المقولتين ، وكان مما يلفت النظر فى الحوار حين يحتدم أن النقاش السياسى ينصرف بدلا من تناول الأفكار وتبيين صوابها من خطئها إلى تناول الأشخاص الذين طرحوا هذه الأفكار وتركيز الحديث عليهم .

ان هذه الوقفة أمام لغتنا السياسية تبين فضلا عما سبق مما يشير إلى سلبيات فيها حقيقتين هامتين .

أولها : أن هذه السلبيات ان ظهرت فى الطابع الغالب على أحاديثنا السياسية اليومية فقد تم تجاوزها جميعها أو بعضاً منها من قبل قطاع يزداد يوماً بعد يوم فى مجتمعنا ، ويسام فى إحلال

لغة جديدة تعتمد المنهج الموضوعى وتنطلق من النظرة الشاملة وتحرص على تجديد المصطلحات ووضع اللفظ فى خدمة المعنى .

ثانيهما : إن هذه اللغة الجديدة هى فى الحقيقة ثمرة تطور لغتنا السياسية عبر مراحل نضالنا العربى الحديث . وقد اتصف هذا التطور بأنه تقدمى . وهـــذا ما يؤكد أن المستقبل سيكون للغة الجديدة التى ستتجاوز سلبيات لغة عصور الانحطاط . وتحل العقلانية فيها محل العاطفية ، ويبرز فيها الترابط بين الأسباب والنتائج ويكون اللفظ فيها فى خدمة المعنى .

وطبيعى أن اللغة السياسية التى نتداولها تتأثر باللغة السياسية التى تتكلمها القيادات ولعلنا نذكر كم أثرت لغة خطابات الزعيم الراحل جمال عبد الناصر على اللغة السياسية العربية عموما ، فطوت صفحة الخطابات السياسية التى سادت إبان النضال الوطنى ضد الاحتلال فى فترة ما بين الحربين العالميتين . وطرحت لغة سياسية جديدة نراها فى الميثاق الوطنى وفى بيان ٣٠ مارس وخطابات عبدالناصر المكتوبة. وواضح أن بروز طلائع تحاول جهدها تجاوز السلبيات التى تطبع لغتنا الحالية سيؤثر تأثيراً فعالا فى تحقيق مزيد

من التقدم فى مجال معالجة قضايانا والتعبير عنها .

وهذا يقتضى من هؤلاء التشبث بالمنهج والإنطلاق من النظرة الشاملة والحرص على تحديد المصطلحات . وإن مردود هذا الجهد سيكون خيراً كبيراً على أوضاعنا السياسية عامة يرفض الكثير من طاقات تبددها سلبيات اللغة السياسية القديمة .

فى الذكرى الخامسة لرحيل عبد الناصر

وسط جو كئيب يخيم على وطننا العربى هذه الأيام ، وفى وقت تعانى فيه أمتنا العربية من نزيف داخل شديد فى قواها بسبب اقتتال بعض أبنائها وحكامها ، تجىء الذكرى الخامسة لوفاة عبد الناصر . وإذا كنا فى الأحوال العادية نقف فى الذكرى تحية منا وعرفانا للرجل وللثورة العربية التى قادها ، فإننا فى الأحوال الصعبة نجد دافعاً آخر للوقوف هو استلهام التجربة العربية الثورية للخروج بأمتنا من هذه الأحوال الصعبة .

فلننظر أولا كيف تبدو الصورة العربية بعد خمس سنوات من وفاة عبد الناصر ؟

النظرة الأولى تكشف لنا ما يجرى على السطح ، وهو لا يسر ولا يرضى فى معظمه .

فعلى صعيد الواقع العربى الرسمى نرى التوتر فى العلاقات بين كياناته المتعددة يكاد يكون هو الغالب ، وقد ظهر هذا التوتر

فى مشرق الوطن ومغربه وشماله وجنوبه . ولو أننا حددنا دوائره على الخريطة لامتلأت بالدوائر المتداخلة . ففى الشهور الماضية توترت العلاقات بين المغرب والجزائر ، واشتد توترها بين العراق وسوريا، وبين ليبيا ومصر ، وقبل ذلك بين ليبيا والسودان ثم مؤخرا بين مصر وسوريا وبين مصر ومنظمة التحرير الفلسطينية . وقد استمر توترها بين منظمة التحرير والأردن واتسمت العلاقات بين عدد من الكيانات المتجاورة بالبرود كما هو الحال بين كل من الجزائر وتونس مع ليبيا ، وبين دول إمارات الخليج . كما اتسمت بالبرود الذى يعقب التوتر كما هو الحال بين دولتى اليمن فى جنوبه وشماله . ولم تخل العلاقات بين الدول العربية من ظهور تحسن فى حالات قليلة مثل الانفراج فى علاقات السعودية مع عدد من دول المشرق العربى والتقارب بين الأردن وسوريا ، ولكن التوتر بقى هو الطابع الغالب .

ونرى على هذا الصعيد الرسمى كتعبير عن توتر العلاقات بين دوله اشتداد الحملات الأعلامية المتبادلة . وقد بلغت هذه الحملات فى عدة أحوال حداً لم تصله من قبل ولم تعرفه مثيلاتها إبان العقدين الماضيين

وسجلت فى مجملها بروز ظاهرة خطيره تتمثل فى التعدى الإقليمى على قدسية الروابط الأخوية بين أبناء الأمة العربية الواحدة ، فلقد عمدت بعض الأنظمة فى حملاتها الأعلامية إلى عدم التفريق بين الشعب وبين نظامه وانساقت إلى شن حملات كراهية على الشعب العربى نفسه . كما عمدت هذه الأنظمة إلى زج شعبها معها دفاعاً عن نفسها فاشركته فى هذه الحملات ، وهكذا رأينا كيف تحولت الحملات الأعلامية المتبادلة إلى حملات كراهية بين أبناء الشعب العربى الواحد .

ونرى على صعيد علاقات الواقع العربى الرسمية الدولية نوعامن التخبط يظهر فى شكل تحولات سريعة وفى السياسات المالية للدول العربية. فالتحولات السريعة ظهرت فى علاقات عدد من الأنظمة العربية بدول المعسكر الاشتراكى وعلى الخصوص الاتحاد السوفيتى ، كما ظهرت فى علاقات بعضها مع الولايات المتحدة الاميركية. والسياسات المالية للدول العربية النفطية لم تستطع أن تحقق الأمة العربية دوليا أى انتصار بعد الانتصار الذى حققه الحظر الجزئى للنفط العربى فى أعقاب حرب رمضان . وماتزال الثروات العربية فاقدة قوتها العظيمة بسبب التخبط وغياب السياسة المالية القومية . كما أن العلاقات العربية

مع مختلف القوى العالمية ماتزال تفتقد القاعدة الصلبة التى تقوم عليها ، وتبدو وكأنها فى مرحلة انتقال .

وعلى صعيد الواقع العربى الشعبى نرى الاقتتال على أشده فى لبنان منذ شهور وهو فى جولته الرابعة . وهذا الاقتتال وإن ألبس ثوب الطائفية إلا أنه يحمل فى طياته تعبيراً عن صراع اجتماعى محتدم، كما يكشف عن وجود مؤثرات خارجية تستهدف النفخ فيه وتحويله عن مساره لمنع التقدم ومحاصرة الثورة الفلسطينية .

ونرى محاولات لعزل الثورة الفلسطينية خارج لبنان أيضا فى الوقت الذى تتابع الثورة فيه نضالها لتحرير الأرض . ويساعد على هذه المحاولات ويسمح بظهورها ما نراه من تناقضات داخل الثورة نفسها بين فصائلها .

ونرى على هذا الصعيد الحركات الشعبية العربية تتلمس لها طريقا فى ساحاتها ، وتفتقر فى مجموعها للتنسيق والتعاون فيما بينها ؛ وتعانى لهذا السبب من قدرة الأنظمة على تطويقها والحد من فاعليتها .

وإذا كانت نظرتنا الأولى قد كشفت أولا عما لا يسر ولا يرضى فإن ذلك لا يعنى أنها لا ترى ما يسر ويرضى ، ولكن من الطبيعى

للنظرة الناقدة الفاحصة أن تكشف العيوب بداية . والحق أن الصورة العربية على الصعيد الشعبي تبرز إيجابية استمرار عطاء أمتنا للثورة الفلسطينية وللتغيير والتقدم فى الوطن العربى . كما أنها على الصعيد الرسمى دلت منذ حرب رمضان على امكانية تحقيق حد أدنى من التعاون والتنسيق - يمكن فى حال التغلب على السلبيات أن يزداد ويجسدّ مانحلم به من أن نكون كمرب القوة السادسة فى عالمنا .

وحين نتعمق بنظرتنا الصورة العربية ونتجاوز السطح يتكشف لنا فيها أمران هامان .

الأول هو استمرار التحول فى التركيب الاجتماعى والبنية الاجتماعية للشعب العربى بمعدلات سريعة فى مختلف الأقطار العربية . وذلك بفعل عوامل عدة من بينها الثروة النفطية وما يتصل بها من تغيرات اقتصادية ، والنهضة التعليمية وما يتصل بها من تغيرات ثقافية . ومن المتوقع مع تسارع عملية التحول هذه أن يشتد التناقض القديم وتبرز تناقضات حادة جديدة كتلك التى تفجرت فى لبنان ، وقد تتفجر فى ساحات أخرى تعيش انفتاحا غير محسوب .

إن استمرار التحول هذا يعنى وجود مجال واسع أمام الحركات الشعبية لتشق طريق الثورة وتبلغ أهدافها . ويمكن لهذه الحركات أن تحل التناقضات حلا صحيحا. ولكن عجزها عن ذلك يعنى التفجر العشوائى لهذه التناقضات الذى نرى بعض صوره فى لبنان .

الثانى هو حدوث ظروف دولية جديدة تفرض على القوى العربية المختلفة أن تتواءم معها ، وتأخذها بعين الاعتبار وهى ترسم تحركها . ونشير من بين هذه الظروف إلى ماجد من تفاهم قد يبلغ درجة الوفاق بين المسكرين، وما اشتد من تناقض بين الدول الفقيرة والدول الغنية .

ولعل أكثر مايشغلنا ونحن نتأمل الصورة العربية اليوم هو أثر هذه الصورة على صراعنا مع عدونا الصهيونى وعلى نضالنا لتحرير فلسطين وأراضينا المحتلة . وواضح اليوم أن عدونا مازال كعهدنا به يزداد تشبثا بالعدوان ولا يزيده أى تنازل عربى الا تطرفا. وها هو على وشك أن يتلقى شحنات ضخمة من السلاح الاميركى المتقدم ليعزز به عدوانه . وغنى عن القول أن ما رأيناه من سلبيات الصورة العربية يؤثر تأثيراً مباشراً على تصدّينا للعدو . ومن هنا

تلح علينا القضية الجديدة القديمة وهى قضية التوفيق بين متطلبات التحول الاجتماعى ومايتصل به من صراع داخلى ، وبين متطلبات التحرير ومايتصل به من صراع ضد التحالف الاستعمارى الصهيونى.

فى ذكرى عبد الناصر العظيم يمكننا أن نعلق على هذه الصورة العربية ونحن نتمثل التجربة العربية الثورية ، لنصل إلى تحديد دقيق لما ينبغى عمله .

إن مارأيناه فى الصورة من توتر العلاقات بين الدول العربية يكشف عن مدى ضلال الكلام الكثير الذى حاولت قوى الثورة المضادة به إقناع جماهير شعبنا بأن قيادة الثورة العربية كانت سببا فى توتر العلاقات بين الأنظمة العربية ، أو على حد تعبيرها ، بين الاشقاء العرب . فها هو الوضع يبلغ بعد غياب عبد الناصر حداً لم يبلغه فى حياته . وليس هدفنا من إيراد هذه النقطة مجرّد الرد على واحدة من القضايا التى تركز عليها حملات التشكيك بالثورة العربية وتجربتها الناصرية بقدر مانهدف إلى أن نلفت الأنظار إلى السبب الحقيقى فى توتر العلاقات وهو إقليمية الأنظمة العربية ٠

إن مارأيناه فى الصورة من سلبيات على الصعيدين الرسمى والشعبى

وخصوصاً فى مسار الحملات الاعلامية وفقدان السند للحركات الشعبية، يثبت مدى عظم الدور الذى قامت به قيادة الثورة العربية فى التعبير عن حقيقة الدور الذى قامت به قيادة الثورة العربية فى التعبير عن حقيقة الأمة العربية وفى حشد طاقاتها من أجل التحرير والبناء. والحق أن عظم الدور مرتبط ببروز الزعامة العربية الواحدة التى جسّدها عبد الناصر فى قيادته للثورة العربية.

ويمكننا اليوم أن نقطع بعض السلبيات التى نعانى منها لا يمكن أن تظهر فى ظل الزعامة العربية الواحدة. فلا تصل الحملات الاعلامية إلى ماوصلت إليه من تعدٍّ على قدسية الروابط الأخوية بين أبناء الأمة الواحدة، ويكون أقصى ما تصل إليه هو الأخذ والرد بين القائمين على الحكم. ولا تفتقد الحركات الشعبية للوحدة من خلال التحامها بالزعامة الواحدة. ولا تختلف كلمة الأمة فى موقف مصيرى يتعلق بقضية التحرير، لأن الزعامة الواحدة لاتفسح مجالا لهذا الاختلاف، ولا يصل الاقتتال الشعبى حد التفجر العشوائى لأن فى قوة الزعامة القومية أن تضبط الأمور.

* لعل من أخطر سلبيات الصورة العربية الراهنة هذا الاختلاف

القائم حول المواقف المتعلقة بتحرير فلسطين ويكفى أنه يشق « العرب عربين » . ويمكننا من دراسة التجربة العربية الثورية أن نلاحظ أن مثل هذا الاختلاف كان يحدث فى وجهات النظر ، ولكن كان بمقدور الزعامه الواحدة أن تصل إلى صنع الموقف العربى الواحد وتعبّر عنه. فقد اعتمدت من أجل ذلك أسلوب العمل العربى الموحد ودعت إلى مؤتمرات القمة العربية فى إطار جامعة الدول العربية. وواضح مدى تأثير هذا الموقف العربى الواحد على العدو . ولعل هذا ما يفسر الكراهية البالغة التى يكنها العدو الاسرائيلى والقوى الاستعمارية لعبدالناصر العظيم ولما يمثله، وقد وقفت فى الأيام الماضية أمام ظاهرة الكراهية هذه وأنا أطالع كتابا يحاور فيه كاتب اسرائيلى صهيونى هو « عاموس ايلون » الدارسة العربية « سناء حسن » التى اشتهرت بزيارتها لاسرائيل . ولست هنا فى مجال الحديث عن الكتاب ، ولكن أشير إلى ماعبّر عنه عاموس ايلون من حقد مجنون على عبد الناصر بدت من خلال سطوره مدى عظمة عبد الناصر .

السؤال الذى يطرح نفسه علينا ونحن نتأمل الصورة العربية .

كيف نتغلب على ما بها من سلبيات بالغة الخطورة ؟ وكيف نعوض غياب الزعامة العربية الواحدة ؟

ولا حاجة بنا إلى التأكيد على خطورة السلبيات . . اختلاف الأنظمة حول قضية فلسطين وما يمكن أن يوصل إليه الاختلاف من اقتتال عربى وتبديد للقوى العربية . حملات الكراهية الاعلامية على أبناء الشعب العربى ، وما يمكن أن توصل إليه من قتال بين « قيس ويمن » . . . الاقتتال المعبر عن التفجر المشوائى وما يمكن أن يجره من مآسٍ . . التخبط فى العلاقات الدولية وما يجره من تحولات مفاجئة ، ونتائج ذلك على القوة العربية .

كذلك فإنه ينبغى أن ندرك أن بروز الزعامة القومية لا يتم بين يوم وليلة ولا بمجرد الطلب . وإنما هو ثمرة نضال شعبى يثمر ظهور الزعامة التى تعبر عن هذا النضال . ولقد كان ذلك ما حدث فى الخمسينات حين برز عبد الناصر وخاض معارك أوصلته إلى موقع الزعامة الجماهيرية . وعلى ضوء هذه الحقيقة لا بد من متابعة النضال الشعبى الذى يحقق أهداف الثورة العربية والذى سيبرز زعامته .

ولا بد في غياب هذه الزعامة وإلى حين بروزهـــــا أن نركز على أمرين ملحين .

الأول وحدة قوى الثورة العربية على مدى ساحة الوطن العربي الكبير ، وإذا كانت الحاجة لهذه الوحدة شديدة في حياة عبد الناصر فإنها أشدّ وأكثر إلحاحا في غيابه . وهذه الوحدة تقتضي لقاء كل الوحدويين العرب . ومباشرة العمل لها تقتضي تبنّي الثورة الفلسطينية للعلاقة العضوية بين الوحدة والتحرير وللمعنى الكبير الذي تمثله الثورة الفلسطينية كجزء من الثورة العربية .

الثاني عمل عربي موحّد يعمل بتوجيه وحدة قوى الثورة إلى الموقف العربي الواحد المطلوب الذي يمكّن من حشد الطاقات العربية ويمنع التفريط والانفراد . وسيبقى للجامعة العربية ولمؤتمرات القمة العربية دورها في صنعه مادامت التجزئة العربية قائمة . ولا بد في هذا العمل أيضا من جهد خاص تبذله الثورة الفلسطينية وستحتاج التفاتة خاصة لبناء جامعة دول عربية قادرة على النهوض به والقيام بالمبادرة والفعل .

إن ذكرى عبد الناصر العظيم بما تقدمــــه من دروس

التجربة العربية الثورية تؤكد أن الثورة العربية قادرة على متابعة شق الطريق لبلوغ أهدافها . وهى تمثل حافزا قويا لمتابعة النضال ، وتقف متلألئة تجسّم عطاء عبدالناصر لأمته وضخامته من خلال الحملات التى استهدفته .

* * *

في الذكرى الثانية لحرب رمضان

البحث عن الموقف العربى الواحد

مناسبة الذكرى الثانية لنشوب حرب تشرين (أكتوبر) تغرى بالحديث عن أحداث الحرب وآثارها ومحاولة تسليط أضواء جديدة عليها ، والصورة العربية الراهنة تحيط المناسبة بجو خاص وتشدنا إلى الحديث عن معالجة مايبدو فى هذه الصورة من خلل .

لقد كان للعلاقة التى قامت بين مصر وسوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية قبل نشوب الحرب أكبر الأثر فيما تحقق من إيجابيات أثناء القتال وعلى مسرح العمل السياسى العربى . واعتبر المعلقون السياسيون بحق أن هذه العلاقة هى التى أرهقت العدو حين فرضت عليه التحرك على ثلاث جبهات فى وقت واحد ، وهى التى مكنت من صنع موقف عربى واحد حقق الدعم للجيوش العربية فى ساحة القتال . ويومها تحقق بهذه العلاقة الحد الأدنى اللازم من قومية المعركة الذى طالما حلمت به أمتنا العربية ورددته كشعار .

إن الخلل فى الصورة العربية اليوم يبدو حاداً وشديدا فيما

يخص هذه العلاقة بين القوى الثلاث ، ولمّا يمض أكثر من عامين على الحرب . والقلق الذى يعترينا من جراء هذا الخلل ليس مردّه الوفاء لما حدث وانقضى ، وإنما هو مرتبط بمستقبل الصراع العربى الاسرائيلى وبنضالنا العربى من أجل تحرير فلسطين . فما يزال هذا الصراع يستوجب منا كعرب تلاحم هذه القوى الثلاث . . قوة مصر العربية وقوة سوريا العربية وقوة الثورة الفلسطينية . وتلك حقيقة تفرضها عوامل عـــدة استراتيجية وسكانية واقتصادية وعسكرية .

واضح أن ما حدث من خلل فى العلاقة هو تعبير عن خلاف قائم حول السياسة التى يجب انتهاجها فى التحرك السياسى العربى . وملامح هذا الخلاف بدت فى أعقاب الحرب مباشرة . وقد نفخت فيه وضخّمته أساليب التحرك الاميركى الأسرائيلى على مدى عامين. وليس خافيا أن هذا التحرك وضع نصب عينه تفجير هذه العلاقة ومن ثم عزل مصر العربية ومحاصرة الثورة الفلسطينية . وطبيعى أن نجاحه فى بلوغ ذلك يعنى بداهة تفجير الموقف العربى الواحد وتحويله إلى مواقف متباينة تشلّ الطاقات العربية وتبدّدها . .

وهذا ما هو وشيك الحدوث إن استمر النزيف الحالى والتدهور فى العلاقة .

ومن هنا تأتى أهمية وضرورة الوقوف أمام هذا الخلاف الذى سبّب الخلل فى محاولة لفهمه توطئة لاتخاذ الموقف منه وطرح العلاج له . ولا بد من الإشارة إلى أن محاولة فهم أى خلاف عربى تحيط بها دوماً صعوبة نابعة من الحملات الاعلامية التى تنشب تعبيرا عن الخلاف وتتخذ سلاحا رئيسيا فيه . فهذه الحملات فى خضمّ حربها تبتعد كثيرا عن الجوهر وتنبش الدفاتر القديمة باحثة عن « الأول والآخر » وعن أى شىء يــــذكى نارها . فتصل إلى أن تلتهم العود الأخضر .

لقد تفجّر الخلاف إثر توقيع إتفاقية سيناء مؤخرا نتيجة مساعى كيسنجر . وكان قد بدأ حول الموقف من سياسة وزير الخارجية الاميركي « الخطوة بعد الخطوة » فبينما رأى الرئيس السادات فى هذه السياسة إمكانية تقدم على طريق الحل وسبيلا لعدم تجميد الوضع ، رأت الثورة الفلسطينية أن هذه السياسة تستهدف تمزيق الصف العربى ودعم العدوان الاسرائيلى . ورأت

سوريا أن تعبّر عن قلقها من أساليب كيسنجر . وبالطبع فإن الخلاف بين الرأيين يعبر عن خلاف حقيقى فى النظر إلى الدور الذى يمكن للولايات المتحدة أن تقوم به فى الصراع العربى الاسرائيلى . والرأى الأول — وكما شرح الرئيس السادات مرارا ينطلق من أن الولايات المتحدة هى الداعم الأول لاسرائيل التى تقدم لها كل شىء من « الزبدة إلى السلاح » ، وهذا يعنى أن مفتاح الحل بيدها « والحل لا يمكن إلا أن يكون حلا أميركيا « وبنسبة ٩٩ ٪ على أدنى تقدير » . ومن هنا فلابد من التفاهم مع الولايات المتحدة وإشراكها فى الحل بل والطلب منها أن تكون محكما — بفتح الكاف — وشاهدا. وقد روى الرئيس السادات أكثر من مرة قصة محطتى الانذار وطلبه من الرئيس فورد فى سالزبورج أن يكون شاهدا من خلال الفنيين الاميركيين . وواضح أن هذا الطلب هو تأكيد ماعبّر عنه الرأى الأول من ثقة بسياسة الولايات المتحدة وبشخص رئيسها ووزير خارجيته .

على النقيض من الرأى الأول ينطلق الرأى الثانى من الشك الكامل بسياسة الولايات المتحدة وبشخص وزير الخارجية الاميركى وأفكاره السياسية ، مع إتفاقه على حقيقة الدور الاميركى فى دعم

إسرائيل . ولكنه يرى أن هذا الدعم هو تعبير عن العلاقة التى تقوم بين المصالح الأميركية الاستعمارية فى الوطن العربى وبين الوجود الصهيونى الاستعمارى فيه . ومن هنا فإن موقفه هو الضغط على الولايات المتحدة من خـــلال علاقات القوى فى الصورة الدولية القائمة ، وباستمرار خوض المعركة ضد المصالح الأميركية فى المنطقة

طبيعى مع هذا الاختلاف أن يحدث الاختلاف حول الموقف من الدور السوفيتى المطـــلوب للمساهمة فى إيجاد حل ، وحول أساليب التعامل مع المصالح الأميركية، وحول الموقف من كيسنجر على الخصوص .

وحين ننظر الآن فى التحرك الكيسنجرى على مدى عامين نجد أنه وعى جوهر الخلاف فرسم سياسته للنفخ فيه . فركّز على تجزئة معالجـة جوانب الصراع ، وبينما لوّح لمصر بامكانية التقدم على طريق الحل كان حريصاً فى الحديث عن إمكانية تقدم فى الجولان ، وأكثر حرصا على العداء لمنظمة التحرير وتأجيل البحث فى جـــوهر قضية فلسطين . وهكذا دق الاسفين فى العلاقة الثلاثية .

والحق أنه كان من الممكن لكيسنجر أن يفشل لو أن النظرة القومية حكمت النظرة الإقليمية . ولو أن الأنظمة العربية عموما فى تعاملها مع الولايات المتحدة وغيرها آمنت بأن مصالحها الوطنية لا يمكن أن تتحقق وتلبى الا من خلال المصلحة القومية . وهذا يعنى بداهة أن الحل لا يمكن أن يتجزأ . ولكن الذى يحدث فى الأنظمة العربية على الغالب هو أن النظرة الإقليمية تسيطر عليها فتندفع بها إلى السير وراء سراب مكاسب إقليمية لا تتحقق .

كان من الممكن أيضا للخلاف أن يحصر ويحل بدلا من أن يتفاقم لو أن صيغة التعامل بين القوى الثلاث كانت أفضل . ولكن يبدو أن النظرة الإقليمية فعلت فعلها فى افراغ مضمون صيغ العمل العربى الموحّد عامة والصيغ التى تتفرّع منها . وإلا فكيف لا يطرح الخلاف ويبحث على مائدة ثلاثية أو على مائدة اتحاد الجمهوريات العربية الذى تشترك فيه مصر وسوريا .

إن الموقف الآن هو أن الخلاف نشب . ولن نسأل لماذا ؟ فالسبب واضح وليس غريبا ولا مستهجنا أن ينشب خلاف حول اجتهاد . ولكن الغريب والمستهجن أن يتصاعد هذا الخلاف ويخرج

عن خطه ويتفجر . ويهمنا أن نشير هنا إلى خطورة مضمون الحملات الإعلامية عنه . فالملاحظ أنها تتجه فى بعض الأحيان إلى المساس بقدسية الروابط الأخوية بين أبناء الأمة الواحدة . ويبدو أنه لا تزال هناك أصوات فى وطننا لا تتردد فى خضم المعارك الكلامية عن المساس بكل مقدس دون أن يردعها ضمير ويمنعها وعى حتى تقف باشارة من النظام الذى تتبع له . ومطلوب من ثم من القيادات المسؤولة أن تأخذ هذه الحقيقة فى تقديرها وتحسب حساب ماينتج عن هذه المعارك من نفخ فى المشاعر الإقليمية . وبالطبع فإن هذا لا يعنى القفز على الخلاف ولكنه يعنى يقينا عدم الإنسياق وراء الطرح الإقليمى فى الحملات الاعلامية .

ويبرز السؤال فى الذكرى الثانية لنشوب حرب رمضان ..

هل يمكن الآن حصر الخلاف بعد أن تفجر ، وإعادة بناء العلاقة بين القوى الثلاث ؟ وإذا كان ذلك ممكننا فكيف السبيل إليه ؟

أما الإمكان فهو قائم . نقول ذلك بدم بارد وفى اعتبارنا أن الحقيقة تفرض نفسها . وسجل تاريخ العلاقات بين الأنظمة العربية

والقوى العربية يكشف عن ظاهرة الخلاف واللقاء المتكررة فيه .

هذا فضلا عن أن السياسة لا تعرف مواقف جامدة . ولو أننا رسمنا خريطة تعبّر عن هذه الظاهرة لرأينا صورة طريفة ، وللاحظنا أن لتغيّر الظروف دوره فيها .

وأما السبيل إلى ذلك فهو طرح الخلاف بوضوح كامل على مائدة البحث بروح العزم على بلوغ موقف عربى يعبر عن الإرادة العربية الذاتية بالنظرة القومية .

لا يعنى وضوح السبيل أن الأمر سيتم بسهوله وبين يوم وليلة . نقول هذا على غير ما نرجو واعين أن الخلاف حين يتفجر وتفعل الحملات الإعلامية فعلها فإنه يترك آثاراً فى النفس ويخلق جروحاً تحتاج وقتاً لتندمل . وهذا سبب نفسى والسبب الأهم .. أن الخلاف قائم حول قضية هامة تؤثر على مسار حركة النضال العربى لفترة من الزمن . وحسمه قد يحتاج إلى فترة تتكشف فيها بالتجربة حقائق كثيرة .

علينا إذن أن نوطّن أنفسنا على هذه الفترة التى يمكن بالفعل أن نجعلها قصيرة ، يتاح فيها لمصر حكومة وشعباً أن تقوّم نتائج

الإتفاقية على هدف تحوير الأرض المصرية أولا والأراضى العربية بعد ذلك ، ونرى نتائج السياسة التى تنتهجها مع الولايات المتحدة الأميركية . وتدرس على الخصوص مكان مصر فى الوطن العربى ودورها فى المرحلة الراهنة من النضال العربى على ضوء مصلحة شعبنا العزيز فى مصر التى لا نراها تنفصل عن مصلحة أمتنا العربية . ويتاح فيها لسوريا حكومة وشعباً أن تحدد متطلبات الحرب الخامسة التى لابد أن تنشب ودور كل من مصر والعراق فيها على الخصوص. ويتاح فيها للثورة الفلسطينية أن تثبت بالدليل تلو الدليل للعالم أجمع أنها حقيقة كبرى وأن مفتاح السلام القائم على العدل بيدها وأن تؤكد لـكل الأنظمة العربية أن تمسكها بتحرير الأرض لا يتناقض فحسب بل هو ضرورى لمصلحة كل قطر عربى .

ما دمنا وطّنا أنفسنا على فترة يحلّ الخلاف بعدها على أسس سليمة وليس ظاهرياً ، فلابد لنا أن نهيىء المناخ فى هذه الفترة لمنع مزيد من التردى . وهذا يكون بضبط النفس عن الإنسياق وراء الحملات الاعلامية والتحلى بفضيلة « هون ما » التى جاءت فى القول المأثور فى حالة المحبة أو الـكراهية . ولعل ذكرى إيجابيات حرب

رمضان وما شهدته من بطولات مجاهدينا العرب من مصر وسوريا وفلسطين تساعدنا على ذلك .

ويبقى أن نقول ونحن نقف بالمرصاد للتحرك الكيسنجرى أنه إن نجح كيسنجر فى « شق العرب عربين » والدفع لعزل مصر فإنه يقيناً قد فشل فى إنهاء الصراع وزاده اشتعالا . وتلك حقيقة ستظهر أمام العالم بجلاء وستشير بأصابع الاتهام للسياسة الكيسنجرية ويقيناً فان نجاحه فى تصديع الموقف العربى هو نجاح مؤقت لأن الخلاف وقد تبلور سيمكّن من وصول العرب إلى موقف واحد صحيح يعتمد على القوة العربية الذاتية ويعى حقائق عالمنا ويجابه العدوان . ومره أخرى نقول فى ذكرى الحرب إن الصراع مستمر حتى التحرير وقد دخل النضال العربى بحرب رمضان مرحلة جديده . وها هى الثورة الفلسطينية تثبت مع شعب لبنان العربى أنها باقية متنامية وقادرة على الصمود فى وجه محاولات الحصار التى يقوم بها كيسنجر .

في الذكرى الثانية لحرب رمضان

أربع حقائق باقية

في الذكرى الثانية لحرب تشرين وبعد عامين من نشوبها نسأل :

ما هى الحقائق التى كشفت عنها الحرب ورسخت صامدة أمام ما طرأ من متغيرات ؟

وإلى أى مدى تمثَّلنا نحن العرب هذه الحقائق واستفدنا منها فى متابعة النضال لتحرير الوطن ؟

قبل الإجابة لابد من الإشارة إلى أن حرب تشرين ستكون محل اختلاف فى النظر إليها لفترة طويلة . وقد برز هذا الاختلاف منذ أيامها الأولى واشتد خلال العامين الماضيين وسيتراوح الحديث عنها بسببه بين التهوين والتهويل ويتأثر بالهوى ويطبع بالإنفعال . ومن هنا تلح أهمية الوقفة الموضوعيـــة أمام الحرب والنظرة العلمية لها .

ولقد شغلت فى الأيام الماضية بهذين السؤالين وأنا أكتب بحثاً للندوة الدولية لحرب أكتوبر التى دعت إليها جامعة القاهرة مجموعة كبيرة من العلماء والباحثين « لإيضاح آثار الحرب عسكرياً وسياسياً واقتصادياً واجتماعياً وحضارياً وعلمياً وتأثير نتائجها على الإستراتيجية العالمية » . ووجدت أنه لابد من التمهيد للاجابة بوقفة أمام الحرب كحدث تاريخى وأمام كيفية تقويم نتائجها .

فالحرب وفقا لتعريف كلاوزفيتز المشهور « عمل من أعمال السياسة ، بل إنها امتداد لعمل السياسة .. ولكن بوسائل العنف والقهر . » وتتمخض الحرب عادة عن نتائج محددة فى شتى المجالات وتظهر لها آثار على مختلف الأصعدة . ويتباين حجم هذه النتائج وعمق هذه الآثار من حرب لأخرى . وقد تبلغ من الحجم والعمق ما يضع الحرب فى منزلة الثورة العارمة التى تزلزل أركان ما هو قائم وتغيِّر فيه الكثير، وما يجعل الحرب بمثابة نقطة تحول أساسى بين ما قبلها وما بعدها .

وطبيعى إذن أن تكون لحرب تشرين آثار على مختلف الأصعدة ونتائج فى شتى المجالات . وهذه الآثار تترابط وتتداخل ، والبحث

فيها يتأثر بعامل الزمن . لأن سلسلة الأحداث التى تلت الحرب لم تنته ونتائج الحروب تستغرق عادة وقتاً حتى تستقر وتتحدد . وواضح أننا نستطيع اليوم بعد مرور عامين على نشوب الحرب أن نكون أكثر احاطة بآثارها مما كنا قبل عامين . ومن المتوقع أن نتبيّن هذه الآثار بشكل أجلى فى الأيام القادمة ونتأثر بما يحمله الغد من أحداث . ولا يعنى هذا أن نقعد عن البحث فى نتائجها لأننا ندرك أن ماسيظهر مستقبلا لن يخرج عن المجرى العريض للأحداث فضلا عن أننا مدعوون لتحمّل مسئولياتنا فى دراسة أوضاعنا الراهنة من أجل صنع المستقبل .

* * *

الحقائق التى كشفت عنها حرب تشرين تتصل بطرفى الصراع العربى الإسرائيلى المباشرين ، كما تتصل بالعالم المحيط بالصراع . ذلك أن هذه الحرب تقع ضمن دائرة الصراع الذى نشب فى قلب الوطن العربى بين الأمة العربية وبين الحركة الصهيونية . وهذه تقع بدورها ضمن الدائرة الأخرى للصراع الذى نشب فى الوطن العربى عموماً بين الأمة العربية وقوى الاستعمار العالمى . وطبيعى أن تتجاوز آثار هذا

الصراع أطرافه المباشرة لتشمل مختلف القوى العالمية بسبب وحدة عالمنا المعاصر وبسبب الموقع الاستراتيجى الهام الذى يحتله وطننا على سطح كوكب الأرض .

ومن بين هذه الحقائق نقف أمام أربع رسخت صامدة أمام ما طرأ من تغيرات : —

الحقيقة الأولى : ما أكّدته حرب تشرين من أن الطريق ما يزال مفتوحاً فى ظل التوازن الدولى أمام حروب التحرير فى العالم الثالث، وأن ولوج هذا الطريق هو السبيل للتأثير على الواقع المفروض وللخلاص من حالة الاسترخاء التى تنجم عن التوازن .

ومعلوم أن الإنقلاب النووى الذى شهده العالم فى نهاية الحرب الثانية فرض نوعاً من التوازن الاستراتيجى . وقد دخل هـذا التوازن فى السبعينات مرحلة جديدة بعد أن مرّ بمراحل ثلاث منذ تلك الحرب. وهكذا انتقل من توازن حافة الحرب أى توازن الردع الشامل إلى توازن التعايش السلمى ليصل إلى توازن التفاهم على طريق الوفاق . وكان نشوب حرب أكتوبر (تشرين) فى ظل هذه المرحلة الرابعة بقرار عربى وعلى غير إرادة القوى الدولية ، وأنهت هذه الحرب حالة الاسترخاء العسكرى الذى أشار إليه البيان

الأميركى السوفيتى صيف ١٩٧٣ والذى كان مسيطراً خلال فترة اللاحرب واللاسلم .

وهكذا أكدت الحرب حقيقة بقـــاء الباب مفتوحاً للحرب المحدودة مع تراجع الحرب الذرية الشاملة ، وهى الحرب التى شهد العالم مجموعة منها فى العقود الثلاثة الماضية . ولـكن لا بد من الإشارة إلى أن الصعوبات التى قامت فى وجه نشوب حروب التحرير خلال هذه الفترة كانت تتزايد مع تطور صورة التوازن لعوامل عدة من أهمها ما تحتاجه هذه الحروب من سلاح متطور موجود فى الدول التى يحكمها التوازن . وقد بلغت الصعوبات أعلى درجة لها قبيل حروب تشرين ، ومع ذلك نشبت الحرب وأثبتت أن الطريق ما يزال مفتوحاً وسيبقى كذلك لأن التفاهم الدولى وتطوره إلى الوفاق لن يحول دون أن تعـبر الإرادات الذاتية عن نفسها ، ولأن تعدد مصادر التسليح وانتشار تجارته السرية ووجود تناقضات كثيرة فى ظل التوازن تمـكن من توافر الحد الأدنى اللازم من السلاح لمباشرة الحرب .

ولقد أكدت حرب تشرين ايضاً أن ولوج هذا الطريق هو السبيل للتأثير على الواقع المفروض ، فلقد جثم على منطقة الوطن العربى منذ حرب ١٩٦٧ واقع جديد مفروض تمثل فى احتلال

إسرائيل لمزيد من الأراضى العربية وعلى الرغم من شجب المنظمة الدولية لعدوان إسرائيل المسلح واحتلالها الأراضى عنوة ، وعلى الرغم من كل المساعى السياسية ، فإن الواقع المفروض بقى جاثما يمسك بخناق الأمة العربية. وقد وصل الحال قبيل الحرب أن بدا وكأنه لاسبيل للتأثير عليه وتغييره، وأنه يشجع إسرائيل على الإنسياق إلى آخر مدى وراء أطماعها التوسعية . ولم يغفل التوازن الدولى إلا أن يتطلع لحدوث استرخاء عسكرى فى المنطقة . فلما نشبت الحرب ما أسرع ماظهر تأثيرها على الواقع المفروض وإمكانية تغييره .

الحقيقة الثانية :

ما كشفت عنه حرب تشرين من أن الارتباط وثيق بين أمن منطقة الوطن العربى وأمن العالم عموماً وذلك بفعل عاملين رئيسين هما الموقع الاستراتيجى للمنطقة ومخزون الطاقة فيها . وقد ظهر هذا الارتباط بتأثير مختلف دول العرب بطريق مباشر أو غير مباشر بالحرب وعلى درجات متفاوتة . ويمكننا أن نقارن هنا بين حرب تشرين ١٩٧٣ وحرب شبه الجزيرة الهندية فى ديسمبر ١٩٧١ لنرى مدى الفارق فى تأثر دول العالم والأمن العالمى بالحربين .

وتنتج عن هذه الحقيقة نتائج هامة فى مقدمتها أن الحرب فى منطقة الوطن العربى قد تنذر بالحرب الشاملة ، وأن احتمال تحرك المجتمع الدولى لمحاصرتها كبيرة ، وأن أمن البحر المتوسط على الخصوص يتأثر كثيراً بأمن الوطن العربى . وهذه النتائج تفسّر لنا اشتداد التوتر بين الدولتين الأعظم فى الأسبوع الثانى من حرب تشرين . وقد عبّر الرئيس الاميركى فورد هذا الأسبوع عن هذه النتيجة حين قال « إن حرب تشرين عام ١٩٧٣ أوضحت للاميركيين مدى خطوره قيام حرب أخرى بين العرب وإسرائيل ليس فقط على شعوب المنطقة بل بالنسبة للعالم كله » ، كما تفسر بروز فكرة الحوار الاوروبى فى أعقاب الحرب مباشرة . وقد ساهمت هذه الحقيقة فى طرح معطيات جديده بعد الحرب عكست نفسها على سياسات الدول من الصراع العربى الإسرائيلى .

الحقيقة الثالثة :

بروز الأمة العربية من خلال أحداث الحرب كقوة يحسب حسابها بين القوى العالمية ، والإرهاص بامكانية نمو هذه القوة وقيامها بدور فى السياسة الدولية من خلال الموقف العربى الواحد

والسير الحثيث فى طريق الوحدة العربية . وقد تردد الحديث فى أعقاب الحرب ضمن الدراسات الاستراتيجية عن بروز العرب كقوة سادسة فى ترتيب القوى العالمية .

والحق أن من أهم ما يتميز به عالمنا المعاصر أنه لم يعد يحكمه تقسيم واحد سياسياً كان أو عقيدياً أو حضارياً ، وإنمـــا تحكمه تقسيمات عدة تتداخل خطوطه أحياناً . ولقد تغيرت صورة العالم بفعل الأحداث التى شهدها عصرنا . ففى أعقاب الحرب العالمية الثانية برزت الكتلتان الشرقية والغربية ضمن الحضارة الغربية الواحدة وتزعم الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة هاتين الكتلتين وتغيّرت الصورة بفعل ثورة التحرير العالمية فبرزت مجموعة العالم الثالث فى آسيا وأفريقيا ، وبدا بوضوح انقسام العالم إلى مستويين . مستوى الدول المتقدمة ومستوى الدول المتخلفة الثانية. وهذا انقسام رسمت خطوطه الثورة العملية . وتغيرت صورة العالم بفعل الانقلاب النووى أحد آثار الثورة العلمية فحدثت انقسامات فى كل من الكتلتين عبرت عن نفسها عقيديا ، فبرزت الصين فى المعسكر الشرقى وبدت بوضوح آسيويتها وبرزت فرنسا فى المعسكر الغربى وأعلنت

أوربيتها وبدأت تتحد مع دول أخرى لتبنى أوروبا الجديدة . وبرزت إلى جانب تلك عقيدة ثورات العالم الثالث التى أعطت مثلا لها الثورة العربية فطرحت فكرة الحياد الإيجابى وعدم الانحياز .

ونشبت حرب تشرين فبرزت قوة الأمة العربية كجزء من هذا العالم الثالث وأرهصت بإمكانية نمو هذه القوة . ونتجت عن هذه الحقيقة نتائج ملموسة على صعيد السياسة الدولية ، فاشتدت من جهة محاولات أعداء الأمة العربية لضرب الموقف العربى الواحد ومنع التقدم العربى على طريق الوحدة العربية بغية تبديد هذه القوة . واتجهت أوروبا الغربية للحوار العربى الأوروبى للاستفادة من هذه القوة والتنسيق معها . وظهرت مسؤوليات العرب الخاصة تجاه العالم الثالث .

واحتلت الثورة الفلسطينية وشعب فلسطين العربى ضمن هذه القوة العربية مكانا هاماً ، ولم يعد ممكنا على الصعيد الدولى إنكار حقيقة وجود شعب فلسطين. كما صدر الاعتراف على الصعيد العربى بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا وحيدا لشعب فلسطين .

الحقيقة الرابعة :

ما شهدته السياسة الدولية بعد الحرب من طرح منطق جديد

يقوم على الحق والضمير ويبشر بامكانية حل أزمة القيم التى عانى منها العالم الكثير فى هذا القرن .

فمن خلال بروز قوة الأمة العربية برز منطقها ومنطق العالم الثالث فى النظر إلى المشكلات المعاصرة وأصبح لزاماً على القوى الدولية أن تتعامل مع هذا المنطق. والمتأمل فى السياسة الدولية يلاحظ أن مشكلة أزمة القيم تلقى بظلها الثقيل على جميع المشكلات الأخرى وتؤثر على محاولات إيجاد حلول لها ، وهى تهدد وجود ومصير عالم الغد بعد أن اكتوى بنارها الإنسان المعاصر. وقد أوضح وزير الخارجية الأميركى تنبه الغرب لهـــذا المنطق الجديد فى السياسة الدولية فى معرض حديثه عن الصورة الراهنة للعالم بعد حرب تشرين وانتصار الهند الصينية فصرح « أنه اتضح لأميركا بالنسبة للدول النامية أن طريقة تفكيرها تتمثل فى أن يستمد العالم الايحاء من اعتبارات فلسفية أكثر من اعتبارات اقتصادية » .

هذه حقائق أربع كبيرة كشفت عنها حرب تشرين ورست صامدة أمام ما طرأ من متغيرات . ويبقى التساؤل عن مدى تمثّلنا نحن العرب لهذه الحقائق من أجل متابعة النضال .

إن الناظر فى الصورة العربية الراهنة يجد أننا بحاجة إلى مزيد من تمثل هذه الحقائق وإدراك نتائجها . فالحقيقة الأولى بشقيها تنبه الذين يعولون كثيراً على التحرك السياسى إلى الصراط ، وتشير للذين يتحسبون من هذا التحرك لضوابطه . ويبدو أنه مالم نقرن تحركنا السياسى بولوج طريق حرب التحرير فإن تأثيرنا على الأحداث سيكون ضئيلا . وواضح مدى الإمكانية المتاحة أمام العرب للاستفادة من الحقيقة الثانية وارتباط أمن وطنهم بالأمن العالمى لو عبروا عن إرادتهم الذاتية وجسدوا فعلياً مضمون الحقيقة الثالثة . وكم هو هام تشبث السياسة العربية بمنطق الحق والضمير ورفض الانسياق وراء أساليب العدو السياسية التى تستهدف تحويلنا عنه . وإنه ليقلق حقاً أننا بدأنا فى الآونة الأخيرة نتيجة التأثر بالتحرك الكيسنجرى نتحدث نحن أيضا عن المساومة والابتزاز وعقد الصفقات . وهو حديث يرفضه منطقنا من حيث المبدأ .

مطلوب إذن فى الذكرى الثانية لحرب تشرين أن نعيد تقدير موقفنا على ضوء ما كشفت عنه الحرب من حقائق ونصب أعيننا هدف تحرير الوطن .

الوحدة الوطنية وعام التحديات الصعبة .

الحل . . ومستقبل يهود الوطن العربي في التجمع الاسرائيلي .

وقفة أمام القدس .

الحكومة الفلسطينية .

طرد اسرائيل من الأمم المتحدة .

مهام فلسطينية

ماتقوله الثورة الفلسطينية

ماذا بعد الاتفاق في سيناء .

موقف عربي واحد من طرد اسرائيل .

النظرة المستقبلية وقضية فلسطين .

الوحدة الوطنية وعام التحديات الصعبة *

الأحداث التى جرت منذ بداية هـــذا العام ، ومنها جولة كيسنجر الجديدة للمنطقة تنذر بأن عام ١٩٧٥ سيكون بالنسبة للعمل الفلسطينى عاماً مليئاً بالتحديات الصعبة .

ولقد كان عام ١٩٧٤ حسب إجماع المراقبين حافلا بانتصارات كبيرة للعمل الفلسطينى على الصعيد السياسى والعسكرى . ويكفى أن نشير إلى مشاركة وفد فلسطين فى الأمم المتحدة ، وإلى مؤتمر الرباط ، وإلى عمليات المقاومة المتميزة داخل الأراضى المحتلة وبروز نموذج المطران البطل كبوجى وصمود الفدائيين فى جنوب لبنان .

وطبيعى أن هذه الانتصارات تضاعف من مسؤوليات العمل الفلسطينى وتلقى أعباء جديده على قياداته ومؤسساته ، وتطرح مجموعة أمور تتطلب أن يتصدى لها . ويكفى كمثل على ذلك أن نلاحظ أن قرار مشاركة وفد فلسطين فى الأمم المتحدة الذى أيدته مائة وخمسة دولة وقرار قبول منظمة التحرير الفلسطينية كعضو مراقب

* نشر هذا المقال بالمحرر ٢٣ / ٢/٧٥ .

فى المنظمة الدولية الذى أيدته تسع وثمانون دولة يعنى على المستوى الدول إقامة تمثيل على مستوى ما لمنظمة التحرير فى غالبية هذه الدول . ويعنى بالتالى مسؤوليات كبيرة فى إعداد « الكوادر » اللازمة لهذا العمل النضالى فى الساحة الدولية ناهيك عن المشاركة فى المنظمات الدولية التابعة للامم المتحدة ، ومتطلبات التحرك على مستوى التخطيط المركزى كل ذلك من أجل متابعة عملنا لعزل عدونا دوليا ولفرض شرعية الثورة الفلسطينية . كما أن هذه الانتصارات من جهة أخرى ضاعفت فى الوقت نفسه حجم العداء الحاقد الذى سيجابه به التحالف الإستعمارى الصهيونى العمل الفلسطينى . ويمكننا أن نلاحظ كدليل أولى على ذلك هذا الموقف المتشنج الذى يقفه العدو الصهيونى من وجود شعب فلسطين وتمثيل منظمة التحرير لشعب فلسطين ، ومساندة الولايات المتحدة لهذا الموقف بأشكال شتى .

ومن المتوقع أن يحاول هذا التحالف تعزيز موقفه بواقع يسعى إلى فرضه من خلال ما يطرحه من تسويات جزئية يحاصر بها العمل الفلسطينى ويضيق الخناق عليه .

فى مواجهة هذه التحديات . ومن أجل النهوض بهذه المسؤوليات لا بد للعمل الفلسطينى من أن يولى بناءه الداخلى اهتماماً خاصاً ، ويركز فترة من الوقت على « ترتيب البيت » فهو فى هذه المرحلة سيكون أحوج ما يكون إلى الصلابة والتماسك فى داخله من أجل أن يقوم بدور عربى ينتظره ويوفى مطالب تحركه الدولى .

إن « ترتيب البيت » يقتضى أول ما يقتضى وضوح طبيعة المرحلة الراهنة وتحديد ما الذى نريد تحقيقه فيها والأوراق التى بأيدينا . فبدون هذا الوضوح وهذا التحديد لن نستطيع معرفة احتياجات « البيت » ولا تكوين تصور كلى عنه . وبعد توافر الوضوح الفكرى وعلى أساس منه يكون السير الحثيث لتمتين عرى الوحدة الوطنية وبناء مؤسسات منظمة التحرير .

إن طبيعة المرحلة الراهنة تتحدد على ضوء حقيقة مبدئية هى أن صراعنا مع العدو لم ينته بحرب رمضان بل دخل طوراً جديداً . والمرحلة الراهنة هى إمتداد لفترة ما بعد الحرب التى تهيأ المناخ فيها لبلوغ تسويات مرحلية . وهى بهذا تختلف عن حالة اللاحرب واللاسلم التى سبقت حرب رمضان ، ولكنها فى الوقت نفسه

معرضة لخطر أن تتحول إلى حالة أسوأ هى حالة الجمود ، إن لم نحكم حساباتنا .

مطلوب على ضوء طبيعة المرحلة وإدراكنا لظروفها الدولية والعربية أن نحدد ما نريده منها على طريق هدفنا الاستراتيجى الأصلى الذى لا تنازل منا عنه .. وهو تحرير وطننا المحتل . وهنا يبرز هدف إيجابى ملح وهو فرض انسحاب العدو من الأراضى العربية التى احتلها بعدوان ١٩٦٧ حيث هيأت حرب رمضان المناخ الدولى لتحقيقه ضمن قرارى ٢٤٢ و ٣٣٨ ، كما يبرز هدف ملح آخر يمكن أن نصفه بأنه « دفاعى » وهو أن نحافظ على أصل قضيتنا ونتشبث بحقنا ونضع حدوداً للتحرك السياسى الفلسطينى والعربى عامة بما يمكّن من متابعة النضال .

وننظر فى الأوراق التى بأيدينا وهى وثيقة الصلة بالواجبات الملقاة على العمل الفلسطينى فنجد أمرين رئيسيين علينا واجب النهوض بهما ، وهما فى الوقت نفسه ورقتان بأيدينا .

أولهما : متابعة المقاومة فى أراضينا المحتلة وتطوير أساليبها ومضاعفة جهودنا فى هذا المجال لكى نحقق التصعيد . فالكفاح

المسلح لا يزال هو العنصر الأهم فى العمل الفلسطينى ، وبدونه لا يمكن إنضاج كثير من النتائج السياسية لحرب رمضان على مستوى الساحة الفلسطينية . وبشكل أوضح فإن ما يبدو من إمكانية تجسيد الاعتراف بشعب فلسطين وحقوقه ستضعف بدون استمرار الكفاح المسلح وتصعيد المقاومة. ناهيك عن أن المقاومة قبل ذلك كله هى السبيل لولادة شعبنا من جديد وصنعه مستقبله . وعلى الرغم من الظروف الصعبة المحيطة بالمقاومة فى حالة صمت المدافع على الجبهات العربية الأخرى فإن مفتاحها يبقى بأيدينا ، وما دام شعبنا تحت الاحتلال وفى المخيمات وأماكن التجمع الأخرى فإن المقاومة ممكنة وضرورية .

ثانيهما : التحرك السياسى على مدى واسع عربياً ودولياً لتوفير النضال السياسى الذى يعزز النضال العسكرى ويدعمه ويمكّن من صياغة نتائجه . ولقد ظهرت فى العام الماضى أهمية التحرك السياسى على المستويين العربى والدولى ، والمجال واسع والحاجة ملحة لمضاعفته فى هذا العام الحافل بالتحديات الصعبة .

إننا ننطلق فى تحركنا السياسى عربياً من استشعارنا حقيقة

قومية قضية فلسطين وإدراكنا لواجباتنا القومية فى الوطن العربى .
وهذا يعنى أننا نعى إخطار تردى الوضع العربى على قضيتنا . كما يعنى أننا يجب أن ندرك مسؤولياتنا فى هذا التردى وفى تمتين الوضع العربى وضبطه . وإن طبيعة الوجود الفلسطينى على مدى الساحات العربية مع ما لقضية فلسطين من تأثير على الأمة العربية يمكننا من القيام بدورنا كاملا . ولا بد من المصارحة فى أن ذلك يقتضى أتباع أساليب متقدمة فى العمل السياسى تقوم على العلمية وتنبع من الترابط القومى .

ومن خلال هذا الترابط وبالإستناد إلى القوة العربية فى عالمنا ننطلق فى تحركنا السياسى دولياً لنحقق أهدافنا .

على ضوء هذا الوضوح تبدو أهمية الوحدة الوطنية فى الساحة الفلسطينية ، وأهمية بناء مؤسسات منظمة التحرير لتتكفّل بحمل هذه الأعباء .

إن الحديث عن الوحدة الوطنية قديم جديد . وعلينا ألا نملّه لما له من تأثير كبير على مسيرتنا . فالوحدة الوطنية ضرورية لمتابعة المقاومة وتصعيدها ، وهى ضرورية لقيامنا بدورنا العربى

وبنشاطنا الدولى . وبقدر ما أثلجت العمليات الأخيرة فى الأراضى المحتلة نفوس أبنـــاء شعبنا بقدر ما شاب ذلك من سلبية تعدّد البيانات حولها بعد عشر سنوات من الكفاح المسلح . وقد ذكرت قيادات فى العمل الفلسطينى أنها سممت الإشارة إلى الوحدة الوطنية فى عدة لقاءات دولية شاركت فيها .

إن مفهوم الوحدة الوطنية ينصرف إلى العلاقات بين فصائل المقاومة . وهذه العلاقات أمر حيوى جداً ولـكن هذا المفهوم يجب أن يشمل أيضاً جميع قوى شعبنا مع فصائل المقاومة .

مطلوب فى هذه المرحلة إذن أن نعطى علاقات الفصائل بعضها ببعض جهداً خاصاً ، ومعالجة ما يعتور هذه العلاقات بأسلوب علمى يحدد أسباب النقص فيها ووسائل العلاج . والحق أن المتابع لما يجرى فى الساحة الفلسطينية يمكن أن يشير إلى بعض هذه الأسباب أو إليها جميعها . وسيقف عند سببين رئيسيين :

الأول : هو عدم الاتفاق على ترتيب الأهداف التى ينبغى على العمل الفلسطينى أن يناضل لتحقيقها فى مرحلة ما بعد رمضان. فبينما يضع البعض هدف فرض انسحاب العدو الإسرائيلى من الأراضى

العربية هدفاً رئيسياً للنضال فى هذه الفترة لتحرير أهلنا فى الضفة القطاع من ربقة الاحتلال وإبعاد خطر التهويد عنهم ، نجد البعض الآخر يعلن أن الهدف الرئيسى هو إبعاد خطر التصفية عن قضية فلسطين الذى اشتد وتفاقم ـ حسب ما يرون ـ بعد الحرب.

هذا الاختلاف حول البداية يجر إلى سلسلة من الاختلافات حول الأساليب والخطوات . فوجهة النظر الأولى ترى تكثيف النضال العسكرى والنضال السياسى لتحقيق الانسحاب . ووجهة النظر الأخرى ترى توظيف النضال العسكرى لإحباط مؤتمر جنيف وتتحفظ على أى تحرك سياسى ضمن صيغة جنيف وأحياناً خارجها لأنها تفترض أن العدو سيفرض علينا الاعتراف به والصلح معه مقابل أى انسحاب .

والحق أن نقاط اللقاء بين وجهتى النظر هاتين كثيرة . ويمكن تجاوز نقاط الخلاف التى قد تبدو حادة للبعض برسم خطوط دقيقة للتحرك السياسى .

فالكل يجمع على استمرار الكفاح المسلح والكل يجمع على عدم التفريط بحقوقنا فى وطننا ، والكل يستشعر ضرورة انسحاب

العدو من الأراضى التى احتلها عام ٦٧ وإزاحة كابوس الاحتلال عن أهلنا هناك . وهكذا يكون ممكناً الاتفاق على أن نضالنا لتحقيق هذا الانسحاب إنما يكون بالكفاح المسلح وبتحرك سياسى نشط محكوم بعدم اعترافنا بإسرائيل أو صلحنا معها .

إن الحاجة ملحة الآن لحوار جديد بين قيادات الفصائل حول هذا الموضوع . وقد أثبتت تجربة الحوار التى جرت فى العام الماضى قبيل إنعقاد المجلس الوطنى إمكانية التقدم على طريق اللقاء ، وتمت صياغة النقاط العشر التى أقرها المجلس فى دورته السابقة . ولا بد الآن من المتابعة لحصر الخلاف حول تفسيرات النقاط العشر ومناقشة ما جدّ فى الساحة .

كذلك فإن مفهوم الوحدة الوطنية الواسع الذى يشمل مع الفصائل جميع قوى شعبنا يقتضى نظرة جديدة فى تشكيل المجلس الوطنى الجديد الذى يحين وقت دعوته هذا الصيف بحيث يأتى ممثلا لجميع شعب فلسطين .

السبب الثانى : فى ما يعتور الوحدة الوطنية من متاعب هو عدم اتفاق الفصائل على أساليب العمل داخل مؤسسات منظمة

التحرير ، والانسياق فى نقد بعضها البعض إلى الحملات الإعلامية ، والحساسية الزائدة تجاه هذه الحملات .

ولقد أثارت أزمة شهر أيلول الماضى التى شهدت انسحاب الجبهة الشعبية من اللجنة التنفيذية موضوع أساليب العمل داخل اللجنة التنفيذية ، كما نبّهت إلى دور الحملات الإعلامية فى توتير العلاقات خصوصاً وجود حساسية شديدة تجاه ما يكتب فيها لعله نابع من لغة الإتهام التى تغلب على صياغة الحملات .

إن الإتفاق على أساليب العمل داخل جميع مؤسسات المنظمة ليس بالأمر المستحيل ، ولا هو ببالغ الصعوبة أيضاً . فلكل من هذه المؤسسات نظامها . ويمكن أن تغنى هذه الأنظمة بلوائح تحدد ما يختلف عليه ، كما أن تجربة سنوات عشر فيها قادرة على بلورة تقاليد ومثل للعمل الفلسطينى . ولقد آن الأوان لضبط لغة الإعلام. ولعل البحث فى ميثاق شرف إعلامى تقتضيه إخوة النضال ورفقة السلاح يكون سبباً للضبط . ويبقى أن يوطنّ جميع العاملين فى العمل العام أنفسهم على تحمل النقد وتخفيف حساسيتنا إزاءه ما أمكن . ونقول « تحمل » و « تخفيف » لأن أحداً لا يتوقع مع حقيقة بشريتنا إلا نتأثر بالنقد .

لقد حقق العمل الفلسطينى إنجازات كثيرة خلال السنوات العشر التى مضت. وقدمت العلاقات بين جميع القوى الفلسطينية ومن بينها فصائل المقاومة نموذجاً لتجربة لم تخل من سلبيات ولكنها حفلت بإيجابيات كثيرة. واستطاعت هذه التجربة أن تجابه التحديات الخارجية وتتغلب فى الداخل على خطر دموية الصراع، وتعلى صوت الديموقراطية. وبإمكان عملنا الفلسطينى لو وعى هذه التجربة أن يصل بها كى تكون نموذجاً يحتذى فى الديموقراطية الثورية.

عام حافل بالتحديات الصعبة وثقتنا كبيرة فى أننا قادرون على الاستجابة لتحدياته والتقدم على طريق التحرير.

الحل

ومستقبل يهود الوطن العربى

فى التجمع الإسرائيلى

من بين تصريحات كثيرة حول قضية فلسطين صـــدرت فى الآونة الأخيرة ، استوقفنى تصريح للرئيس السودانى جعفر النميرى أعلن فيه أن السودان يفتح أبوابه أمام يهود السودان العـــرب الموجودين فى التجمع الإسرائيلى والراغبين بالعودة إلى وطنهم . ولقد طالب السودان انطلاقاً من هـذا التصريح فى اجتماع اللجنة الدائمة للاعلام العربى الذى تم بالقاهرة فى الشهر الماضى ، « أن تتبنى أجهزة الاعلام العربى على النطاق العالمى دعوة يهود الدول العربية الذين سبقت هجرتهم إلى إسرائيل بالعودة إلى أوطانهم » .

قبل أن أنشغل بالحديث عن هذا الموضوع الهام الخاص بيهود الوطن العربى فى التجمع الإسرائيلى ، لا بد من كلمة تقال بشأن هذه التصريحات الـكثيرة التى تصـدر حول قضية فلسـطين منذ حرب رمضان على المستوى العربى .

لو نظرنا فى هذه التصريحات سيلفت انتباهنا ملاحظات أولية وهى أن عدداً منها يتضمن طرحاً لأفكار عملية ، ويتصف بالمبادرة ، وتلك فى رأينا إحدى ثمار حرب رمضان التى عززت شعور العرب بقدرتهم على الفعل . ولكننا بعد هذه الملاحظة الأولية نميز فى هذه التصريحات بين نوعين .

أولهما تلك التى صيغ مضمونها على أساس أن يخدم هدفنا الاستراتيجى فى صراعنا ضد العدو الصهيونى ومن أجل تحرير فلسطيننا ، والمبادرة هنا سلاح فعال بأيدينا .

والنوع الآخر تلك التى اعتمدت فى صياغتها على التكتيك وغاب عنها الهدف الاستراتيجى أو تغافلت هى عنه فلم تتحرج من أن تتناقض فى مضمونها معه مادامت تحرج العدو الصهيونى فى التحرك السياسى . والمبادرة هنا سلاح ذو حدين لم يقدّر مطلق التصريح خطورة حده الآخر الذى يمكن أن يضربنا به العدو .

نضرب مثلا لكل من هذين النوعين بما نقوله عن (الحل) الذى نقبله لقضية فلسطين . فحل دولة فلسطين الديموقراطية العلمانية

مع دمج يهود الأوطان الأخرى فى مجتمعاتهم هو من النوع الأول . والحديث عن تطبيق قرار التقسيم ضمن الإشارة إلى قرارات الأمم المتحدة هو من النوع الآخر . وأذكر هنا أن المجلس المركزى لمنظمة التحرير الفلسطينية كان حاسماً فى اختياره للنوع الأول حين وضع الخطوط الرئيسية لخطاب فلسطين فى الأمم المتحدة . وكان أبو عمار حريصاً على الخصوص عند طرح الحل على الإشارة لرفضنا التقسيم ولماذا رفضناه .

ان الحاجة ملحة فى ظل روح (المبادرة) أن نحكم جميع تصريحاتنا العربية لتكون من هذا النوع الأول فتصاغ على أساس أن تخدم هدفنا الاستراتيجى الذى لن نحيد عنه ، والذى تؤكد كل الدلائل أننا بالقوه بمتابعة الجهاد والنضال .

* * *

نعود إلى الحديث عن تصورنا لمستقبل يهود الوطن العربى الموجودين فى التجمع الإسرائيلى على أرض فلسطيننا ، بمناسبة ما طرحه السودان . والحق أن تصريح الرئيس النميرى استوقفنى لأنه من النوع الأول الذى يخدم هدفنا الاستراتيجى وينبثق منه .

وتجدر الإشارة هنا أن السودان هو ثالث دولة عربية — على حدّ علمى — تتخذ هـذا الموقف من مواطنيها اليهود الذين هجّرتهم الحركة الصهيونية وتعلنه[١]. وقد ذكرت فى كتابى (ماذا بعد حرب رمضان ؟) فى معرض بحثى فى هـذا الموضوع تصريحاً للملك المغرب قاله لنا حوم غولدمان عام ١٩٧٠ وتصريح العقيد القذافى فى ندوة اللوموند بباريس فى تشرين الثانى ١٩٧٣ فى أعقاب حرب رمضان وكانت قيادة منظمة التحرير قد تبنت هـذا الموقف فى مطلع عام ١٩٧٠ ولـكن الاعلام العربى لم يبرز ذلك كما ينبغى . وبالطبع فإن الاعلام الصهيونى والاستعمارى عامة يبذل جهوداً كبيرة للتعتيم على هذا الموقف وهذه التصريحات العربية .

أين مكان هـذا الموقف من الحل الذى نطرحه والذى يحقق هدفنا الاستراتيجى ؟

ان هدفنا الاستراتيجى هو تحرير فلسطين لأن قضية فلسطين هى قضية شعب شردته الغزوة الصهيونية وقضية أرض لهذا الشعب اغتصبها الغزاة الصهاينة . ومهما حاول العدو أن يخفى هذه الحقيقية فإنها ستبقى ساطعة بفعل وجود شعبنا ومقاومته . . وكل المحاولات

(١) أعلن العراق هذا الموقف فى اوقمبر (تشرين الثانى) ٧٥ . ويعود تاريخ هذا المقال الى مارس (آذار) ٧٥ .

الدولية لمعالجة فروع القضية لن تنهى الصراع وإنما ستكون مسكنات مؤقتة التأثير يزول مفعولها فيتفجر الصراع من جديد .

واضح أن هناك وجهين لهذه القضية أحدهما الغزو الاستعمارى الاستيطانى الذى تقوم به الحركة الصهيونية مستغلة وجود ما تسميه (المشكلة اليهودية) فى أجزاء من العالم. والآخر مقاومةشعب مشرد ، ووطن مغتصب وأمة مهددة لهذا الغزو .

اننا نطرح حلا متكاملا لقضية فلسطين نؤكد فيه حق شعب فلسطـــين فى وطنه وفى الوقت نفسه حق كل يهودى فى العيش الكريم ضمن قوميته وعلى أرض وطنه . ونحن نفرق بين اليهودية كدين وبين الصهيونية كحركة استعمار استيطانى مع وعينا لاستغلال هذه الحركة ثوب الدين اليهودى فى تحركها . ونعتقد كما تثبت الدراسـات الانثروبولوجية أن اليهود ليسـوا قومية واحدة وإنما هم أقوام من أجناس عدة يدينون باليهودية . ومن هنا فمحاولة الصهيونية اصطناع قومية ليهود الأوطان الأخرى ستنتهى آخر الأمر بالفشل . ونلاحظ أن إسرائيل منذ قيامها تشهد الأزمة تلو الأزمة حول تعريف اليهودى والإسرائيلى وتحديد الجنسية

الإسرائيلية . كما أن إسرائيل لم تحل المشكلة اليهودية وفق طرح الحركة الصهيونية لهذه المشكلة وحلها .

وإن اعلاننا عن حق كل يهودى فى العيش الكريم ضمن قوميته وعلى أرض وطنه يعنى أننا نرفع صوتنا ضد أى اضطهاد ليهودى فى وطنه بسبب يهوديته . ونحن لا ننسى كعرب مقدار ما عانيناه ونعانيه بسبب حدوث هذا الاضطهاد فى مجتمعات أخرى ، فى الوقت الذى عاش فيه يهود الوطن العربى قروناً طويلة لهم ما لنا وعليهم ما علينا يتنفسون مناخ التسامح الذى كان مخيما على الحضارة العربية الإسلامية . ونتوقع أن تبلغ الجهود المتضامنة من اليهود غير الصهاينة والأمم الأخرى تحقيق اندماج اليهود فى مجتمعاتهم وتمسكهم بعقيدتهم .

طبيعى أننا كعرب سلمنا ونسلم بحق يهود الوطن العربى فى العيش الكريم على الأجزاء العربية التى ولدوا فيها ، تماماً كما نعترف لليهودى الإنكليزى أو الروسى أو الرومانى الخ بحقه فى العيش الكريم على أرض وطنه والعودة إليه إن كان قد نزح منه . وهذا يعنى أننا مع دعوتنا لإقامة دولة ديمقراطية على أرض فلسطين يعيش

فيها عرب فلسطين من معتنقى الديانات الثلاث جنباً إلى جنب فى ظل التسامح وتكون مركز اشعاع روحى للمؤمنين من القوميات الأخرى ، نطرح الحل الوحيد الصحيح ليهود التجمع الإسرائيلى الذين هجرتهم الحركة الصهيونية وهو أن يعيشوا فى أوطانهم .

واضح أن هذا الحل يعنى أن تتحمل الدول العربية نصيبها فيه فتتخذ الموقف الواضح من مواطنيها اليهود الذين هجرتهم الحركة الصهيونية وتعلنه . ومضمون هذا الموقف هو اعلانها حقهم فى العيش على الأجزاء العربية التى ولدوا فيها، وفتح الباب أمام الراغبين بالعودة منهم ليتسنى لهم النزوح من التجمع الإسرائيلى .

إن فى الوطن العربى اليوم عدداً من اليهود العرب لا يزالون يعيشون على أرضه كما عاش أسلافهم لقرون طويلة . وتقدر الاحصاءات اليهودية الصهيونية هؤلاء بمائتى ألف نسمة ، ومعلوم أن الحركة الصهيونية تتخذ منهم « قميص عثمان » لتأليب الرأى العام العالمى على العرب وتبرير اضطهادها لشعب فلسطين بالزعم أنهم يعانون من اضطهاد السلطات العربية لهم . ونلاحظ أن موضوعهم أدرج فى المؤتمر اليهودى العالمى الذى انعقد مؤخراً بالقدس ولقد

آن الأوان أن نتصدى بعلمية لهذا الاستغلال الصهيونى بإبراز صورة حياة هؤلاء المواطنين فى مجتمعاتنا وشرح جو التسامح الذى كان ولا يزال هو السائد فى حضارتنا . وليس هذا فحسب بل آن الأوان أيضاً أن يقوم هؤلاء المواطنون بدورهم فى كشف مزاعم الصهيونية التى آذتهم وآذت إخواناً لهم يعانون التفرقة العنصرية فى التجمع الإسرائيلى .

ونأتى إلى أولئك الذين هجّرتهم الحركة الصهيونية إلى فلسطيننا من يهود الوطن العربى ، فنجد أنهم يتجاوزون المليون ، وقد هاجر غالبيتهم بعد حرب ١٩٤٨ وساهمت غفلة بعض المسؤولين العرب فى إنجاح مخططات تهجيرهم الصهيونية إلى فلسطين .

وهناك فى التجمع الإسرائيلى نجدهم يعانون من التمييز الذى تمارسه السلطات الحاكمة ، وهى فى تكوينها تمثل يهود أوروبا ، وقد استخدموا ليكونوا اليد الضاربة لأبناء وطنهم العرب وللاراضى التى ولدوا فيها . كما استخدموا كزبانية الاحتلال فى الضفة الغربية وقطاع غزة وسيناء والجولان . وتراهم مع ذلك حتى يومنا هذا وبعد سنوات من تهجيرهم يحنون للأراضى التى ولدوا فيها

ويتجاوبون مع ثقافتها . ولم تفلح كل محاولات الصهيونية أن تحوّل أبناءهم إلى وجهة أخرى ضمن مساعيها لخلق « جيل صابرا » جديد، فلا زال ابن اليهودى الشرقى شرقياً وابن اليهودى الغربى غربياً — كما يلاحظ دارسون صهاينة .

لقد آن الأوان أن نلتفت لأولئك على الرغم من كل ما تراكم من أخطاء نتيجة تهجيرهم . فهم يبقون كيهود عرب جزءاً من مسؤولية الأمة العربية . ولا بد أن يتصدى العرب لمعالجة مشكلاتهم فيكشفوا ما يعانون فى ظل التجمع الصهيونى، ويطرحوا الحل الوحيد لمشكلاتهم بعودتهم للعيش فى أجزاء الوطن العربى .

إن هذا الموقف سوف يعنى اقتران سلبية المناشدة لايقاف الهجرة والتهجير إلى إسرائيل ، بإيجابية الدعوة للنزوح والهجرة المضادة من داخل التجمع الإسرائيلى إلى خارجه .

واضح أن هذا الموقف بدأ يفرض نفسه فى وطننا العربى مع نضج المعالجة العلمية للقضية . ونتوقع مع ذلك أن تبرز أمامه عقبات من أهمها ما يثيره المسؤولون عن الأمن فى الدول العربية من مخاوف استغلال الصهيونية لهذا الموقف للعمل على التغلغل فى الوطن العربى

والحق ان اعتبارات الأمن فى خضم صراعنا ضد العدو الصهيونى يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار . ولـكن هـذه الاعتبارات لا ترسم سياسة وإنما تحدد ضوابط عند التنفيذ . ومما يؤلم كثيراً أن هـذه الاعتبارات كانت ترسم السياسة فى قضايا قومية مصيرية . فيتردد مثلا مسؤولو الأمن فى الموافقة على السفر بالهويات بين البلاد العربية خوفاً من أن تتضاعف مسؤولياتهم. ويعامل حامل الوثيقة من أبناء فلسطين معاملة خاصة فى كل نقط الحدود بغض النظر عن نتائج هذه الاجراءات على قضية الوحدة وهذه المعاملة النفسية على حل قضية فلسطين.

ان اتخاذ هذا الموقف من يهود الوطن العربى يجب أن يقترن برسم ضوابط عند التنفيذ تجسّد معنى التزام هؤلاء الوطنى كمواطنين فى دولهم وفى إطار حرية اعتقادهم . . ونحن حين نتخذ هذا الموقف فإنما نفعل ذلك بوحى من مثل وقيم حضارتنا الإنسانية التى ستسهم فى إسعاد الإنسان فى عالم الغد .

وقفة أمام القدس

يبدو أننا كعرب بحاجة فى هذه الأيام إلى وقفة أمام قضية القدس، نعيد فيها تحديد موقفنا منها ورسم سياستنا تجاهها وسن حد إرادتنا ونقرنها بحشد قدراتنا لمتابعة النضال حتى نبلغ هدفنا فى القدس .

لسنا غافلين ونحن نستشعر هذه الحاجة عن القرارات التى صدرت عنا وحددت موقفنا من قضية القدس منذ حرب رمضان . ومن بين هذه القرارات قرار مؤتمر القمة العربى الذى انعقد بالجزائر فى نوفمبر (تشرين الثانى) ١٩٧٣ والذى قرر أن من بين أهداف المرحلة الحالية للنضال العربى المشترك « تحرير مدينة القدس العربية وعدم القبول بأى وضع من شأنه المساس بسيادة العرب الكاملة على المدينة المقدسة » . وقرار مؤتمر القمة الإسلامى الذى انعقد فى شباط (فبراير) ١٩٧٤ بلاهور وشارك فيه وفد على مستوى عال من رجال المسيحيين العرب والذى أعلن « صلة المسلمين القوية بمدينة القدس

الشريفـة وعزم حكوماتهم الأكيد على العمل من أجل تحريرهـا وإعادة السيادة العربية إليها وإصرارهم على أن لا تكون القدس موضع مساومة أو تنازلات » ، وأدان تدابير إسرائيل لتهـديد المدينة المقدسة وطالب بانسحابها الفورى منها وقرر مواصلة الجهاد فى سبيل تحريرها .

لماذا إذن تبرز الحاجة لوقفة أمام قضية القدس فى هذه الأيام ؟

هناك أسباب محددة . .

* ان موقف العدو الإسرائيلى من اغتصاب القدس ، وإن لم يطرأ عليه تغير أساسى منذ عام ١٩٦٧ ، إلا أنه اكتسب خطورة مضاعفة بعد فشل تحرك كيسنجر الوصول إلى تسوية للنزاع ، وتبدد آمال كانت تتعلق بإمكانية انسحاب إسرائيلى من الأراضى العربية المحتلة بعد حرب رمضان . وقد عـبّر عن هـذا الموقف الإسرائيلى بخطورته المضاعفة « إعلان القدس » الذى أصدرته الجمعية العمومية للمؤتمر اليهودى العالمى الذى انعقد فى شباط الماضى وأكد « تصميم الشعب اليهودى بأسره (؟؟) على المحافظة على وحدة القدس . عاصمة لدولة إسرائيل . والرفض البات لإقامة دولة علمانية

فلسطينية . « كما يعبر عنه يومياً ويجسِّد ما تقوم به إسرائيل من مشاريع لتغيير معالم المدينة واستكمال تهويدها وفرض أوضاع جديدة عليها . والحديث متَّصل فى هذا المجال عن إقامة المنطقة الصناعية شرقى القدس وتثبيت الاستيطان اليهودى فى الخليل وتوسيعه جنوب القدس . وقد أصدر الحاكم العسكرى للضفة الغربية مؤخراً « أمر إدارة كريات أربع » ، وهو الحى اليهودى الذى أقامته سلطات الاحتلال فى الخليل ، ويقضى هذا الأمر بإدارة شؤون كريات أربع البلدية على النمط الإسرائيلى وطبقاً للقانون الإسرائيلى ». وهكذا يتأكد موقف العدو المتشبث باحتلال الضفة والقطاع واغتصاب القدس .

* ان صدور تصريحات عربية على الصعيد الرسمى بشأن تدويل القدس وما أثاره ذلك من ردود فعل مختلفة فى الوطن العربى أوجد حالة من الحيرة فى كيفية معالجة القضية وطرحها على الصعيد الدولى . وقد تتحول حالة الحيرة هذه إلى حالة تسيُّب إن لم تحسم بالاتفاق على أساليب التحرك السياسى الخاصة بقضية القدس فضلا عن تأكيد الاتفاق على الموقف المبدئى منها . وقد قدمنا ضرورة الاتفاق على

أساليب التحرك السياسى لأن الاختلاف ثار حولها ولم يتعدها إلى الاختلاف من حيث المبدأ ، كما وضح من حديث الرئيس السادات حين قال مؤخراً « ليس هناك عربى واحد مسلماً كان أم مسيحياً وليس هناك مسلم واحد فى كل العالم الإسلامى يمكن أن يقبل بسيادة إسرائيلية على القدس العربية . هذا موقف لا مناقشة فيه . ولكن عندما أسأل عن تدويل الجزء العربى من القدس أرد قائلا : لا . . إذا كان هناك تدويل فليكن للقدس بأكملها ، فإذا تم تدويل القدس كلها ونزعت إسرائيل من القدس كاملة ففى يقينى أنه سيكون فى صالح القضية الفلسطينية ، هذه وجهة نظر أما موقفنا الرسمى الأساسى والمعلن والمبلّغ لأميركا على مختلف مستوياتها فهو أننا لا نقبل بسيادة إسرائيلية على القدس العربية مهما كانت الظروف ». وقد جاء هذا القول رداً على سؤال حول كلام إسماعيل فهمى عن تدويل القدس . ومطلوب أن نحدد عربياً أساليب تحركنا السياسى الخاصة بالقدس من حيث مضمونها وشكلها .

* ان اغتيال الملك الراحل فيصل فى أعقاب فشل مهمة كيسنجر يطرح عربياً تجديد التزامات السعودية التى كان قد التزم

بها تجاه المدينة المقدسة . ومع أن البيان الأول الذى أصدره الملك خالد تضمن تجديد الالتزام حين قال « يجب تحرير القدس العربية من مخالب الصهيونية ، وتأكيد سيادة العرب عليها وضرورة استعادة حقوق شعب فلسطين وتحرير الأراضى العربية التى احتلت عام ١٩٦٧ » ، إلا أنه من الضرورى أن يتم ذلك أيضاً على مستوى القمة العربية باعتباره أعلى مستوى للعمل العربى المشترك وفيه التزم الملك فيصل من قبل . وسيكون على مؤتمر القمة أن يبحث من جديد توزيع الإدارة العربية فى التحرك من أجل استرداد القدس .

* فى ظل الظروف المحيطة بالقضية فى الآونة الراهنة تبرز حاجة أهلنا فى القدس والأراضى المحتلة عامة لموقف عربى واحد يدعم صمودهم منطلقه التمسك بحقوقنا فى وطننا فلسطين وقوامه الوضوح . وقد برزت هذه الحاجة فى الشهور الثلاثة الأخيرة مع ما ظهر فى الموقف العربى من تشقق وما نتج عن تحرك كيسنجر . وكان أهلنا قد انتعشوا بعد حرب رمضان وارتفعت معنوياتهم مع ما حققته منظمة التحرير من انتصار معنوى على الصعيد الدولى

فى نهاية العام الماضى . وقد وضح من مجريات الأحـــداث أن الاحتلال الذى يقاسون لن ينحسر بسرعة ، وما زال عليهم أن يواجهوا أياماً صعبة حافلة بالنضال ، وهم من أجل ذلك بحاجة إلى دعم معنوى ومادى يتجسد فى موقف عربى واحد من القدس .

يتضح على ضوء هذه الأسباب أن من الضرورى القيام بهذه الوقفة أمام قضية القدس فى هذه الأيام . وهذا يقتضى التحضير لهذه الوقفة وتحديد المكان الأنسب لها .

فى مجال التحضير يجب أن نأخذ بعين الاعتبار حين نقف وقفتنا هذه مجموعة حقائق يتحدد على أساسها موقفنا .

* ما تمثله القدس باعتبارها رمزاً لفلسطين ، وما لموقع القدس من أهمية استراتيجية بالغة ظهرت فى جميع العصور منذ أن أقيم عليه حصن يبوس . ومعروف ما للقـدس مكانة روحية . كما أننا لا نريد الافاضة فى شرح ما تعنيه القدس من وجهة نظر الجغرافيا السياسـية . ونجمل القول فى العاملين معاً أن القدس مفتاح فلسطين .

* إدراك العدو لهذه الحقيقة وتشبثه من ثم باغتصاب القدس

والوقوف فى وجه الرأى العام الدولى ، ومجاهرته بموقف مبدئى يحاول به أن يقوى ادعاءاته التاريخية المهزوزة .

* ما تعنيه القدس بالنسبة لأهلنا على الخصوص وهم الذين رضعوا فضائل بيت المقدس وتوارثوا عن آبائهم ما قيل فى هذه الفضائل . وتجدر الإشارة هنا أن عدداً من الكتب فى هذا موضوع جرى تأليفها حين تعرضت القدس لمحنة الغزو الصليبى . وأهلنا يشعرون بقلق خاص من فكرة تدويل القدس لأنها تعقّد قضيتهم وتضع أرضهم على مائدة الأطماع الدولية .

* الفرق الواضح بين الموقف الاستراتيجى الذى يتفق مع هدفنا النهائى فى تحرير أرضنا ، والموقف التكتيكى الذى يغفل عن هذا الهدف النهائى ويستهدف كسباً سريعاً فيتناقض مع هدف التحرير .

ان جميع هذه الحقائق تؤكد على أن الموقف الذى يمكن أن نخرج به كعرب من وقفتنا أمام قضية القـــدس هو التمسك بتحريرها واستردادها . فبهذا الموقف نعلن عن تمسكنا بحقنا فى فلسطين وعن وعينا لمعطيات الجغرافية السياسية ، ونجابه موقف

العدو المبدئى بما هو أقوى منه وندعم صمود أهلنا ، ونقف الموقف الاستراتيجى المنسجم مع هدفنا النهائى .

وهكذا يبدو هذا الموقف وكأنه الموقف الوحيد الذى ينسجم مع متطلبات نضالنا العربى . ولعل من أهم ما يؤكد صوابه أنه يعبّر عن ثقتنا بالمستقبل .

ان ثقتنا بالمستقبل نابعة عن إدراكنا لمدى تغلغل جذورنا فى أرض القدس الطاهرة ، فى الوقت الذى يمثّل الوجود الصهيونى الاستعمارى الاستيطانى نبتاً بلا جذور هناك . ولقد عبّر عن هذه الثقة المطران كبوجى وهو يرسم بيده علامة النصر . كما تعبر عنها قصص كثيرة نسمعها عن أهلنا هناك . وعلى الرغم من جهود عدونا فى تهجير صهاينة كثيرة للقدس ، فإن التوجه للنزوح عنها ملموس عند كثيرين منهم. والصحف الإسرائيلية مشغولة منذ حرب رمضان بدراسة هذه الظاهرة .

وواضح أن قيادات الاستعمار الاستيطانى الصهيونى تحاول مقاومة هذا التوجه بالتأكيد على عقدة « المسادا » وبجواب كجواب رابين فى خطاب ألقاه مؤخراً على صهاينة فى شمال فلسطين حين قال

« وتسألون ماذا ستكون النهاية ؟ ولماذا تكون هناك نهاية ؟ » .
ولقد لفت انتباهى من حديث قادم من القدس ما رواه عن زوجته
التى لاحظت أن جارتها الإسرائيلية تبيع أثاثها فسألتها عن السبب
فجاءها الجواب « سنغادر إلى المكان الذى جئنا منه ، إلى متى
سنصبر على سماع الانفجارات والعيش فى ظل شبح الحرب ؟ » .

إن هذه الثقة بالمستقبل ليست غافلة عما يعانيه أهلنا فى ظل
الاحتلال الصهيونى ، ولا عما يقوم به العدو لايجاد واقع يفرض
علينا . ومن هنا فهى تقوم على ضرورة استمرار نضالنا لصنع هذا
المستقبل الذى نريده ، وتأخذ بعين الاعتبار مدى ما يمكن
لشعبنا ولأمتنا تقديمه .

ولا بد أن يقترن تحديد الموقف العربى المبدئى من قضية
القدس بتحديد مدروس لوسائل العمل للتعبير عنه وتجسيده . وفى
هذا المجال يكون الالتفات إلى ضرورة تصعيد المقاومة واستمرار
الكفاح المسلح داخل الأراضى المحتلة . وهذا يقتضى دعماً عربياً
فعّالاً لمنظمة التحرير الفلسطينية . كما يكون الالتفات إلى ضرورة

مؤسسات الصمود التى يقيمها أهلنا هناك والعمل على مستوى حضارى عملا طويل المدى يدرك عامل الزمن فى هذا الصراع .

ان المكان الأنسب لهذه الوقفة هو مؤتمر القمة العربى القادم على المستوى الرسمى ليوحد الإرادة العربية تجاه القدس ويوفر القدرة اللازمة للتعبير عنها . وهو أيضاً كل تجمع عربى على المستوى الشعبى يجرى التعبير فيه عن هذه الإرادة وعن هذه القدرة . ومنظمة التحرير الفلسطينية مهيأة للقيام بدور خاص فى التحضير لهذه الوقفة على الصعيدين الرسمى والشعبى .

ونتطلع ناحية قدس الأقداس ونحن نعيش محنتها فنراها حزينة تمضى عيد فصح آخر وهى مدنّسة بالاحتلال، ونراها صابرة صامدة واثقة من الانبعاث العربى . ونجد أنفسنا مشدودين إليها وجذورنا ممتدة فى أعماق جبالها منذ أكثر من خمسة آلاف سنة ، نتطلع ليوم تعود فيه عاصمة لفلسطين المحررة .

الحكومة الفلسطينية

مرة أخرى طرح تشكيل وإعلان حكومة فلسطينية على منظمة التحرير وكان الطرح هذه المرة فى « الندوة القومية لدعم الثورة الفلسطينية » التى اجتمعت بطرابلس الغرب يوم الخامس عشر من أيار (مايو) .

وهكذا يبرز موضوع الحكومة مرة أخرى . وكان قد برز مرات خلال السنوات الثلاث الماضية منذ أن طرحه لأول مرة الرئيس السادات فى خطاب له ألقاه فى افتتاح إحدى دورات المجلس الوطنى الفلسطينى . وتتالت خلال هذه الفترة التصريحات والتحليلات حول الموضوع . وفى كل المرات السابقة بدا واضحاً أن الفكرة لم تنضج فلسطينياً ، وان هناك حاجة لاستكمال تهيئة الجو المناسب لتنفيذها . ولقد عبّر عن هذا المعنى الأخ أبو عمار رئيس المنظمة فى خطابه يوم افتتاح الندوة حين وعد بأن تتولى مؤسسات المنظمة

دراسة الاقتراح الليبي بتشكيل « حكومة ثورية » والبت فيه وفقاً للتقاليد الديموقراطية فى العمل الفلسطينى . ونلاحظ أن موضوع الحكومة هذا كان محل بحث على صعيد التحرك الفلسطينى دولياً مثلما طرح على الصعيدين الفلسطينى والعربى . ويمكننا أن نرى نضجه على الصعيدين العربى والدولى ، ويبقى للاعلان أن ينضج فلسطينياً لأنه فى النهاية قرار فلسطينى . فهل سيتحقق ذلك قريباً ؟

الحق أن الطرح جاء هذه المرة فى وقت تتهيأ منظمة التحرير فيه لتشكيل وعقد المجلس الوطنى الجديد ، وتتجه نيّات بعض القوى الفلسطينية إلى ضرورة تمتين الوحدة الوطنية من خلال حوار بين قيادات فصائل المقاومة يصل إلى التزامها بورقة عمل للسنة القادمة تكون تأكيداً وإكمالا للنقاط العشرة التى تم الاتفاق عليها قبل عام ، ومن المتوقع أن يعاد بحث موضوع الحكومة على ضوء ما جد من معطيات .

لا بد لهذا البحث كى يستوفى الغاية منه أن ينتهج «الموضوعية» ويتناول الفكرة من زاويتين متكاملتين . . . . النظرة القانونية والنظرة السياسية . والتذكير بالموضوعية يستهدف الخروج من

جوّ نفسى خيَّم على بحث الحكومة فى كل المرات السابقة، ويمكننا أن نصطدم به حين نبحث عن أسباب عدم نضج الفكرة فيها .
وقد ساهم فى صنع هذا الجوّ النفسى عامل التخوّف والحذر الذى تبدو حساسيته فى العمل الفلسطينى عند ممارسة التحرك السياسى . كما ساهم فى صنعه أيضاً عدم الاقتناع بتوقيت الطرح . وواضح أن البحث الموضوعى كفيل بالتغلب على هذين العاملين ، كما أنه سيصل بنا إلى تحديد المصطلح المناسب لاسم هذه الحكومة عند الحديث عنها .
ونلاحظ أن أسماء عدة أطلقت عليها فهى حكومة مؤقتة وحكومة فى المنفى وحكومة ثورية ،ولهذه الأسماء علاقة وثيقة بالنظرة القانونية والنظرة السياسية للفكرة .

ماذا يقول البحث القانونى فى موضوع الحكومة المؤقتة فى المنفى .

ولقد ألح علىّ هذا السؤال فى كل مرة أردت فيها تكوين رأى موضوعى بشأن الحكومة . وكان حافزاً لى للجوء إلى أهل الاختصاص . وكم شدنى حديث قانونى بهذا الشأن تحدّث به

زميلى رئيس قسم فلسطين بمعهد البحوث والدراسات العربيـة الدكتور عز الدين فودة .

ان فكرة حكومة المنفى نبعت — كما يقول الدكتور فودة — من حقيقة أن الدولة هى مجموعة اجتماعية بلغت مرحلة من النضج السياسى والتحول إلى شعب يعيش مرحـــلة الاستقرار فى نطاق وحدود إقليم معين تمارس عليه السلطات العامة ، ويعنى ذلك أن الدولة تتكون من ثلاث عناصر رئيسية هى إقليم وشعب وحكومة تمارس اختصاصات فى الداخل والخارج . وواضح أن الإقليم فى الوضع الطبيعى يضمن تماسك المجموعة الاجتماعية واستقرارها وتحديد نطاق السلطات العامة التى تمارسها الحكومة عليه . ولكن الدولة لا تحتاج إلى الإقليم فقط بصورة أساسية من أجل قيام مؤسساتها وممارسة اختصاصاتها . فهذه الاختصاصات — كما يقول الدكتور فودة — التى نعبر عنها باختصاصات وخصائص السيادة تمارس فى الواقع على أشخاص ، والدولة فى طريق التكوين تخاطب هؤلاء الأشخاص عن طريق هذه المؤسسات والسلطات حتى ولو كانت خارج الإقليم » .

ويلاحظ هنا أن هؤلاء الأشخاص يرتبطون بالدولة فى علاقة ولاء ويدينون لها بالطاعة . أى أنها تظفر بثقة الشعب وبيعته ، وهى بيعة تتجدد دوماً بشتى البراهين المعبرة عن طاعة الجماهير وتتخذ صورة اضرابات عامة أو نشاط لحركة المقاومة الجماهيرية فى المناطق غير الخاضعة لحكمها الفعلى عن أرض الوطن ، ولعل خير مثل على ذلك انتفاضة شعبنا فى الضفة الغربية إثر خطاب فلسطين فى الأمم المتحدة . كما يكون لهذه المؤسسات نشاطها الواسع النطاق خارج أرض الوطن .

ان بروز هذا الوضع يحمل الدول الأخرى على الاعتراف بقيام هذه السلطة السياسية للدولة خارج الإقليم ، بما يعرف باسم حكومات المنفى .

وقيام هذه الحكومة يعنى فى واقع وحقيقة الأمر تأكيد فكرة المصلحة العامة فى قيام الدولة والتمهيد لذلك بقيام مؤسساتها التى تراقب وتدير الأمور داخل الإقليم من خارجه كأمر تفرضه قوة الأحداث وتتطلبه الضرورات التى تقتضى تنظيم الجيش ، ومتابعة توجيه الشعب ، وإشاعة القلق والاضطراب لقوات

الاحتلال . وهكذا فإن الاعتراف فى هذه الحالة يعنى الاعتراف بالعنصر البشرى أو الكائن الإنسانى (الأمة أو الشعب) وحقه فى تأكيد وجوده على الإقليم الذى يكون الإطار الجغرافى لهذا الوجود .

ولعل مما يساعد على الاعتراف أن القاعدة العامة فى قيام حكومة المنفى — كما يقرر الدكتور فوده — هو أنها تقوم خارج الإقليم تطبيقاً لمبدأ الاستمرار فى حياة الدولة عندما تقوم سلطة احتلال حربى أو سلطة احتلال عسكرى باحتلال الاقليم وفرض سيطرتها الفعلية المؤقتة عليه . فيكون انتقال الدولة حينئذ ممثلة فى حكومة المنفى إلى خارج الإقليم لتمارس خصائص سيادتها على شعبها الذين يدين لها بالولاء ، وتخاطبه وتستقطب الاعتراف الدولى بصلاحياتها واختصاصاتها كصاحبة للسيادة . ذلك أن الاحتلال الحربى خاصة لا يزيل السيادة ، وإنما يحجب ممارستها لبعض الاختصاصات المتعلقة بوجود الإقليم فى قبضة المحتل » . فالمحتل يمثل سلطة فعلية باغية لا تخلق القانون وإنما تصدر أوامر سلطة وتبقى سلطة السيادة وخصائصها كسلطة قانونية متمثلة فى حكومة المنفى ، وإن لم تستطع

ممارسة بعض اختصاصاتها على الاقليم . والمثل الواضح على كل ذلك حكومة ديجول فى المنفى .

هل تنطبق هذه القاعدة العامة على قيام حكومة فلسطينية ؟

ان الدكتور فوده فى رأيه القانونى يجيب بنعم ويركز على أن الوضع فى جميع الأراضى المحتلة فى فلسطين قبل وبعد ١٩٦٧ هو حالة احتلال حربى حيث لم تستقر الأحوال بالمحتل منذ تصريح بلفور ومنذ ١٩٤٨ ، وما زالت الحروب والاضطرابات والهدنات المتعاقبة تشهد بأن الاحتلال القائم على طرد شعب لأرض مأهولة هو مخالف للقانون ، ولا يسمح للقول باكتساب المحتل للأرض أو الإقليم ، وان سلطة هـذا المحتل مهما أقام من دولة هى سـلطة فعلية مؤقتة نتيجة حالة الاحتلال الحربى. ومبدأ الاستمرار يتجـلى هنا من الزاوية القانونية حسب ما يعتقده الدكتور فوده فى حكومة عموم فلسطين التى قامت إثر نكبة ١٩٤٨ فى علاقاتها بأهل فلسطين الذى وقعوا تحت الاحتلال الصهيونى .

وينتهى هذا الحديث القانونى بالقول إنه ما زال من حق شعب فلسطين العربى أن يزاول إقامة سلطة حكومته السابقة ،

ووضعه القائم من قبل ، وان انقطع قيام هذه الحكومة فترة من الزمان ، كان فيها يستجمع قواه ويوحد كيانه بأن يقيم حكومة فى المنفى حتى تنتقل إلى أرض الاقليم أو جزء منه .

أما وصف هذه الحكومة بأنها مؤقتة فهذا راجع للشعب وقيادته إذا رأى أن يختار تقليداً ديموقراطياً محموداً ، فلا تعتبر القيادة نفسها دائمة قبل إجراء انتخابات عامة أو استفتاء على أرضها وتبقى هذه مسألة داخلية ، لا تنسحب بحال على المجال الدولى من حيث مركز هذه الحكومة المؤقتة أو الاعتراف بها من قبل الدول الأخرى .

هذه رؤية للحكومة الفلسطينية من وجهة نظر قانونية ، يمكن إغناؤها من قبل أهل الاختصاص . وهى تقدّم لنا الجانب القانونى فى الموضوع . ويبقى أن نتعرف على الجانب السياسى منه الذى هو مكمّل له.

إن إعلان قيام حكومة هو قرار سياسى يستند على أسس قانونية وما لم تتوفر له مقومات النجاح سياسياً فإنه يبقى حبراً على ورق مهما كانت سلامة وقوة أسسه القانونية . ولنا فى تجربة حكومة عموم

فلسطين مثلا صارخاً على ذلك يثير فى نفوسنا مرارة ذكرياته ، ولا نبالغ إن قلنا أنه أورث الكثيرين عقدة . ومن هنا تأتى أهمية الدراسات الموضوعية لمقومات نجاحه .

لقد شهد التاريخ المعاصر قيام عدة حكومات فى المنفى فرضت وجودها ووصلت إلى مبتغاها بحرّرت أوطانها . ومن أشهر هذه الحكومات حكومة ديجول فى المنفى التى شكلها إثر احتلال ألمانيا لفرنسا فى مطلع الأربعينيات ، وحكومة الجزائر المؤقتة التى تشكلت بعد أن شقّت الثورة الجزائرية طريقها فى أواخر الخمسينات وحكومة الأمير سيهانوك لكومبديا فى السبعينات ، ولو نظرنا فى تجارب هذه الحكومات باحثين عن مقومات نجاحها لرأينا .

(أولا) ان اعلان الحكومة استند إلى نضال شعبى أثبت وجوده وقدرته على الاستمرار .

(ثانياً) ان هـــــذا النضال قطع شوطاً فى طريق تحرير الوطن المحتل .

(ثالثاً) ان هذا النضال استقطب بفعل ذلك رأياً عاماً دولياً وفرض نفسه فتهيأ المناخ اللازم للاعتراف به .

ونلاحظ أن قيام « الحكومة يسبقه فى غالب الأحيان قيام المنظمة الثورية التى تقود هذا النضال ، والتى تبنى مؤسسات لها ، وغالباً ما تتحول مؤسساتها وتتطور لتصبح مؤسسات الحكومة . كما نلاحظ أن توقيت إعلان الحكومة يأتى عادة فى وقت يكون مصير الاحتلال على كل أو جزء من الأراضى المحتلة قد تحدد ، وأصبح من المؤكد تحرير الثورة القريب لهذا الكل أو الجزء . ويعنى الاعلان أن الحكومة ستتحمل مسئولياتها فى تولى المسؤولية فى الأراضى المحررة وإبرام الاتفاقيات اللازمة التى تقبل بها .

وفى نطاق النظرة السياسية تبرز أيضا عند الوحدويين العرب مسألة علاقة قيام الحكومة بهدف الوحدة . وقد يندفع البعض ليرى فى ذلك مزيداً من التجزئة . وهذه النقطة تحسم حين نستحضر العلاقة بين التحرير والوحدة فنراهما متكاملين ، ونرى أن من المفهوم بفعل الظروف أن يسبق التحرير الوحدة .

على ضوء ما سبق ومن خلال استشعار المسؤولية الثورية وتطبيق المنهج الموضوعى للبحث يمكننا أن ندرس وضع ثورتنا الفلسطينية

ليتضح الرأى بشأن اعلان الحكومة التى يجب أن تتقن الجمع بين قيادة النضال المسلح وقيادة النضال السياسى . وتعرف جيداً حدود حركتها فى النضال السياسى لتبلغ أهدافها .

وأغلب الظن أن هذه الدراسة ستخرج بأن الاعلان أصبح وشيكا .

طرد إسرائيل من الأمم المتحدة

تتصاعد حملة التحالف الصهيونى الاستعمارى على منظمة التحرير الفلسطينية ودول عدم الانحياز مع اقتراب دورة الأمم المتحدة، كى تكفّ هذه الدول عن طلب طرد إسرائيل من المنظمة الدولية. ويمارس التحالف الصهيونى الاستعمارى كل أساليبه الملتوية فى هذه الحملة. ويركّز على عملية شد لأعصاب العالم.

كان أول من جدّد الحملة وصعّدها وزير الخارجية الأميركى هنرى كيسنجر حين تحدث فى جامعة ديسكنس والمؤتمر الإسلامى فى جدة لم يكد يفرغ من أعماله عند منتصف هذا الشهر. وتضمّن حديث كيسنجر هجوماً على دول عدم الانحياز وتهديداً لها ان هى سعت لطرد إسرائيل من الأمم المتحدة تنفيذاً لقرار صدر عن المؤتمر. وكان مما قاله: « ان المناورات التى تتبعها دول عدم الانحياز فى الجمعية العامة للأمم المتحدة من تكتيل للأصوات وتحيّز للمواقف

من شأنه أن يعود عليها بالضرر ، لأنه سيفسد العلاقة بين الدول الصناعية والدول الأقل تقدماً » . كما هدّد بترك المنظمة الدولية قشرة فارغة لدول عدم الانحياز ان هى خرجت عن حدود اللعبة الدولية التى ترسمها الولايات المتحـــدة . وما أسرع ما تلاه كالاهان وزير الخارجية البريطانى فى اصدار تصريح تضمّن معارضة بريطانيا لطرد إسرائيل من الأمم المتحدة . ثم أعقب ذلك إعلان دول السوق الأوربية المشتركة عن معارضتهم لفكرة طرد أية دولة عضو فى المنظمة الدولية . وأصدر مجلس الشيوخ الأميركى — ومواقفه معروفة — تهديداً صريحاً بأن الولايات المتحدة ستنسحب من الأمم المتحدة وتمتنع عن المساهمة فى تمويلها إن اتخذت الجمعية العامة قراراً بطرد إسرائيل . وبالطبع تحركت إسرائيل بوزير خارجيتها وسفرائها لتنفخ فى هـذه الحملة . وما زالت هناك بقية ستأتى .

وحين نتأمّل فى هـذه الحملة نلاحظ أنها تعمد إلى أساليب الترهيب ، وتركّز على إبراز دول عدم الانحياز فى صورة الاستهانة بالمسؤوليات الدولية واستغلال كثرتها العددية لتلعب بمصير الأمم المتحدة . كل ذلك ضمن عملية شدّ الأعصاب .

من الطبيعى أن نتصدى لهذه الحملة الصهيونية الاستعمارية التى كنا نتوقعها، وقد تعودنا على مثيلات لها من قبل . وتتحمل منظمة التحرير والدول العربية مسؤولية خاصة فى هـذا التصـدى ضمن مكانهـا من دول عدم الانحياز التى تؤمن بأنها حين تسعى لطرد إسرائيل من الأمم المتحدة تسهم فى دعم النظام الدولى وإقامته على أسس مكينة . وطبيعى أن نسمع الرأى العام العالمى رأينا وجوابنا على السؤال المطروح .

لماذا تطالب دول عدم الانحياز بطـــرد إسرائيل من الأمم المتحدة ؟

إن دول عـدم الانحياز تقدم جواباً محـدداً ورأياً واضحاً . وهذا ينفى عنها بداية ما تحاول الحملة الصهيونية الاستعمارية إلصاقه بها حين تصورها مستهينة بالمسؤوليات الدولية تتصرف على هواها . ولقد كانت هـذه الدول حريصة على شرح موقفها بوضوح كلما عرض موضوع طرد إسرائيل . وهذا ما فعلته مؤخراً فى المؤتمر الإسلامى الذى ضم أربعين من هذه الدول غير المنحازة :

والحق أننا لو نظرنا فى القرار رقم ٢ بشأن قضية فلسطين

الصادر عن المؤتمر لاحظنا هذا الحرص المعبّر عن الشعور بالمسؤلية تجاه الرأى العام العالمى وتجاه المنظمة الدولية . فالقرار يتضمن حيثية طويلة تشرح أســـباب اتخاذه . وهو ينطلق من ميثاق الأمم المتحـــدة فى معالجته لقضية فلسطين وبحثه تطوراتها الأخيرة .

ولقد عرض القـرار للموقف الخطير الناجم عن استمرار إسرائيل فى احتلالها للاراضى العربية واغتصابها لحقوق الشعب الفلسطينى ، ورفضها لقرارات الأمم المتحدة بهذا الخصوص وعدم التزامها بها . . . واعتبر أن هـذا الموقف يشكل انتهاكا صارخاً لميثاق الأمم المتحدة وخرقاً لقراراتها وللاعلان العالمى لحقوق الإنسان . ثم عرض القرار الجانب الآخر فى الصورة فأكـّد من جديد شرعية كفاح شعب فلسطين من أجل اســـترداد حقوقه الـكاملة وأعرب عن يقينه أن الدعم العسكرى والاقتصادى والسياسى والأدبى الذى تقدمه بعض الدول لإسرائيل وفى مقدمتها الولايات المتحدة يمكّنها من تنفيذ سياستها العدوانية وترسيخ اغتصابها لفلسطين واحتلالها للاراضى العربية . واعتبر أن الاحتفاظ

بعلاقات مع إسرائيل فى مختلف المجالات يساعدها على ترسيخ اغتصابها لفلسطين والامعان فى سياستها التوسعية العدوانية . واعتبر من ثمّ أن الإبقاء على عضوية إسرائيل فى منظمة الأمم المتحدة أمر يتنافى مع مبادىء وميثاق الأمم المتحدة ويشجع التمرد على قراراتها وعلى التواطؤ مع الأنظمة العنصرية التوسعية .

الحقيقة إذن أن دول عدم الانحياز تصدر فى موقفها هذا عن منطق متماسك يضع نصب عينيه الحرص على الأمم المتحدة والتمسك بالإعلان العالمى لحقوق الإنسان والتقدم بالعلاقات الدولية . فما هو المنطق الآخر الذى تردّ به حملة التحالف الصهيونى الاستعمارى ؟

لا نغالى إن قلنا بأننا لا نكاد نجد منطقاً يحكم الحملة الصهيونية الاستعمارية . ومع بذل الجهد لاستخلاص ما تستند عليه يمكننا الخروج ببعض النقاط . فطابع تصريحات كيسنجر وقرار مجلس الشيوخ الأميركى هو التلويح بمنطق القوة الغاشمة المتغطرسة الذى لم تستطع الولايات المتحدة الفكاك منه على الرغم من الويلات التى عاد بها عليها وعلى العالم . وهذا المنطق ينادى بأن تبقى الصورة

الدولية أسيرة هوى التحالف الصهيونى الاستعمارى ، ويرفض أن يلتزم بنتائج ما جدّ من تطوّر على المنظمة الدولية . وحيثيّات ما طرحته دول أوروبا الغربية فى شرح موقفها هو أن طرد دولة عضو لا يبقى مجالا لحوار ، وان من أهم فوائد الأمم المتحدة إجراء هذا الحوار ، وبالطبع لم تملك إسرائيل إلا توجيه الإهانات والشتائم للأمم المتحدة على عادتها . وهكذا افتقد منطق الحملة عموماً الرد الموضوعى على المنطق المتماسك لدول عدم الانحياز . فلم يتعرض للرد على موقف إسرائيل من الأمم المتحدة وما تقترفه من جرائم وهو الاساس الذى تبنى عليه دول الانحياز مطالبتها بطرد إسرائيل ولقد كان يمكن لبعض دول عدم الانحياز أن تقف أمام حجة استمرار الحوار لو أنه بدت خلال تاريخ إسرائيل الطويل بارقة واحدة تشير إلى إمكانية قيام الكيان الصهيونى العنصرى بممارسة أى نوع من الحوار ضمن الأسرة الدولية يهدف للتوصل إلى إحقاق الحق . وبالطبع فإنه لا يمكن لدول عدم الانحياز أن تقبل ببقاء المنظمة الدولية أسير هوى الولايات المتحدة ، وهى التى تحمل لواء دخول عصر جديد فى العلاقات الدولية .

هذا عن موقف دول عدم الانحياز بصورة عامة . ولا بد لنا

من نظرة متعمقة ضمن هذا الموقف لما تقوله منظمة التحرير الفلسطينية ومعها الدول العربية .

ان منظمة التحرير تنطق بلسان شعب فلسطين العربى وثورته التى هى جزء من الثورة العربية وثورات العالم الثالث . وهذا مايطبع منطقها . فهو من جهة منطق ثورى يرفض الركون للأمر الواقع ويتطلع دوماً للتقدم وانتصار الحق والخير ويؤمن بقدرة الشعوب على تحقيق إرادتهـا . وهو من جهة أخرى منطق إنسانى يؤمن بتآخى الشعوب وتعاونها لتحقيق التقدم والسلام القائم على العدل وبضرورة وجود صيغة قوية للعلاقات الدولية .

هـذا المنطق هو الذى دفع منظمة التحرير لاتخاذ موقفهـا من الأمم المتحدة الذى أعلنته من على منبر الجمعية العامة ، وهو موقف فريد فى تاريخ المنظمة الدولية يمثل سابقة هامة تبشر بخير عميم .

لقد استجابت منظمة التحرير لدعوة الأمم المتحدة للمشاركة فى دورة عام ١٩٧٤ . وهذا يعنى إيمانها بالمنظمة الدولية والتزامها بدعمها وتقويتها . ولقد اتخذت منظمة التحرير هذا الموقف على الرغم من كل ما عاناه شعب فلسطين نتيجة قرارات الأمم المتحدة ، وذلك

لأن موقف المنظمة نابع من نظرة شاملة لدور الأمم المتحدة ، وهو جزء من موقف الثورة العربية ودول العالم الثالث الذى دعّم المنظمة الدولية. ولكم عبر عبد الناصر عن هذا الموقف وشرحه وخصوصاً فى خطابه امام الجمعية العامة عام ١٩٦٠ .

ولم تخف منظمة التحرير فى موقفها من الأمم المتحدة أنها تنظر لها نظرة مستقبلية تنسجم مع المنطق الثورى الذى يرفض الركون للأمر الواقع .وهذا ماعبّرت عنه حين أشار خطاب فلسطين إلى « أن هيئة الأمم اليوم ليست هيئة الأمم بالأمس ، وذلك لأن عالم اليوم ليس هو عالم الأمس » . وهذا التغيّر « يزيد من الآمال التى تعلّقها شعوب العالم على مساهمة الأمم المتحدة فى نصرة قضايا السلم والعدل والحرية والاستقلال، وتشييد عالم خالٍ من الاستعمار والأمبريالية والاستعمار الجديد والعنصرية بكافة أشكالها بما فيها الصهيونية .

ولقد حرصت المنظمة وهى تناضل لتحرير فلسطين على الانشغال بمساندة حركات التحرير فى العالم ، وبأن يكون لها رأى إيجابى فى كل المشكلات العالمية . واستهلت خطابها فى الأمم المتحدة بعرض

موقفها هذا ودعت إلى إتاحة الفرصة لـكل حركات التحرر المناضلة للمثول أمام الأمم المتحدة ، وتـكلمّت باسم هذه الحركات مطالبة إعارة قضاياهم أولوية « لحماية السلم فى العالم وتـكريس عالم جـــديد تعيش الشعوب فى ظلاله بعيداً عن الاضطهاد والظلم والخوف والاستقلال » .

إذن موقف منظمة التحرر من الأمم المتحدة هو موقف إيجابى وهو الذى يحدوها ويحدو دول العالم الثالث على الحرص على سلامة المنظمة الدولية والتقدم بهـا . وان من أهمّ وسائل هـذا الحرص الحفاظ على هيبة القرارات التى تصدر عن الأمم المتحدة ومعاقبة من يشذ على الميثاق الذى ارتضته الأسرة الدولية . وبدون ذلك يخشى أن تنتهى تجربة التعاون الدولى إلى الفشل وتلحق الأمم المتحدة بعصبة الأمم التى لفظت أنفاسها قبل الحرب العالمية الثانية .

إن هذا الحرص هو الذى دفع منظمة التحرير أن تعلن من على منبر المنظمة الدولية « ان على أولئك الذين اغتصبوا وارتـكبوا من جرائم الارهاب والتمييز العنصرى أكثر ممـــا فعل ويفعل العنصريون فى جنوبى أفريقيا أن يذكروا قرار الجمعية العامة لهيئة

الأمم المتحدة الذى أعلن طرد جنوبى أفريقيا من عضويتها ، لأن ذلك هو المصير المحتوم لـكل الدول العنصرية التى تطبق شريعة الغاب وتغتصب وطن الآخرين وتضطهدهم » .

إن دول عدم الانحياز ومنظمة التحرير حين تطالب بطرد إسرائيل من الأمم المتحدة فإنها تنسجم مع موقفها المبدئى الإيجابى من المنظمة الدولية والتعاون الدولى . وهى تذكّر فى هذه الفترة بالذات دول أوروبا والولايات المتحدة بتلك الصفحة من تاريخ العالم فى حقبة ما بين الحربين التى شهدت قيام عصبة الأمم وإخفاقها . ولقد سجَّل هذا التاريخ أن هذا الاخفاق كان جلياً — كما يقول رونوفن — فى عام ١٩٣٦ لأن عصبة الأمم لم تـكن قادرة على معارضة العدوان . وكان واضحاً منذ عام ١٩٣٦ أن تسخر دولة عظمى بعصبة الأمم وتعمل كما يحلو لها . وكان من الأسباب الرئيسية للاخفاق أن بعض الدول الـكبرى انذاك سخَّرت العصبة لصالحها عوضاً عن أن تسعى فى العلاقات الدولية لوضع حلول جديدة مؤسسة على المساواة فى الحقوق بين الدول .

طبيعى إذن أن ترفض دول عدم الانحياز والأسرة الدولية سخرية كيان عنصرى هزيل كاسرائيل من الأمم المتحدة ، وأن ترفض محاولات الولايات المتحدة تسخير المنظمة الدولية لصالحها ، وأن تطرح البديل الوحيد الجائز وهو إكساب الأمم المتحدة القدرة على جعل كلمتها نافذة والوصول بها إلى أفضل صيغة للتعاون الدولى .

هذا هو موقف منظمة التحرير ودول عدم الانحياز المبدئى . وهو يردّ على حملة التحالف الصهيونى الاستعمارى المتصاعدة . ويبقى أن تنشط المنظمة والدول العربية مع دول عدم الانحياز للتصدى لألاعيب ومؤامرات هـذا التحالف وطبيعى أن يتم تصديها بالتفاهم مع الاتحاد السوفياتى والدول الإشتراكية عامة لـكى ترسم حركتها بدقة آخذة بعين الاعتبار الظروف الدولية المحيطة، ومعـبّرة عن معنى الصداقة والتعاون الذى يربطها بالـكتلة الاشتراكية على طريق القضاء على الاستعمار وإقامة السلام القائم على العدل وتحقيق التعاون الدولى من أجل الرخاء . وهذه أهداف حدّدتها الثورة العربية كجزء من مجموعة عدم الانحياز، ولا تزال تضعها نصب أعينها من أجل حياة أفضل وأسعد فى عالم الغد .

مهام فلسطينية

مرة أخرى تخرج الثورة الفلسطينية من المحنة وهى أقوى مما كانت . وتبرز الحقيقة الفلسطينية كبيرة لا سبيل إلى طمسها . ويحدث ذلك على الرغم من أن أعداءها حشدوا لها واختاروا توقيت المعركة التى تفجرت فى لبنان .

وتأتى عملية القدس الفدائية فى ميدان « صهيون » وعمليات أخرى فدائية فى أعقاب المحنة واثناءها لتؤكد قدرة الثورة على متابعة النضال لبلوغ هدفها الأكبر فى تحرير فلسطيننا المحتلة رغم انشغالها بمعارك المحن . وقد حدث ذلك من قبل إثر مذبحة أيلول وما تلاها فى الأردن حين استمرت المقاومة وحققت نتائج كبيرة داخل أراضينا المحتلة .

ولعل من أهم ما كشفت عنه الشهور الأربعة الماضية أن الثورة الفلسطينية على الرغم من اضطرارها التصدى لسلبيات الواقع العربى وصرفها جهداً كبيراً فى هذا التصدى فإنها لا تغفل عن هدفها

الأكبر ، ولم تقصر فى القيام بواجباتها فى المجالات الأخرى ففوتت على العدو ما كان يأمله من اشغالها عنه وعن هدفها . وهكذا استمرت فى خضم الأحداث عمليات المقاومة فى أراضينا المحتلة ، واستمر أيضاً النضال السياسى على أكثر من صعيد ، وبرزت من خلال ذلك كله الحقيقة الفلسطينية الكبيرة .

لقد وصفنا أحداث لبنان بالمحنة لأن الثورة الفلسطينية تفرق بين مقاتلة عدوها على أرض فلسطين وبين اضطرارها للتصدى لمؤامراته ولسلبيات الواقع العربى التى يشغلها فى ساحات عربية ، وهى تعى جيداً تحركات هذا العدو وتربط بينها وبين عجزه عن منع تصعيد المقاومة ضده فى الأراضى المحتلة وسعيه لطمس الحقيقة الفلسطينية التى أشرفت فى سماء الأحداث الدولية .

والحق أننا لو ربطنا بين ما جرى فى لبنان وبين ما كان يجرى فى الساحة الدولية بشأن قضية فلسطين والصراع العربى الإسرائيلى ، لبدا هذا الأمر واضحاً ، ولرأينا أن التحالف الصهيونى الاستعمارى يجهد نفسه فى العمل على ضرب الثورة الفلسطينية لاضعافها وتقليص الحجم الذى ظهرت به أمام العالم .

ونلاحظ أن العدو وهو يخطط ويعمل لبلوغ هدفه فى طمس الحقيقة الكبيرة يلجأ إلى مختلف الأسلحة من أسلحة الدمار المادية إلى أسلحة التآمر إلى أسلحة التضليل الفكرى ، ويستغل فى الواقع العربى سلبياته وفى المحيط الدولى جهل الكثيرين بقضية فلسطين . وقبل أن تنفجر أحداث لبنان الأخيرة كان مما يلفت النظر على صعيد النشر والاعلام هذا العدد من الكتب والمقالات التى صدر عن جهات صهيونية فى الولايات المتحدة وأوربا وإسرائيل تحمل أسماء مضللة مثل اسم « الجمعية الأميركية للعمل من أجل السلام فى الشرق الأوسط » وجميع هذه الكتب والمقالات تتحدث عن فلسطين والفلسطينيين والقدس ، ويجمع بينها أن الأوساط الصهيونية تعمد فيها إلى تزييف حقائق التاريخ وطمس حقائق الحاضر مستغلة الجهل المتفشى فى أوساط غربية كثيرة بهذه الحقائق . ويكشف هذا كله عن مدى قلق العدو من الحقيقة الكبيرة التى تبدو من خلالها منظمة التحرير الفلسطينية كنمر مفترس فى عينى شيمون بيريتز لا مجال للحديث معه — كما جاء فى تصريح له — ولا بد من أن تعمل إسرائيل على ضربه ليصبح قطة أليفة — كما يحلم بيريز —

ولكن الحقائق الكبيرة لا يمكن مسخها . وهى تزداد قوة

وتأثير وإشراقاً باستجابتها لتحدى المحن شأنها شأن ذلك الحيوان الأسطورى الذى كلما قطع له رأس خرج فى مكانه سبعون رأساً . وهاهى الثورة الفلسطينية من خلالها التحامها بجماهير أمتنا وتعبيرها عن أعظم ما نناضل فى سبيله تخرج من المحنة أقوى مما كانت .

* * *

وكما هو الحال دوماً فإن هذه النتيجة تضاعف من مسؤوليات الثورة الفلسطينية وتدعو إلى بذل مزيد من الجهد للقيام بمتطلبات الأيام القادمة فى شتى المجالات . وإن عليها الآن مهاماً عاجلة لابد من القيام بها وقضايا مطروحة لابد من معالجتها .

على الصعيد الدولى نجد فى مقدمة هذه المهام أن تطرد إسرائيل من الأمم المتحدة فى الدورة القادمة للجمعية العامة التى تبدأ فى الخريف القادم . ولابد من السعى والنجاح .

إن بروز حقيقة شعب فلسطين تلقى علينا هذه المهمة التى هى فى الوقت نفسه ردنا على محاولة العدو طمس هذه الحقيقة . ولقد هيأ نضالنا الأذهان لفكرة طرد الكيان الاسرائيلى من الأسرة الدولية وخصوصاً منذ حرب رمضان ، وبقى أن نكمل مانريد .

ولاحاجة بنا إلى الإفاضة في شرح أهمية هذه الخطوة فطرد إسرائيل من الأمم المتحدة يعنى تجريدها من سلاح الشرعية الدولية الذى حصلت عليه بالخداع وبمساعدة الدول الاستعمارية فى أعقاب نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ . ومما يذكر هنا أنها التزمت آنذاك كى تقبل عضواً بتنفيذ قرارات الجمعية العامة باعادة الفلسطينيين إلى ديارهم ثم رفضت تنفيذ أى قرار بعد اكتسابها العضوية . ووقفت الموقف المعروف من قرارات الأمم المتحدة التى تتالت على مـــدى سبعة وعشرين عاماً . وطرد إسرائيل يعنى مزيداً من عزلها ووضعها ضمن الكيانات العنصرية التى مصيرها إلى الاختناق بالعزلة .

إن إسرائيل تستشعر وتدرك خطورة نجاحنا فى طردها من المنظمة الدولية ، وهذا مايفسر العصبية التى تبدو عليها وهى تتحدث عن هذا الموضوع وعن الأمم المتحدة ومنظماتها بصورة عامة وتصريحات مندوبها تيكواه شاهد على ذلك . كما أن هذا يفسر تلويح الولايات المتحدة بالتهديد فى هذه الفترة بالذات بإجراء تقوم بها تجاه المنظمة الدولية لو أقدمت على هذه الخطوة . ووراء هـذا التلويح كما هو معلوم تحرك صهيونى لم يفتر منذ خطاب فلسطين فى الأمم المتحدة فى تشرين الثانى (أكتوبر) ١٩٧٤ .

المهمة واضحة أمامنا ، ويبقى أن ندرس فى الأيام القـــادمة متطلبات نجاحنا فيها ، ونتحرك للقيام بها . وواضح أن تكوين الجمعية العامة يمكننا من النجاح ان أحسنا التحرك وفى أيدينا القرارات التى اتخذت فى الدورة الماضية كما أن مجموعة دول عدم الانحياز قررت فى آذار الماضى عند اجتماعها فى كوبا العمل لطرد إسرائيل من الأمم المتحدة فى الدورة القادمة .

إن علينا أن نتحرك من خلال موقف عربى واحد بين دول عدم الانحياز ونتشاور مع أصدقائنا فى المعسكر الاشتراكى . كما أن علينا أن نصل بأوروبا الغربية من خلال حوارنا معها إلى موقف معقول تقفه . وبالطبع ستجابهنا فى هـذه التحركات تهديدات الولايات المتحدة وضغوطاتها وتحركات الصهيونية العالمية التحتية وتآمرها لإرهاب بعض الدول . ومع إدراكنا لحجم هذا كله فإن ثقتنا كبيرة بامكانية طرد إسرائيل ، وبرفض دول كثيرة الموقف الأميركى . وسيكون على الولايات المتحدة أن تستوعب حقائق الصورة العالمية الجديدة فى تعاملها مع المنظمة الدولية ، وأن تدرك عدم جدوى التهديد بالانسحاب والعزلة ، وأن تتهيأ لقبول المصير المحتوم للكيانات العنصرية الذى ستنتهى إليه إسرائيل .

على الصعيد العربى تلح على العمل الفلسطينى مهمة تقوية الموقف العربى الواحد لينهض بمتطلبات التحرك الدولى فى الأمم المتحدة من جهة ، وليجابه محاولات الولايات المتحدة تكريس الواقع الراهن من جهة ثانية ، وليكون مستعداً لاحتمالات حرب تشنها إسرائيل بالتواطؤ مع أميركا من جهة ثالثة .

ومرة أخرى نقول ـ ولن نمل التكرار ـ إن الموقف العربى الواحد هو الضمان لعدم انسياق أى طرف عربى إلى الوقوع فى محاذير تسوية غير مقبولة وإلى تجاوز الحدود يجب عدم تجاوزها فى التحرك السياسى . . ولابد من الإشارة هنـــا إلى أن منظمة التحرير بذلت جهوداً ملموسة لأداء هذه المهمة قبيل انفجار الأحداث فى لبنان ، وعليها أن تتابع الآن .

وفى نطاق هذه المهمة الكبيرة تلح على العمل الفلسطينى ضرورة التركيز بصورة خاصة على دول المواجهة . وهـذا يعنى فيما يعنى اخراج المؤتمر الرباعى من حالة الجمود التى يعيشها . ولقد كان تحرك قيادة المنظمة فى هذا الاتجاه إبان أحداث لبنان عملا مسؤولا ، ومطلوب أن يتابع .

وبالطبع فان هذا التحرك سيصل إلى معالجة موضوع علاقات المنظمة بحكومة الأردن . وهو موضوع نعرف ما يحيط به من

حساسية تبحث عن ركام ضخم من المآسات أحاطت بها فظائع أيلول . ومن الواضح أن المعطيات مقائمة ومتطلبات مجابهة العدو تفرض تجاوز هذه الحساسية والانتقال إلى المعالجة الموضوعية . وقد جدّت في الفترة السابقة اتصالات عربية مهدت لذلك . وفي مقدمتها الاتصالات السورية الأردنية والمصرية الأردنية .

ولابد من المصارحة هنا بأن على العمل الفلسطيني واجب المبادرة في هذا التحرك ، لأنه لم يبادر بترك المجال للاتصالات الثنائية بين دول المواجهة تتجاوزه ، وهذا سيقلل من قدرته على القيام بدوره في حزام المواجهة .

إن متطلبات استمرار تصعيد الثوره يقتضى بالحاح وجوداً لها على طول الضفة الشرقية للاردن . ولا يجوز بحال أن يبقى هذا الفراغ الذى نراه في الأردن ولابد من توظيف الموقف العربي الواحد لينجح في إيجاد الصيغة الملائمة لذلك . وواضح من بعض التصريحات التي صدرت مؤخرا أن الموضوع مطروح على البحث ويبقى أن تحدث المبادرة وننطلق مما أقرّه مؤتمر الرباط بشأن منظمة التحرير .

وبالنسبة للبنان نجد أن الثورة الفلسطينية أوضحت موقفها وحددته وعبرت عنه عملياً . هو موقف يقول بواجب استمرار

المقاومة والحرص على لبنان . وطبيعى على ضوء ذلك أن تتابع الثورة نضالها وكلها عزم على تجاوز حدود هذا الموقف، وكلها حذر فى الوقت نفسه من قوى التآمر التى تحاول بدأب تفجير لبنان وتعطيل تقدمه وقيامه بدوره فى الدفاع عن أرضه. ومن الطبيعى أن تتسم حركة المقاومة فى لبنان المبادرة أيضاً وأن يظهر ذلك فى أسلوب معالجة الأحداث .

إن الحاجة أكدت أن أسلوب المعالجة فى الأردن تقتضى فتح ملف العلاقات بين المنظمة والنظام الأوربى والتحديد الواضح للاسباب الحقيقة التى تفرض على المنظمة اتخاذ موقفها من هذا النظام والمطالب المحددة التى تريد تحقيقها فى الأردن . لأن المعالجة التقليدية التى تعتمد على العشائرية لن تجدى وليست مقبولة . وهذه العلمية فى أسلوب المعالجة مطلوبة فى لبنان الذى يجيش بالمتغيرات الاجتماعية .

على الصعيد الفلسطينى تبرز مهمة عاجلة هى قيام مؤسسات قيادات العمل الفلسطينى بتقويم ما جرى فى الشهور الثلاثة الماضية بهدف دفع الثورة وتعزيز الوحده الوطنية . وفى هذا المجال يحمد النقد الذاتى الذى يعبر عن طهارة الثوار وعن شعورهم بالمسؤولين . ويكون الانطلاق إلى مهمة تصعيد المقاومة ضد العدو فى الأرض المحتلة وكل الدلائل تشير إلى أن الأيام القادمة مليئة بالنضال ضد عسف العدو هناك . ثم لا بد فى الوقت نفسه من النظر فى أمور المنظمة الداخلية.

ويأتى من بين هذه الأمور واجب إعداد مزيد من الكوادر السياسية اللازمة لتولى تمثيل منظمة فلسطين فى دول ومنظمات كثيرة اعترفت بمنظمة التحرير . ولقد ارتفع رقم هذه الدول والمنظمات فى النصف الأول من هذا العام ، ومن المتوقع أن يرتفع أكثر مع نضالنا . ومع أن الالتحام بالثورة أبرز مجموعات من الشباب القادر على القيام بهذه المسؤولية ، فإن العمل الثورى يفرض إعدادها لتقوم بدورها على الوجه الأكمل فتحسن تمثيل فلسطين والوطن العربى عموماً وتحمل رسالتنا الحضارية .

كما يأتى من بين أمور المنظمة الداخلية اختيار الوقت الأنسب لانعقاد المجلس الوطنى على ضوء الظروف الراهنة .

واضح من كل ماسبق ثقل المسؤولية التى يحملها عملنا الفلسطينى على كاهله . وواضح مدى حاجته من ثم للجهد والطاقات التى يصبها للدفاع عن نفسه فى صراع داخلى بين عرب وعرب . فليتق الله أولئك الغافلون عن هذه الحقيقة ، وليوفر جهد وطاقات العمل الفلسطينى لتصب فى النضال داخل الأراضى المحتلة وفى الساحة الدولية فذلك أضعف الإيمان . وليحذر المتآمرون لأن الثورة تشق طريقها وتزداد قوة ولابد أن تبلغ هدفها .

ما تقوله الثورة الفلسطينية

البيان والتوصيات التى صدرت عن المجلس المركزى لمنظمة التحرير الفلسطينية فى الأسبوع الماضى عقب اجتماعاته الأخيرة[1] ، توجز فى خطوط واضحة ما تقوله الثورة الفلسطينية عما يجرى فى منطقتنا من أحداث . وهى تستحق من أطراف كثيرة أن تسمع وتفهم ، وتستحق منا وقفة .

بداية نشير إلى بعض هــذه الأحداث الهامة التى تشهدها منطقتنا هـذه الأيام ، فنرى أن جولة كيسنجر بدأت على صعيد التحرك الأميركى لتحقيق تسوية جزئية ، وستستمر أياماً يتحرك « المكوك » فيها بين تل أبيب والاسكندرية ودمشق وعمان والرياض . وعلى الصعيد العربى هناك زيارة الملك حسين الرسمية لسوريا ، وما يجرى من تحضير لمجلس جامعة الدول العربية الذى سيحضره وزراء الخارجية العرب فى مطلع الشهر القادم . وعلى الصعيد الإسرائيلى نرى لعبة « المزايدة » الحزبية بين الائتلاف

---

(١) كتب هذا المقال فى أغسطس (آب) ١٩٧٥ .

الحاكم وبين كتلة ليكودوهى توظف لخدمة أسلوب المساومة والابتزاز فى التحرك الأميركى ، ونرى استمرار العـــدوان على جنوب لبنان .

ويحسن بنا أن نشير أيضاً بين يدى وقفتنا إلى الأهمية الخاصة التى اكتسبتها اجتماعات المجلس المركزى للمنظمة على مدى العام الماضى، وإلى أن الدورة التى صدر عنها البيان هى على الأرجح الدورة الأخيرة للمجلس قبل الموعد الذى حدد لانعقاد المجلس الوطنى الفلسطينى الجديد فى منتصف شهر تشرين الأول القادم . ولقد تنامت أهمية المجلس المركزى كمؤسسة فى المنظمة من خلال ما جسدته اجتماعاته من معان إيجابية للتجربة الديمقراطية التى تعيشها الساحة الفلسطينية . وسجل المراقبون على مدار هذه الاجتماعات ارتفاع سوية الحوار الدائر فيها حتى يمكن اتخاذها نموذجاً لما تستطيع الديمقراطية أن تحققه فى مؤسساتنا العربية .

فى بيان المجلس المركزى أول ما يطالعنا موقف واضح من التحرك الأميركى نابع من فهم مصدر وأهداف هـــذا التحرك ، فلقد نظر المجلس « بقلق بالغ إلى الخطورة الجسيمة لهذه الخطوات

الأميركية » وأشار إلى هدفين رئيسيين لها هما « ضرب الثورة الفلسطينية وتمزيق الساحة العربية » .

والحق أننا لو نظرنا في سلسلة الأحداث التي جرت منذ حرب رمضان وتابعنا دور السياسة الأميركية فيها لرأينا أن التحالف الأميركي الإسرائيلي وضع هذين الهدفين نصب عينيه منذ اعلان وقف إطلاق النار ، واتخذ كل من طرفي التحالف أسلوباً ينسجم مع طبيعته في العمل لبلوغهما .

فأما الطرف الإسرائيلي في التحالف فقد قام أسلوبه على توجيه الضربات المباشرة داخل الأراضي المحتلة وفي جنوب لبنان وأماكن تجمع أبناء فلسطين في لبنان ضد شعبنا وثورته ، وعلى التشبث بانكار وجود الثورة وعدم الاعتراف بمنظمة التحرير انسجاماً مع إنكاره من قبل وجود شعب فلسطين العربي بأسره . وبالنسبة للهدف الثاني ركّز على ضرورة عزل مصر العربية واعتماد التسويات الثنائية سبيلا للايقاع بين العرب .

وأما الطرف الأميركي في التحالف فقد قام أسلوبه على المعاداة الشديدة للثورة الفلسطينية وعدم الاعتراف بمنظمة التحـــرير

الفلسطينية مع الإشارة الموجزة لوجود شعب فلسطين والتركيز على استيعاب هذا الوجود فى كيان أردنى . وبالنسبة للهدف الثانى ركّز هو الآخر على عزل مصر وعلى النفاذ داخل الموقف العربى الواحد وتفجيره .

ونلاحظ أن هذا التحالف بطرفيه وهو يعى العلاقة الجدلية بين الهدفين ، تركز جهده على الثانى منهما فى الآونة الأخيرة بعد أن استحال عليه الانتصار فى مواجهة مباشرة مع الثورة الفلسطينية . وهكذا جعل همّه تمزيق الساحة العربية ليتمكن من تطويق الثورة الفلسطينية ويعزلها توطئة لا نزال ضربات جديدة بها . ولسنا بحاجة إلى أن نطيل شرح مضمون هذه الملاحظة ولكن نكتفى بأن نشير إلى تصريحات رابين وبيريز على مدى عام عن تحييد مصر وإبعادها عن الصراع ، وعما أمله « تلمون » فى دراسته أن تكون التسوية « سبباً فى تجدد الانشقاق فى العالم العربى » . كما نشير إلى أن هذه الحقيقة ليست خافية عن المتابعين السياسيين . وقد كتب نائب عمالى مقالا فى التيمز اللندنية عن أسلوب « الخطوة خطوة » فقال « ان التقدم البطىء واحتمال اتفاق مجدد بين مصر وإسرائيل

من شأنه فقط أن يقسم العرب وهؤلاء يعرفون ذلك . كما أن إطالة الاحتلال هو فى مصلحة إسرائيل لأنه يعطيها مزيداً من الوقت لترسيخ سيطرتها على الأراضى العربية عن طريق الاستمرار فى زرع المستعمرات الصهيونية » .

ونلاحظ أيضاً أن هذا التركيز على الهدف الثانى تضاعف بعد النجاح الماثل الذى حققته الثورة الفلسطينية ومنظمة التحرير فى العام الماضى على الصعيدين العربى والدولى . فقرارات مؤتمر القمة فى الرباط وخطاب فلسطين فى الأمم المتحدة وما تلاه من قرارات أشعرت التحالف بضرورة الالتفاف على الثورة الفلسطينية التى التى تتعاظم والتى أخلّت بمعادلته فى المنطقة . وهكذا أصبح همّه أن يفجر الموقف العربى الواحد مستغلا ما فيه من تناقضات ، فكانت الجولات الثلاث فى لبنان وكان تركيز كيسنجر على مصر وواضح أن التحالف حاول أن يستغل الموقف الدولى وما يشهده من انفراج لصالح تحركه فى المنطقة .

وهناك ملاحظة ثالثة بالنسبة للتحالف الأميركى الإسرائيلى وحركة طرفيه لا بد أن نشير إليها ونضعها فى حجمها الحقيقى لفهم

الموقف الفلسطيني ، وهي أنه مع اتفاق طرفي التحالف على الهدفين ، فقد برزت بينهما خلافات في تفاصيل تحركهما المشترك . وهي خلافات محدودة ونابعة من اختلاف طبيعة الدولة الكبرى وطبيعة الجيب الاستعماري ومسؤولية كل منهما في النطاق الدولي .

* * *

ان منظمة التحرير كما بدا من بيان مجلسها المركزي وتوصياته تتخذ موقفاً واضحاً من هذا التحرك الأميركي نابعاً من فهمها العميق لهدفيه . وهي في موقفها هذا لا تنظر إلى الأيام القريبة القادمة التي ستظهر فيها نتائج المباحثات بشأن فصل ثان للقوات في سيناء ، ولكنها تنظر إلى ما بعد ذلك أيضاً .

وموقف المنظمة هذا ينطلق من « حرص على وحدة العمل العربي الجماعي والتحرك المشترك وفقاً لقرارات الرباط والجزائر » . وهذا الحرص تعبير عن إدراك المنظمة لأهمية الموقف العربي الواحد وتكامله كعنصر مع عنصر الثورة الفلسطينية في تحقيق النصر في صراعنا ضد العدو الإسرائيلي ، ولو شئنا أن نفصل الحديث حول

هـذه النقطة لأسهبنا فى شرح أهمية وحدة العمل العربى على طول خطوط المواجهة مع العدو فى مصر والأردن وسوريا ولبنان ، وعلى دور مصر العربى فى أية مواجهة قادمة ، وضرورة تلاحم الجبهتين الجنوبية والشمالية على الخصوص ، وأهمية العراق والجزيرة فى صنع جبهة شمالية شرقية فعالة . كل ذلك ليتحقق التكامل مع الجهـــد الكبير الذى تبذله الثورة الفلسطينية داخل الأراضى العربية المحتلة ولحماية جنوب لبنان .

ولقد اعتمدت المنظمة فى تجسيدها هـــذا الموقف من التحرك الأميركى الإسرائيلى أسلوب المبادرة والفعل . وظهر هذا الأسلوب جلياً على حركتها كما طبع بطابعه البيان والتوصيات التى أصدرهـا المجلس المركزى . ومن هنا فالثورة الفلسطينية تعلن عن استمرار تصديها للتحالف الأميركى الإسرائيلى وتعمل جاهدة مع الأمة العربية ليس على إفشال تحركه لعزلهـا بل على عـزله بالتعاون مع أصدقائها . وهى لا تقبل أن يجمد الموقف الدولى على وضع يمكّن عدونا من استمرار احتلاله أراضينا ، ولذلك ستدأب على تحريك سطح بركة الموقف الدولى كلما هدأ وسكن . كما أنها لا ترضى

أن يتفجر الموقف العربى لصالح العدو ، ولذلك تبادر للقيام بدور فاعل إيجابى لتقوية الموقف العربى فى مواجهة العدو .

ان منطق الثورة هذا هو الذى يحدوها على الصعيد الدولى لمتابعة حملتها لطرد إسرائيل من الأمم المتحدة وتعرية الدعم الأميريكى لإسرائيل . وبعد أن قامت بهذه الحملة فى مؤتمر القمة الأفريقى نراها تقوم بها فى مؤتمر عدم الانحياز فى ليما بأميركا اللاتينية . وستعبّر بذلك عن حقيقة كونها التجسيد للثورة العالمية .

ومنطق الثورة هذا هو الذى يحدوها على الصعيد العربى للقيام بمجموعة خطوات عاجلة تضمنتها توصيات المجلس المركزى .

فى مقدمة هذه الخطوات تأتى التوصية الخاصة « باستكمال المباحثات السورية الفلسطينية فى أقصى سرعة ممكنة . . . بغية تنسيق الموقف السورى الفلسطينى بالنسبة إلى كل الأمور والتطورات السياسية الراهنة » . وواضح أن ما أجملته التوصية يشمل على الخصوص تنسيق الموقف بالنسبة للاردن ، خصوصاً بعد أن شهدت الأيام الماضية تقارباً أردنياً سورياً فى الوقت الذى لم يتحقق فيه أى تقدم لتنفيذ قرارات الرباط المتعلقة بوجود الثورة الفلسطينية ومنظمة

التحرير الفلسطينية السياسى والعسكرى فى الأردن . وتكتسب هذه التوصية أهمية خاصة لما للعلاقات السورية من أهمية خاصة وبالذات بعد التوجه لإبرام الوحدة «النضالية» بين سوريا ومنظمة التحرير . كما أنها بمبادرة المنظمة وبتجاوب سوريا سترد على المخاوف التى برزت من أن يستغل هذا التقارب المفتقد للتنسيق مع المنظمة لصالح محاولة عدونا عزل المنظمة. ولقد انطلق المجلس المركزى وهو يوصى بهذه الخطوة من معنى المشاركة الذى يتطلع أن تصل إليه العلاقات الثورية الفلسطينية .

ومن بين هذه الخطوات تأتى التوصيتان الخاصتان « بإجراء اتصالات مكثفة وسريعة مع كل القوى الوطنية والتقدمية فى الوطن العربى لتحديد موقف ضـــد التسوية الأميركية فى المنطقة » و « ضرورة العمل السريع من أجل تنفيذ قرارات القمة العربية فى الرباط » وعلى الخصوص تلك التى تتعلق بوجود المنظمة والثورة فى الأردن . وهكذا تطرح المنظمة ضرورة تقوية الموقف العربى الواحد وتطالب بتجسيده فى واقع ملموس وخصوصاً فيما يتصل بوجودها فى الأردن .

ولا بد من المصارحة هنا أنه ما لم تحل هذه النقطة فإن المعادلة العربية التى تصنع الموقف العربى الواحد ستبقى مختلة . وهذا يقتضى من الدول العربية أن تتحمل مسؤولياتها فى إجراء اتصالات مع حكومة الأردن لتنفيذ قرارات الرباط هذه كما يقتضى من حكومة الأردن أن تدرك أنه ما لم تستجب فإن محاولاتها للخروج من العزلة العربية التى أحاطت بها منذ أيلول وبعد حرب رمضان ستفشل على الرغم مما بدا من إمكانيات نجاح هذه المحاولات .

ان الثورة الفلسطينية وهى تطرح منطقها هـذا تدرك أهمية التحامها بالأمة العربية باعتبارها جزءاً من النضال العربى ، وتدرك أيضاً الأهمية البالغة للوحدة الوطنية الفلسطينية تحت لوائها . ومن هنا فإن المجلس المركزى وهو يوصى اللجنة التنفيذية بهذه الخطوات على الصعيد العربى يوصى فى الوقت نفسه « بعقد لقاء فلسطينى على أعلى المستويات من أجل تعزيز الوحدة الوطنية بين فصائل حركة المقاومة فى إطار منظمة التحرير وذلك على أساس مقررات المجلس الوطنى وبرنامج النقاط العشر » . . ولا حاجة بنا لاعادة الحديث المكرر عن ضرورة الوحدة الوطنية .

• • •

هذا ما تقوله الثروة الفلسطينية من خـــلال بيان المجلس المركزى وتوصياته عما يجرى فى منطقتنا من أحداث وهو يستحق من أطراف كثيرة أن تسمع وتفهم . كما يطالب بعض الأطراف العربية أن تستجيب للمبادرة الفلسطينية . وطبيعى أن ننتظر هذه الاستجابة ونعزز النضال الجاهيرى لتصعيد الثورة وتقوية موقف عربى واحد صحيح يصل بنا إلى الانتصار فى حرب خامسة لا مفر من نشوبها .

ماذا بعد الاتفاق فى سيناء

سؤال . . وجوابان

والآن ... ماذا بعد التوصل إلى هذا الاتفاق المرحلى الآخر على جبهة سيناء ؟ يبرز هذا السؤال وسط الأنباء التى تشير إلى أن وزير الخارجية الأميركى كيسنجر نجح هذه المرة فيما فشل فيه قبل ستة شهور ، وأن التوقيع على فصل قوات آخر سيتم فى جنيف خلال فترة وجيزة .

السؤال مطروح اليوم على اطراف عدة تنشغل بهذا الصراع الدائر فى منطقتنا . وعلينا كعرب أن نجيب عليه ، تماما كما أن على عدونا الإسرائيلى أن يحدد اجابته . والأمر نفسه بالنسبة للسياسة الأميركية التى تبنت هذا الاتفاق ، وبالنسبة لدول أخرى فى العالم يهمها ويؤثر عليها مايجرى فى وطننا .

والسؤال مطروح وسط مناخ ثقيل تضيق فيه الانفاس ، وجوٌ ملبّد تصعب فيه الرؤية الواضحة ويكثر فيه الانفعال . وهذا المناخ

الثقيل والجو الملبد هو نتاج التحرك الكيسنجرى وسياسة « الخطوة . . . خطوة » .

وليس صعبا أن نحيط بالحالة النفسية التى نمر بها كعرب فى هذه الايام .

فمظاهر هذه الحالة واضحة وغلبة الأنفعال عليها باد . وعدونا الإسرائيلى يحاول أن يستغل هذه الحالة النفسية فى حربه النفسية التى يوجهها ضدنا إلى آخر مدى ، وما أكثر مايتردد فى أوساطه « أن توقيع الاتفاق المرحلى سيشق العالم العربى » . ولو اننا نظرنا إلى أنفسنا فى عملية « استبطان » نراقب فيها ذواتنا من الداخل بعين مجردة ، لرأينا كم أثرت السياسة الأميركية بما اصطنعته من مناخ وجو على الموقف العربى الواحد فى الاتجـــاه السلبى ، وعلى حالتنا النفسية .

ولابد من القول هنا ونحن نتحرى الموضوعية فى رؤيتنا لما يجرى ، أن عدونا الاسرائيلى يمر هو الآخر بحالة نفسية صعبة بفعل التحرك الكيسنجرى . ومع أن هذا الذى يشهده التجمع الإسرائيلى من شدّ وجذب بين أحزابه ومظاهرات ضد كيسنجر ،

يدخل ضمن لعبة « المساومات الشيلوكية » التى يلعبها عدونا فى كل مفاوضات ، إلا أنه فى الوقت نفسه يعكس وجود خلافات حقيقية تشتد وسط تلك الحالة النفسية الصعبة . وهذا أمر متوقع فى صراع كالصراع العربى ـ الإسرائيلى يقوم التناقض فيه بسبب استعمار استيطانى صهيونى يحاول أن يقتلع الوجود العربى من وطنه اقتلاعا.

ولنا أن نتوقع أيضا فى مثل هذه الحالة النفسية التى يمر بها طرفا الصراع أن تتأثر نظرة كل منهما إلى الاتفاق المرحلى الذى سيتم بها، وأن تبرز المغالاة فى هذه النظرة . ويكفى هذا الأمر سببا للحكم على خطورة مايجرى فى هذه الفترة والتخوف من تأثيره على مجرى الصراع .

ونعود للسؤال الذى يبرز اليوم ، ونجد بداية أن بروزه يؤكد حقيقة بسيطة ، ما كان لنا أن نذكرها لولا الحالة النفسية . . . وهى أن الصراع مستمر بعد الاتفاق المرحلى الذى سيتم ، لأن هذا الاتفاق ـ كما هو واضح ـ لم يتعامل مع المشكل نفسه ، وإنما تعامل مع بعض جوانبه السطحية وفقا للطريقة الكيسنجرية فى التخدير . وما دام الصراع مستمرا فمن المهم جداً أن نتعرف على أجابة

سؤال «ماذا بعد» كما يطرحها الأطراف المعنيون. وطبيعى أن نبدأ بالعدو الأسرائيلى .

* * *

ولقد لخص موشى دايان موقفه المعارض للتسوية المرحلية وشروطها بقوله « ان سياسة الخطوة خطوة ، والجدل حول كيلو متر هنا وآخر هناك ، لن يؤدى بنا إلى مخرج . فهذا ببساطة انسحاب جزئى وهدوء مؤقت فقط ». وضمن هذا الواضع يبقى السؤال ماذا سيحدث بعد ذلك معلقا .

ويكتب « غولان » أحد كتاب ها أرتس عن الوضع داخل حزب العمل بأن جميع قيادته غير سعداء، بهذا السؤال . ومن خلال متابعتنا لما يصدر عن العدو يتأكد لنا أن أجابته على السؤال هى الاستمرار فى خططه واستغلال هذا الهدوء المؤقت لتنفيذ مشاريعه الاستيطانية والاستعداد للحرب الخامسة . بل إن العدو الإسرائيلى حرص بشدة فى مفاوضاته الطويلة مع كيسنجر أن يوظف أى اتفاق مرحلى على جبهة سيناء لصالح خططه ومشاريعه العدوانية . فكان مما طلبته إسرائيل من الولايات المتحدة « التعهد بأن تعارض فى

المراحل القادمة من الاتصالات السياسية فى الشرق الأوسط كل مشاركة لمنظمة التحرير الفلسطينية فى المباحثات سواء فى مؤتمر جنيف ، أو فى الاستيضاحات التى تجرى برعاية اميركية » . كما طلبت أن لاتمارس الولايات المتحدة ضغطا عليها خلال ثلاث سنوات من أجل القبول باتفاق مرحلى اضافى مع أية دولة عربية ، إذا كانت الشروط المقترحة غير ملائمة من وجهة نظر اسرائيل . وسواءا وافقت الولايات المتحدة على هذين الطلبين كما أوردتها آرتس أو تحفظت ، فإن الطلبين يصوران لنا منهج التفكير الإسرائيلى والموقف الإسرائيلى من الوجود الفلسطينى والأراضى العربية المحتلة وتفكيك الجبهات العربية .

واضح إذن أن اهداف عدونا الإسرائيلى لم تتغير ، وعلينا أن نتوقع استمراره فى العمل لها . وتلك هى اجابته عن السؤال . وما الاتفاق المرحلى فى نظره إلا سبيل لحل مشكلات وترتيب امور و « حليمة ما زالت على عادتها القديمة » .

نتوقع والأمر كذلك أن يركز العدو الإسرائيلى فى الأيام القادمة ضمن اجابته على أمرين : —

- أولها : حشد كل قوة لضرب الثورة الفلسطينية سواء داخل

فلسطيننا المحتلة أو فى جنوب لبنان . ودافع العدو لذلك واضح وجلى . فالثورة الفلسطينية هى أشد ما يقلقه ويهـــدد مخططاته ووجوده ، وتصاعدها بعد حرب رمضان على الرغم من صمت المدافع على الجبهات العربية يمثّل خطراً كبيرا عليه مع استمرار تشبثه بموقفه من الوجود الفلسطينى .

وعدونا لم يخف توجهه هذا لا بالقول ولا بالعمل . فلقد صرّح رابين فى تموز الماضى « أن حكومته عاقدة العزم على مواصلة حرب لا هوادة فيها ضد ما أسماه بالإرهاب العربى ، واتّخاذ جميع الوسائل التى تراها مناسبة وناجعة ضده » . وأصوات إسرائيلية أخرى كررت المطالبة باللجوء إلى شتى التدابير وانتهاج خطوات ثابتة فى الحرب ضد الثورة الفلسطينية . وتتالى اعتداءات إسرائيل على لبنان فى هذه الفترة وعمليات الإرهاب ضد أهالينا فى الأراضى المحتلة لتجسّد عمليا هذا الذى صرّح به قادة إسرائيل .

ولا بد من المصارحة أن الوضع العربى الراهن يمكّن العدو الإسرائيلى من هـذا التركيز ، ويحمّل الثورة الفلسطينية وحدها عبء المجابهة . وعدونا يعمل على استغلال هذا الوضع العربى الراهن إلى آخر مدى ، وسيقاوم كل الجهود الرامية إلى تغييره ، وإيجاد موقف عربى واحد قوى فى مواجهته .

• ثانيها : تنشيط عملية الاستيطان فى الأراضى العربية المحتلة والسير فيها إلى آخر مــــدى ممكن بهدف تهويد تلك الأراضى وايجاد حقائق تفرض على العالم القبول بالأمر الواقع . ولقد لاحظ المراقبون أن الحديث عن الاستيطان عاد مرة أخرى بعد أن خفّ عقب حرب رمضان . وقد أقيمت فى هذا الصيف مناقشات واسعة فى إسرائيل حول مشاريع الاستيطان لمناسبة إقامة مدينتين فى الجولان وسيناء تحملان اسمى كتسرين ويميت ، وأقدام بعض الاسرائيليين على إقامة مستوطنة عفرة فى الضفة الغربية .

ومعلوم أن عدونا أقام خمسا وستين مستوطنة فى أراضينا العربية المحتلة منذ عام ١٩٦٧ . وقد كشف وزير الزراعة الاسرائيلى — أهرون أوزان — أن حكومته تنوى إقامة إحـــدى عشرة مستوطنة أخرى خلال العامين القادمين .

ولعل من أخطر ما يبرز فى مخططات الاستيطان والتهويد توجّه عدونا لتهويد الجليل واستكمال تهويد أراضينا المحتلة عام ١٩٤٨ . ولقد كثرت الدعوات والمشاريع لتحقيق هذه الغاية بعد أن كشفت الأرقام عن أن نسبة العرب فى الجليل تقارب الخمسين

بالمائة . فعلى الرغم من كل ما جابهه أهلنا من صعوبات ومشاق تحت وطأة الاحتلال ما يزالون ممتدى الجذور فى أعماق الأرض التى استوطنوها منذ أكثر من خمسة آلاف سنة .

إن تركيز عدونا على هذين الأمرين ضمن اجابته عن سؤال ماذا بعد ، لا يعنى أنه سيحقق نجاحا فيهما ، فالأمر فى النهاية متوقف على الطرف الآخر فى الصراع الذى هو نحن ، ولكنه يعنى مزيداً من النفخ فى أوار هـــذا الصراع ومزيدا من التوتر فا المنطقة .

* * *

وتجيب الثورة الفلسطينية على السؤال المطروح من موا إدراكها لطبيعة العدو الذى تجابهه ، وهى تعبر فى اجابتها ع الضمير العربى وتنطق بلسان الجماهير العربية ، وما تقوله بسيط . فما دام الصراع مستمرا فالثورة مستمرة حتى تحقق اهدافها بتحر الوطن . والنضال الثورى هو الرد الطبيعى على العدوان الذى يقوم به العدو وعلى مخططاته ومشاريعه .

لقد برزت هذه الاجابة فى دورة المجلس المركزى لمنظمة التحرير

الأخيرة . فمن خلال العرض الذى قدمه رئيس اللجنة التنفيذية بدا واضحا أن الثورة الفلسطينية وهى تدرك مايدور من حولها على شتى المستويات مصممة العزم على تصعيد أعمالها ، ومستعده لمجابهة العدو فى جنوب لبنان وداخل الأراضى العربية المحتلة . وكان تأكيد القيادة الفلسطينية على أهمية جنوب لبنان دليلا على وعيها لمخططات العدو تجاه وجودها هناك ملتحمة بشعب الجنوب العربى ومتواصلة مع أهلنا فى الجليل .

والثورة الفلسطينية تقدم هذه الإجابة من موقع الثقة بقدرة شعبنا على العطاء ومتابعة النضال. وتكشف تقارير العدو نفسه عن هذه الحقيقة ، فقد أورد اللاحق العسكرى هيفو اعتراف إسرائيل بمائة وخمس وخمسين عملية جرت خلال النصف الأول من هذه العام كان نصيب القدس منها ثلاثا وخمسين عملية . كما أورد أن عدد المعتقلين لأسباب أمنية فى السجون الإسرائيلية بلغ من أهالى الضفة الغربية ٧٦١ معتقلا ومن قطاع غزة ٣٣٨ معتقلا ومن الأراضى المحتلة عام ١٩٤٨ تسعة وعشرون معتقلا . ويتحدث المعلقون العسكريون الإسرائيليون عن تزايد قوة منظمات المقاومة وتطور اسلحتها ، ويعترفون بأن معظم العمليات التى تجرى داخل أراضينا

المحتلة يقوم بها فدائيون موجودون هناك ، وأن أكثرية أهالينا هناك يؤيدون العمل الفدائى والمقاومة .

ان هذه الاجابة تضىء الطريق لتجاوز المناخ الثقيل والجو الملبّد الذى اصطنعته السياسة الكيسنجرية. ولقد نقل الذين حضروا مؤتمر القمة الافريقى مدى تأثير حضور منظمة التحرير فيه ، ومدى تجاوب قادة أفريقيا مع مداخلات الثورة الفلسطينية عند البحث فى موضوع الأراضى المحتلة وقضية فلسطين ، وخصوصا عندما وضح لهم معنى صمود الثورة الفلسطينية أمام قوى العدو الإسرائيلى . وهذا يعنى أن الثورة بالاجابة التى تقدمها تجسد حقيقة كونها نموذج ثورة التحرير فى العالم الثالث .

وبديهى أن جواب الثورة الفلسطينية على السؤال المطروح لا يتم بمعزل عن امتنا العربية ، وأنما هو تعبير عن كون الثورة جزءاً لا يتجزأ من النضال العربى . وكما أن هذا الجواب يقتضى التلاحم مع شعب لبنان العربى فهو يتطلب الموقف العربى الواحد والدعم العربى غير المحدود للثورة الفلسطينية التى مازالت مدافعها تنطلق . ولنا أن نتوقع مع تصاعد الثورة ازدياد التفاعل الجماهيرى العربى معها

وانعكاس ذلك للموقف العـــربى الرسمى .

* * *

هذان هما جوابا طرفى الصراع المباشرين على السؤال المطروح ، مما يعنى أن توقيع الاتفاق المرحلى لن ينجح فى تخفيف التوتر فى المنطقة ولكنه سيسجل بداية تصعيد جديد فيه . ومع أن هناك اطرافاً اخرى تعمل على ضبط الأمر ، الا أن الطرفين المباشرين هما اللذان يحددان الخط العريض لامكانات الحرب والسلام . وما دام الأسلوب الكيسنجرى يتجاهل حقيقة الثورة الفلسطينية ووجود شعب فلسطين فإن جدوى التخدير فيه محدودة لأنه موقوت .

إن استمرار الصراع ووقوف الثورة الفلسطينية وحدها فى مواجهة عدونا بكل قواه يحمل الحكومات العربية مسؤولية مساندة الثورة . ولابد من بحث هذا الوضع الذى يسفر عن ابرام الاتفاق المرحلى فى اجتماع وزراء الخارجية العرب المقبل فى نطاق الجامعة العربية لتتحدد المسؤوليات بدقة . كما أن الأمر يقتضى تحركا فلسطينيا وعربيا بهدف تحقيق التنسيق بين منظمة التحرير والدول العربية لمجابهة العدوان الاسرائيلى على جنوب لبنان وعلى اهلينا فى الأراضى المحتلة ، وبهدف تحقيق مزيد من العزل للعدو على الصعيد الدولى .

مطلوب أذن أن نخرج من المناخ الثقيل الذى تضيق فيه الانفاس والجو الملبد الذى تصعب فيه الرؤية الواضحة ويكثر فيه الانفعال لنعيز عن ارادتنا ونتابع النضال ونخلف أى اتفاقيات مرحلية وراء ظهورنا ما دامت لم تتصد لأصل المشكلة ولم تصل بنا إلى تحرير الأرض . وامامنا مهام كثيرة لاتنتظر على طريق تصعيد الثورة ومجابهة مخططات عدونا . ويحضرنى هنا حديث أخ عزيز من قادة العمل الفلسطينى وهو يؤكد على دور الثورة الفلسطينية فى قيادة الموقف العربى فى هذه الفترة لمتابعة النضال ، ويستشهد بما فعلته ابان السقينات حين كانت المقاومة تنطلق لتضرب المعادلات وتكسر الحلقات . كما يحضرنى حلم قديم يتردد فى أوساط المقاومة ويدور حول إمكانية توطن الثورة فى الجليل واجزاء أخرى من وطننا المحتل ، لتنتقل الثورة بذلك إلى مرحلة تحرير الأرض شبرا شبرا ، ولنشهد ازدياد حركة نزوح عدونا من تلك المناطق . وعلى الرغم من كل الصعوبات فالافاق أمامنا رحبة لمتابعة النضال .

موقف عربي واحد من طرد إسرائيل

كان للتحرك العربى لطرد إسرائيل من الأمم المتحدة صداه الواسع فى الشهور الثلاثة الماضية . . على الصعيد الإسرائيلى حدث انفعال وانشغال وتحرك مضاد . وعلى الصعيد الاميركى تصاعدت حملة عدائية ضد العرب والعالم الثالث قامت على التهديد والشتائم . وعلى الصعيد الأوروبى أعلنت مواقف تعارض الطرد وعلى الصعيد الافريقى حدث فهم عميق للتحرك العربى ومبرراته وبرزت وجهة نظر تعارض الطرد . ومثل هذا الفهم العميق حدث على صعيد دول المعسكر الاشتراكى الصديقة . وأخيراً على الصعيد العربى برزت وجهة نظر لاتتحمس لطرد إسرائيل .

ومنذ أن اتخذ المؤتمر الإسلامى بجدة قراره قبل ثلاثة شهور بالعمل على طرد إسرائيل ، شغل هذا الموضوع مؤتمرين كبيرين هما مؤتمر كمبالا لدول الوحدة الأفريقية ومؤتمر ليما لدول عدم الانحياز . وشارك العرب والثورة الفلسطينية فى المؤتمرين ، وصدر عن أولهما قرار بإدانة الصهيونية وتحذير إسرائيل من الاستمرار فى عدم تنفيذ

قرارات الأمم المتحدة ، وكان توجه المؤتمر الآخر مشابها دون الإشارة المباشرة لطرد إسرائيل .

ومع اقتراب انعقاد دورة الأمم المتحدة فى الأيام القادمة ، وعلى ضوء ما برز خلال الفترة الماضية بات مطلوبا أن نحدد نحن العرب ما الذى ينبغى عمله فى الجمعية العامة . وبتعبير أدق بات مطلوباً من منظمة التحرير والدول العربية إعادة اتخاذ موقف عربى واحد تجاه هذا الموضوع ، ورسم خطة التحرك . وطبيعى أن نناقش وجهة النظر العربية التى لا تتحمس لطرد إسرائيل وتدرس جوانب الموضوع المختلفة وصولا للموقف الواحد .

* * *

وحديثنا إذن عن إعادة اتخاذ موقف عربى واحد . ذلك أن الموقف العربى الواحد سبق اتخاذه من قبل ونستحضر هنا خلفية الموضوع فنجد أن مؤتمر القمة العربى فى الرباط اتخذ قراراً بطرد إسرائيل ، ثم اتخذت القرار نفسه لجنة التنسيق لدول عدم الأنحياز التى عقدت فى هافانا فى آذار الماضى . وجاء المؤتمر الإسلامى بجدة فى حزيران فاتخذ قراراً مماثلا ، حتى وصلنا إلى مؤتمر كمبالا وكان ماحدث من بروز وجهة نظر أخرى .

فى نطاق اعادة اتخاذ الموقف العربى الواحد تطرح منظمة التحرير وعدة دول عربية موقفها الأول ، وتطالب المنظمة أن نتابع كفلسطينين وعرب النضال فى الأمم المتحدة لطرد إسرائيل .

قد يبدو للبعض عند الوهلة الأولى أن تمسك المنظمة بموقفها هو من قبيل عناد الثوار وحماسة الثورة واللاانصاف يجب القول أن المنظمة اعتمدت فى تحديد موقفها على الدراسة العلمية والتحليل الموضوعى دون اسقاط حقيقة كونها تعبيراً عن ثورة من حسبانها. وهى لذلك كانت حريصة على متابعة كل مابرز من خلال طرح الموضوع بذهن مفتوح،والوقوف أمام الحجج المختلفة ومايطرح من ايجابيات وسلبيات للتحرك . وخصص لذلك كله خبراء مختصين أخذوا وقتا فى تقليب الأمر من عدة وجوه . ولا بد عن الأشارة هنا إلى أن المنظمة انتهجت هذا المنهج فى عملها الثورى منذ فترة . واصبح واضحاً ما يمكن للعقل الفلسطينى العربى أن يحققه فى دفع الثورة وتعقيدها . كما بات معروفاً تجاوب كثير من الكفاءات الملتزمة على ما تكلفها به المنظمة من مهام .

إن منظمة التحرير وهى تحدد موقفها القائل بمتابعة النضال لطرد إسرائيل تأخذ بعين الاعتبار النواحي المبدئية والسياسية

والقانونية الخاصة بالموضوع. ولا نريد هنا أن نكرر ماقلناه فى حديث سابق فقل ستة أسابيع عن الناحية المبدئية حين شرحنا الموقف المبدئى للمنظمة من الأمم المتحدة كما تجلى فى خطاب فلسطين، ولكننا نريد أن نتابع ذلك الحديث بتناول الناحيتين السياسية والقانونية.

وأما الناحية القانونية فنعرض لها بإيجاز تاركين تفاصيلها للمختصين . ونلاحظ بداية أن كثيراً من الذين عارضوا الطرد استندوا إليها فى معارضتهم ، وركزوا على أن « الطرد » غير ممكن قانونياً لأنه لا يتم بحسب الأنظمة الا عن طريق توصية يرفعها مجلس الأمن إلى الجمعية العامة وفقا لنصوص المادتين الخامسة والسادسة من ميثاق الأمم المتحدة. ومثل هذه التوصية غير ممكنة لوجود « الفيتو » الأميركى فى مجلس الأمن . وطرح البعض ممن عارض « الطرد » من العرب لهذا السبب أن يستبدل الحديث عن الطرد بتعليق عضوية إسرائيل من الأمم المتحدة لا نتهاكها لمبادىء الميثاق والقرارات . وطبيعى إن يأخذ موقفنا بعين الاعتبار الناحية القانونية ، والمنظمة حين طرحت فكرة الطرد لم تقتصر على المدلول القانونى للحكم وإنما تجاوزته ليشمل المدلول السياسى وقد تركت للاختصاصيين أن يبحثوا « الإجراءات » اللازمة المتفقة مع الميثاق الأنظمة وهذا يعنى أننا حين

نتحدث عن « الطرد » من الناحية السياسية لن نكون غافلين عن الناحية القانونية .

من الناحية السياسية نجد موقف المنظمة ينطلق من نظرة شاملة تأخذ بعين الاعتبار العدو الإسرائيلى ومختلف القوى والإطراف الدولية . كما يناقش هذا الموقف مختلف الاحتمالات ليصل إلى اقتراح الموقف العربى الواحد الذى يجب أن يلتزم به العرب .

فاذا ركزنا النظر على العدو الإسرائيلى نجد أن التحرك العربى لطرد إسرائيل هزه هزاً عنيفاً ، وقد صدرت عنه ردود فعل رسمية كما باشر تحركاً معاكساً وعبرت تعليقات صحفة عن الأثر النفسى للفكرة عليه. فمن ردود الفعل الرسمية نكتفى بتصريح ايجال آلون وزير الخارجية الذى حذر فيه من أنه فى حال تعليق عضوية إسرائيل فى الجمعية العامة سيقترح على الحكومة الإسرائيلية تعليق جميع نشاطات الأمم المتحدة فى إسرائيل بما فى ذلك مؤتمر جنيف ورعاية شئون اللاجئين فى المناطق المحتلة ووجود الأمم المتحدة فى قصر المندوب فى القدس وغيرها . وواضح على هذا التصريح الانفعال . وقد أكد آلون أن موضوع تعليق العضوية سيكون لذلك شرطاً من شروط الاتفاق المرحلى مع مصر تطالب به إسرائيل .

هذا الانفعال الرسمى الإسرائيلى عبّر فى الحقيقة عن مخاوف صهيونية دفينة ظهرت فى تعليقات الصحف . وقد حذرت عال هشمار من الاستخفاف بموضوع طرد إسرائيل أو تعليق عضويتها فى الأمم المتحدة ، وما قد يتبع ذلك من عقوبات اقتصادية وعزلة دولية ، واعتبر معلقها دوف بارنير أن هذا الإجراء سيكون «اهانة وعزلا واحتقاراً ، وبمثابة قطع الاكسجين عن الرئتين» . وأشار احد كتاب ها أرتس بأن الوزن الوحيد للموضوع هو نفسى حيث يسود شعور لدى كثير من الإسرائيليين «وكان من قرر اقامة الدولة باستطاعة أن يكرر الغاءها» ونكتفى بهذين النموذجين ويمكن الاستزادة بالرجوع إلى ما تنقله نشرة مؤسسة الدراسات من تعليقات الصحف الإسرائيلية .

ولقد قامت إسرائيل بنشاط سياسى ودبلوماسى معاكس لاحباط المسعى العربى ، فكان تحرك رابين فى استكهولم بين الاشتراكيين الأوربيين ، وكان التحرك الصهيونى فى الولايات المتحدة مطالبا بانسحاب اميركا من الجمعية العامة إذا اتخذ العرب خطوة ملموسة على طريق طرد إسرائيل .

بموضوعية وعلمية ندرس أثر الفكرة على العدو الإسرائيلى ،

ونقلب النظر فى ردود أفعاله وتهديداته فنجد أن تهديداته التى تضمنها تصريح آلون لاتؤثر علينا تأثيراً سلبياً بأى حال إذا استثنينا واحداً منها. فلا تعليق نشاطات الأمم المتحدة بما فى ذلك مؤتمر جنيف يسؤنا ، اولا غياب الأمم المتحدة عن قصر المندوب فى القدس . وأما منع رعاية شؤون اللاجئين من أبناء فلسطين فى الأراضى المحتلة فهو الإستثناء وقد يبدو أثره سلبياً علينا ، ولكن وجهة النظر الغالبة أن أى أثر سلبي مباشر علينا سيرتد مضاعفا على العدو حيث سيثير نقمة مضاعفة من اهلنا عليه وينفخ فى أوار الثورة .

إذن فالفكرة من وجهة نظر صراعنا مع العدو هى اصالحنا، وهى من أفعل الأفكار وأعظمها تأثيراً عليه من الناحية النفسية وصراعنا هذا يتأثر إلى حد كبير بالعامل النفسى ، فلنتابع إذن النضال لعزل هذا العدو الذى « سد آذانه – كما يقول أحد المعلقين الإسرائيليين – عن سماع كل مالا يروقه .. عشرون سنة واللاجئون الفلسطينيون فى مخيماتهم ونحن نقول «ولا حتى لاجئى واحد . عشر سنوات وصوت الفلسطينين المطالبين بحق تقرير المصير لأنفسهم يعلو بينما جولدا مائير تقرر أنه ليس هناك مايدعى فلسطينيون . ومنذ حرب الإيام الستة رتفاعت المطالبة بإعادة الأراضى العربية ونحن نقول « ولا شبر

أرض ». وعلينا كعرب أن نبذل كل جهودنا وطاقاتنا وهى كبيرة كى ننجح فى عزله جزاء ما اقترفه من آثام .

على صعيد القوى والأطراف الدولية نركز النظر على الولايات المتحدة بداية لأن موقفها يـكاد يكون امتداداً للموقف الاسرائيلى . ولقد ظهرت ردود الفعل الاميركية على الفـكرة بسرعة . فعلى أثر مؤتمر هافانا فى آذار الماضى حذر سكالى المندوب الاميركى السابق فى الأمم المتحدة بعض دول عدم الانحياز بأن وضع توصية هافانا موضوع التنفيذ سيكون أمراً خطراً على الأمم المتحدة . وعقب المؤتمر الاسلامى سارع كيسنجر للتصريح فى مدينة ملوا كى مهدداً دول عدم الانحياز . وباشرت الولايات المتحدة ضغوطها على الدول الأوربية والأفريقية واللاتينية فى أميركا الجنوبية .

وننظر فى تهديدات الولايات المتحدة فنجد أنها تضمنت التحذير من العواقب التى تعود على الأمم المتحدة من قرار الطرد ، والتهديد بقطع مساعدات الولايات المتحدة المالية عن الأمم المتحدة ، وهى التى تساهم بنصيب ٢٥ ٪ من الميزانية العامة عدا عن نسبة مالية عالية فى الوكالات المتخصصة ، ولها سابقة حين قطعت المعرفة عن اليونسكو والتهديد بتجميد عضويتها عن الجمعية العامة واللجان والمؤتمرات

لكى لاتبقى إسرائيل معزوله وحدها .

ولقد ثار أيضاً فيما يخص الولايات المتحدة تساؤل عن أثر التحرك العربى على الرأى العام الاميركى ، فضلا عن ضرورة الدراسة الموضوعية للتهديدات الاميركية . وطرح البعض التساؤل هل الافضل إن نبدو معتدلين بعد ماحققناه من نجاح فى العام الماضى أو نمضى فى اثارة المشاكل على حد تعبيرهم .

إن وجهة النظر الغالبة فى تقدير الموقف الإميركى تقول بأن هذا الموقف يمكن تلخيصه . كما قال مندوب المنظمة فى الأمم المتحدة الأخ سعادات حسن ـ بأن «اميركا لاتريد طرد اسرائيل . ولاتريد خسارة رصيدها الجديد فى الوطن العربى ولاتريد فشل الأمم المتحدة» . وموقفها سيحاول التوفيق بين هذه اللاءات الثلاثة. والحق أننا من الرأى الذى يرى بعدم جدية دعوات الانعزالية الإميركية التى برزت بعد فيتنام لسبب بسيط هو إن اميركا اليوم فى منتصف السبعينات تستحيل عليها الانعزالية التى كانت ممكنة فى سبعينات القرن الماضى ويمكننا الرد على التهديد الاميركى بقطع المساعدات عن الولايات المتحدة بطلب نقل المقر . ولايمكننا بحال أن نقبل منطق القوة الغاشمة الاميركى حين يتهدد ويتوعد ويطلق الشتائم . وأما كسب

الرأى العام الاميركى فوجهة النظر هذه تقول بأن كسبه لا يأتى إلا بشد انتباهه عن طريق إثارة القضايا التى تمسه، ولن يجدى «الاعتدال شيئا» فى شد انتباهه لأنه يعنى أننا غير موجودين .

إذن فالموقف الاميركى يقتضى منا أن نتابع النضال . وهو يمثل بالنسبة لنا تحدياً لا بد أن نجابهه ونتغلب عليه .

وبالنسبة لموقف أوروبا الغربية نجد أن الموقف الاميركى والتحرك الإسرائيلى أثرا عليه تأثير واضحاً . وقد طرحت الدول الأوربية حججاً فى معارضتها للطرد من بينها أنها لا تريد للحوار أن ينقطع ، وتريد أن تبقى الأمم المتحدة عالمية — على حد تعبير مسؤول المانى كبير زار المنطقة مؤخراً . والحق أن لنا ملاحظة مبدئية على الموقف الأوروبى طرحها الوفد الفلسطينى فى الحوار العربى الأوروبى الذى جرى فى روما ، وهى أن هذا الموقف جرى اعلانه بسرعة تجاوباً مع طلب الولايات المتحدة قبل أن يتم أى اتصال أوروبى بالدول العربية . وذلك فى الوقت الذى يقتضى فيه الحوار العربى الأوروبى أن يتم هذا الاتصال كأبسط تعبير عن حسن النوايا . ورداً على الحجج الأوربية نقول بأن فكرة استمرار الحوار وعالمية الأمم المتحدة تفقد معناها وتهدد وجود المنظمة الدولية حين يسخر

الكيان العنصرى الإسرائيلى بالحوار وبميثاق المنظمة الدولية وقراراتها، والأهم من الحجج القولية هذه ينبغى أن نتحرك مع أوروبا الغربية بمنطق مصالحها لنعزز منطق الحق الذى ننادى به وندعوها لتحمل مسؤولياتها فى تنفيذ قرارات الأمم المتحدة . . وهذا يعنى أن نتابع نضالنا لطرد إسرائيل من الأمم المتحدة .

لقد اظهر اصدقاؤنا من الدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز تفهماً كبيراً حتى الآن لتحركنا ويقيناً أن متابعتنا لهذا التحرك ستزيد من تعاوننا فى نطاق الأمم المتحدة لعزل عدونا دولياً .

على ضوء رؤيتنا هذه وتحليلنا لمواقف الأطراف المختلفة ، ووعينا للموقف الدولى بصورة عامة بعد مؤتمر هلسنكى وبعد عامين على حرب رمضان يمكننا أن نحدد باطمئنان موقفنا السياسى الاستراتيجى بشأن تحركنا الدولى فى نقطتين.

الأولى : عدم الركون للوضع الدولى الراهن والمعادلات التى توصل إليها. لان هذا الوضع وهذه المعادلات اغفلت بشكل صارخ ابسط حقوقنا وسارت فى مسارب التحرك الاميركى المخدر وعلى هذا فمن الضرورى أن نحرك سطح البحر الدولى الساكن لتدفع الامواج مسيرتنا التحريرية .

الثانية : أننا فى تحريكنا لهذا السطح نطرح قيمنا ولغتنا الحضارية التى تخاطب الضمير العالمى باعتبارنا رمزاً للثورة العالمية ، ونقوم بدورنا الثورى لايجاد عالم الغد الافضل .

ويبقى أن نتحرك بسرعة وبقوة فى وطننا العربى لاعادة اتخاذ الموقف العربى الواحد . وواضح أنه ينبغى أن يقوم على أساس تجنيد كل طاقتنا وامكاناتنا المادية والمعنوية لعزل عدونا فى المنظمة الدولية وتعليق عضويته أو طرده . ولعلنا نبلغ هذا الهدف فى الدورة القادمة ، وحتى إن لم تستطع فليبق هدفاً لنا نعمل له بجهد أكبر فى الدورة التى تلى. والمهم الا نستكين الواقع مرٌ مذل لا يجوز الاستكانة له . والمهم أن نتابع النضال وسيكون المستقبل لنا مادمنا على درب النضال سائرون .

على الصعيد الدولى

١ -- النظرة المستقبلية وقضيه فلسطين .

٢ — فلسطين وأمن وسلام آسيا .

٣ — كيسنجر وسياسة القوة السلبية .

٤ — ماذا نكتب فى الصفحة الجديدة ؟

٥ — اعادة تقويم السياسة الأميركية .

٦ — ثلاثون عاماً على الحرب العالمية الثانية .

٧ — وللعالم الثالث نصيبه .

٨ — عصر جديد .

٩ — التحرير العربى — الإفريقى . وعالم الغد .

النظرة المستقبلية وقضية فلسطين

يلفت النظر ونحن نتابع مايجرى على صعيد قضية فلسطين غياب النظرة المستقبلية التى تحيط بالبعد المستقبلى للقضية عند البعض. وينعكس هذا الغياب نفسه على الآراء التى تتبلور والقرارات التى تتخذ .

الحديث عن الأمر الواقع الذى لاسبيل إلى تغييره يدل على غياب النظرة المستقبلية . ويوصل إلى هاوية الاعتراف بالأمر الواقع والاستسلام له. ولو أن القائلين بهذا الحديث تزودوا بالنظرة المستقبلية وقرنوا استخلاص عبرة الماضى بدراسة احتمالات المستقبل لأمكن لهم أن يروا الأمر الواقع بشكل آخر ، ولاتخذوا موقفاً مغايراً منه أساسه إمكانية تغيير هـــذا الأمر الواقع بتفاعل إرادة الإنسان مع الزمن .

والحق أننا لو نظرنا فى أمور حياتنا المختلفة للفت نظرنا غياب النظرة المستقبلية عند تصريف الكثيرين لها. ومثل بسيط على ذلك ما ورد فى تحقيق لجريدة الأهرام القاهرية عن الاصلاحات الجارية منذ أكثر من عامين فى مطار القاهرة بهدف تطويره ليساير ماجد فى عالم

الطيران . وموجز ماورد أن هذا العمل الجارى سينتهى عام١٩٧٧، وبعد عام واحد فقط يصبح المطار متخلفاً مرة أخرى عن مسايرة ماجد خلال سنوات إصلاحه فى عالم الطيران ، ويكون بحاجة إلى إصلاح جديد . وأمثلة أخرى كثيرة نراها فى شتى أقطارنا العربية حين نعبر شارعاً أو نتجاوز حدوداً أو ندخل بناء أو نتعامل مع عادات وتقاليد . ومن هنا تلح فكرة حاجتنا نحن العرب فى هذه المرحلة من تاريخنا إلى إدراك البعد المستقبلى والتزود بالنظرة المستقبلية حين نبلور آراءنا ونتخذ قراراتنا .

إن هذه النظرة المستقبلية هى من أول صفات العقلية العربية الجديدة التى يجب أن نعمل لبنائها ، والتى بها نستطيع — كما يقول الدكتور قسطنطين زريق . أن نجابه مشكلات عصرنا ونفوز فى مصارع الحياة المقبلة وهى تعنى الريادة فى الاستطلاع والامتداد زمناً إلى الامام ، ونحن لا نستطيع بناء عالم الغد إذا لم نحسن تصوره ولم ندرك كنهه ولا نحسن البناء لعام ٢٠٠٠ إلا إذا كان قادتنا أو بعض قادتنا على الأقل يفكرون تفكير ذلك الزمان ويتكلمون لغته ويعيشون تحت وطأته » وقديما كنا نصف من يتزود بالنظرة المستقبلية بأنه «صاحب نظر بعيد» وبقى هذا المصطلح فى لغتنا الدراجة اليومية.

والحديث عن البعد المستقبلى والنظرة المستقبلية يقودنا إلى الحديث عن ضرورة قيامنا بالدراسات المستقبلية وهذه الدراسات لم تعد اليوم في الربع الأخير من القرن العشرين مجرد ترف وتلمس لامكانات علم جديد ، بل أصبحت حاجة ملحة فى عالم يتغير كل يوم فيه جديد . وإذا كان الإنسان بطبيعته نزاع إلى استنزاف آفاق المستقبل واستشفاف كنه سيأتى ، فإنه طور أساليبه لبلوغ ذلك ليصل من التنبؤ والتنجيم ورجم الغيب إلى دراسة المستقبل .

ولقد برزت من خلال هذا التطوير فكرة هامة عبر عنها « الفين توفلر » صاحب كتاب «صدمة المستقبل» بقوله «فى الماضى درس الرجال التاريخ الماضى ليسلطوا أضواء على الحاضر . ولقد قمت بتدوير مرآة الزمن متنبأ بأن صورة المستقبل تستطيع أيضاً أمدادنا بنظرات قيمة عن حاضرنا . وسنجد مستقبلا أن الصعوبة تزداد أمامنا فى فهم مشاكلنا الخاصة والعامة بدون أن نستفيد من رؤيتنا للمستقبل ».وهذا الذى يقوله توفلر يعنى أن كلمة الفيلسوف الألمانى فون بابن « أن الذى يعرف من أين يعرف إلى أين » وهو يمجد علم التاريخ يمكن أن تقترن بالقول . . وأن الذى يعرف إلى أين يعرف جيداً أين يقف اليوم لنشير إلى أهمية النظر المستقبلية فى فهم

الحاضر الذى تعيشه . والحق أن ما تصور توفلر أنه فكرة جديدة تماما نراه بارزاً فى تاريخ عدد من العظماء الذين اشتهروا بالنظر البعيد واتخذوا قرارتهم على ضوء النظرة المستقبلية التى تحيط بالبعد المستقبلى. فبهذه النظرة المستقبلية رأى محمد (ص) على ضوء الشرارة التى انبثقت من فأسه وهو يضرب صخرة كبيرة أثناء حفر الخندق والأحزاب تقترب من المدينة ، الشام واليمن وقد شملتهما الدولة الجديدة فكانت بشراه لاصحابه وكان صمودهم وانتصارهم فى المعركة وبهذه النظرة المستقبلية رأى تيمستوقليس اليونانى أن الحروب الفارسية قادمة فأعد العدة لها وبنى اسطولا فكفل النصر لبلاده . وما أزال أذكر وقفة أستاذنا فى تاريخ اليونان أمام هذا الحادث وأنا أعرضه فى الامتحان الشفوى ليؤكد على سر العظمة فى القيادة هنا واقترانها بالنظر البعيد ورؤية المستقبل .

إن الصلة وثيقة بين النضال وبين النظرة المستقبلية والمناضل السياسى ينطلق فى نظرته هذه من كونه فاعلا فى الاحداث ، ومن ادراكه أن الإرادة الانسانية بامكانها التأثير على الاحداث . ومن هنا فإن موقفه هو موقف الفاعل المؤثر الذى تزداد بالوعى قدرته

على الفعل والتأثير . وحديثه عن المستقبل هو حديث عما ينبغى أن يكون دون الغفلة عن توقع ما سيكون .

وتوفر هذه النظرة المستقبلية للمناضل خاصية القدرة على الحلم . ويهمنا أن نبرز هذه الخاصية ونؤكد على أهميتها لأننا ـ كما ذكرنا فى دراستنا المستقبلية ماذا بعد حرب رمضان ـ فيما نرى لا نستطيع الخوض فى حديث المستقبل بدون وجودها . فبهذا الوجود يحقق الانسان ذاته ويصبح بحق إنساناً مستقبلياً . وكما نشير ونحن ندرس التاريخ إلى قدرة الإنسان على التذكر فاننا نشـــير ونحن نتحدث فى المستقبل إلى قدرته على الحلم وبهاتين الخاصتين تميز الانسان الذى كرمه الله على غيره من المخلوقات . ولقد أدت خاصية القدرة على الحلم دوراً كبيراً فى تحقيق التقدم وبناء الحضارات وكان الحالمون فى شىء مجالات الحياة مصابيح إضاءت طريق المستقبل . ويمـكننا هنا إن نضيف تبعاً لذلك لما وصفنا به موقف المناضل الفاعل المؤثر بأنه أيضاً موقف الحالم الذى يستمد من قدرته على الحلم قوة أكبر على الفعل والتأثير . ويتحصن بالحلم ضد الاستسلام للأمر الواقع حتى ينتصر عليه ويغيره . وفى هذا المجال لفت نظرى مؤخراً وأنا اقرأ كتاب توفلر سالف الذكر قوله

فى تعاملنا مع المستقبلية بغية تحقيق غاياتنا من المهم أن نكون ذوى خيال وحالمين أكثر من أن نكون على صواب مائة بالمائة . وليس من الضرورى للنظريات كى تكون محددة أن تكون صائبة تماماً ، فللخطأ منافعه . ولكم لذ لى أن اقرأ مؤخراً كتاب أوديسا ٢٠٠١ لاتذكر الفيلم الرائع الذى اخرجه كوبريك واتابع من خلال الكتاب الإنســـان الذى يرقب القمر وهو يحلم ويتقدم .

قلنا إن الإنسان طور أساليبه فى استشراف آفاق المستقبل ، ولقد حدث فى بداية هذا القرن أن كتب عدد من العلماء فى أوروبا نظراتهم المستقبلية فى علومهم . وحين جرت مؤخراً مراجعة ما كتبوا تبين أنهم اصابوا فى كثير مما توقعوه . فقد كان منهم من توقع وصول الإنسان إلى القمر وحدد لذلك تاريخاً كاد أن يكون هو التاريخ الذى وصل الإنسان فيه بعد حوالى نصف قرن .. وكان منهم من توقع أحداثا سياسية لم تلبث أن حدثت، ومن هؤلاء باحث فى علم السياسة تنبأ بقيام دولة اسرائيل ثم تنبأ بسرعة انحلالها . ولقد وظف الإنسان اليوم ماحققه من تقدم تعنى فى دراسة المستقبل ، وذلك ضمن مكونات التفكير المستقبلى التى تجمع بين وعى عبر

الماضى وسنن الـكون وحركة التاريخ مع ادراك حقائق الحاضر مع تصور احلام المستقبل. فالنظرة المستقبلية تنطلق من الحاضر والماضى وتتميز بالشمول . .

* * *

نعود بعد هذا البحث فى النظرة المستقبلية إلى ما بدأنا به حديثنا عن غياب هذه النظرة عند البعض على صعيد قضية فلسطين ، وما يتردد من حديث عن الأمر الواقع الذى لا سبيل إلى تغييره يوصل إلى هاوية الاعتراف به والاستسلام له .

نعود لنؤكد على حاجتنا فى هذه المرحلة من تاريخنا إلى إدراك البعد المستقبلى والتزود بالنظرة المستقبلية حين نبلور آراءنا ونتخذ قراراتنا وعلى الخصوص فى قضية فلسطين .

ونطرح بعلمية وموضوعية ماتراه النظرة المستقبلية فى الموقف الراهن ، وما تشير علينا به . والحق أن الثورة الفلسطينية كجزء من الثورة العربية وكتعبير عن النضال العربى قدمت لنا بالنظرة المستقبلية هذا الطرح العلمى الموضوعى وأشارت علينا بما ينبغى عمله فى المرحلة الراهنة .

الثورة فى دراستها لما يجرى وفى تحديد هدفها المستقبلى رجعت إلى الماضى واستخلصت عبره بل وطرحت على السياسية الدولية منهج الرجوع إلى الماضى والعودة إلى أصول القضايا عند تلمس الحلول لها. ولقد أكدت على إيجابية يبرزها تاريخ القضية الماضي وهى تمسكنا كعرب بحقنا فى وطننا ورفضنا التنازل عن هذا الحق والاستسلام للاستعمار الاستيطانى الصهيونى. وتجاوزت سلبية اقترنت بهذه الإيجابية حين طرحت على العالم فكرة دولة فلسطين الديموقراطية واندماج اليهود فى مجتمعاتهم، ولم تقف عند رفض الوجود الصهيونى بل قدمت البديل الصحيح.

والثورة فى طرحها هذا انطلقت من ايمانها بقدرتنا على الفعل والتأثير، ومن نضالها اليومى المعبر من الفعل والتأثير. ومازال هذا النضال مستمرا يحقق تصعيد الثورة. وكل الدلائل تشير إلى أن شعبنا قادر على متابعته.

كذلك، فان الثورة فيما طرحته تجسد قدرتها على الحلم وتقدم للعالم صورة المستقبل، الذى تسعى لصنعه وتحقيقه. ولقد طرحت من على منبر الأمم المتحدة مخاطبة العالم كله على لسان إلى أبى عمار « فلماذ لا احلم

وآمل والثورة هى صناعة تحقيق الاحلام والأمال . فلنعمل معاً على تحقيق الحلم فى أن اعود مع شعبى من منفاى لاعيش مع هذا المناضل اليهودى ورفاقه ، مع هذا المناضل الراهب المسيحى وإخوانه فى ظل دولة واحدة ديموقراطية يعيش فيها المسيحى واليهودى والمسلم فى كنف المساواة والعدل والاخاء

إن النظرة المستقبلية تقدم لنا حقائق تكشف مدى ضلال المقولة التى ترضخ للامة الواقع ولا يرى قائلها ابعد من أرنبة أنفه . على الصعيد السكانى الديموجرافى يمكن للارقام أن تحكى وتشير إلى مير هذا التجمع فى مدى زمنى قادم . ولقد ألفت انتباهنا فى الشهرين الماضيين مانشرته الصحف الإسرائيلية عن قلق الصهاينة من الواقع السكانى فى الجليل مع ارتفاع نسبة العرب هناك ، فكيف لو وسعنا النظرة لتشمل المنطقة بكاملها . وعلى الصعيد الاقتصادى يمكن للأرقام أن تحكى وتشير إلى ما يستطيع العرب تحقيقه تعبيراً عن إرادة النضال من أجل التقدم . وعلى الصعيد الحضارى عموما تؤكد النظرة المستقبلية أن الانبعاث العربى الذى بدأ منذ أكثر من قرن سيتابع انطلاقه ليبلغ بنا ماتريد .

صحيح أن كثيراً من الدول تعترف اليوم بالكيان الإسرائيلي كدولة وتنظر إليه كأمر واقع ، ولكن صحيح أيضاً أن العالم كله أصبح ينظر للثورة الفلسطينية كواقع ينمو ويكبر وأصبح من ثم يفكر بما تطرحه حول فلسطين الواحدة غير المجزأة. والنظرة المستقبلية تقول بأن التحول فى نظرة العالم للكيان الاسرائيلي ستستمر ، تماما كما حدث هذا التحول إزاء تجارب أخرى من الاستعمار الاستيطانى وكما يحدث حالياً فى روديسيا وجنوب أفريقيا .

من هنا فان منطق النضال يرفض أى حديث عن الأمر الواقع بنية القبول به والاستسلام له . لأن ذلك يعنى بقاء فلسطين وأراض عربية فى مصر وسوريا تحت الاحتلال الصهيونى . وإن منطق النضال يدعونا جميعاً لموقف عربى واحد أساسه التمسك بالحق وطرح الحل الثورى الإنسانى الحضارى للمشكلة ، وهو الموقف الذى تجسده الثورة الفلسطينية .

وإذا كان منطق النضال يقبل بنضال سياسى يعزز نضالنا العسكرى ، بل ويحث على هذا النضال السياسى فانه فى الوقت نفسه يرسم حدوداً واضحة له لايجوز تجاوزها وهذه الحدود هى عدم

الاعتراف بالاحتلال وبالكيان الإسرائيلى القائم على الاستعمار الاستيطانى وعدم التفريط بأى شبر من وطننا . ومجال النضال السياسى واسع ضمن هذه الحدود .

إننا كعرب يدعون فى هذه الفترة وبعد مرور عامين على حرب رمضان لمواصلة التحرك السياسى الذى بدأ بعد الحرب منطلقاً مما حققته من إيجابيات وذلك بهدف تقويم هذا التحرك وإعادة صنع موقف عربى واحد ملتزم بحقنا فى فلسطين ولابد من أن تتضح فى المراجعة عدة أمور

التزام جميع الأطراف المشاركين فيها بالنظرة القومية التى على اساسها تكون الدعوة لموقف عربى واحد . وعدم الحديث حتى كاشارات باللغة الاقليمية التى بدأت تسم حديثها عند الحوار مع الثورة الفلسطينية . ولقد حدث فى الشهور الاخيرة وأكثر من مرة أن صدرت احاديث من اكثر من قطر عربى تلوح برفض الوصاية حين تبرز خلافات فى وجهات النظر .

الأمر الذى يضع العلاقة بين الأطراف العربية فى صيغة يعيده عن الصيغة القومية . ومطلوب ان يرسخ فى جميع الاذهان أن هذه العلاقة هى علاقة مشاركة وقد تحدث فى المشاركة خلافات فى وجهات النظر،

ويكون التغلب عليها بالوصول إلى موقف عربى واحـــد معبر عن الإرادة الجماعية القومية وليس بالانفراد وما يتلوه من شقاق .

تحديد دقيق للشعار الذى رفع منذ نكسة ١٩٦٧ حول الحفاظ على حقوق شعب فلسطين بحيث يكون مفهوما أن هذه الحقوق هى حقوق كل شعب فلسطين وليس الضفة العربية وقطاع غزة فقط ، فهى تتعلق بجميع أراضى فلسطين وليس بتلك التى احتلت عام ١٩٦٧ فحسب وهذا التحديد الدقيق لا يتنافى مع إمكانية التقدم التدريجى لبلوغه الهدف الاستراتيجى النهائى . وهو فى الوقت نفسه يمنع من التحول عن الهدف الاستراتيجى إلى أهداف ومارب جانبيه تضيع الحق وتفرط بالوطن .

تحديد المدى الزمنى الذى يمنح خلاله التحرك السياسى فرصته كى لا يحدث الركون لأسلوب الخطوة خطوة الذى قد يستغرق سنوات طويلة قبل أن يصل بنا إلى ما نريد، ويكون عدونا قد خرج مما اسماه السنوات العجاف .

إن الحاجة إلى مؤتمر قمة عربى باتت ملحة ، كما أن الحاجة

ملحة دوماً للاتصالات العربية الثنائية . ذلك أن الانقسام العربى لن يجدى، والصراع بين عرب وعرب هو تبديد للجهد مالم يكن من أجل الحفاظ على الحق . ولعلنا بالنظرة المستقبلية نستطيع أن نتابع نضالنا العربى بهمة أعظم وتفاؤل اشد فنرفض القبول بالأمر الواقع والاستسلام له وننفذ السير فى طريق تحرير فلسطين وإعلان فلسطين الديموقراطية .

قضية فلسطين فى المرحلة الراهنة

وأمن وسلام آسيا

سنحاول فى هذه الكلمة معالجة موضوع « قضية فلسطين فى المرحلة الراهنة » أحد مواضيع هذه الندوة التى تبحث فى « أمن وسلام آسيا » .

ويهمنا بداية أن نرحب بفكرة هذه الندوة التى تعقد لأول مرة ، لأنها تضع نصب أعيننا هدف الأمن والسلام لشعوب آسيا . وإن مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية فى أعمالها لتعبر عن انشغال شعب فلسطين العربى وثورته الفلسطينية بقضايا السلام العالمى فى خضم نضاله المرير المتواصل لتحرير أرضيه من الاحتلال والاستعمار الإسرائيلى . ولكم يسعدنا أن نلتقى فى رحاب سمرقند بالاتحاد السوفيتى وهو البلد الذى يشدنا إليه وتجمعنا به روابط تاريخية وأهداف نضال مشترك .

إننا حين ننشغل مع شعوب آسيا بأمن وسلام قارتنا كجزء

من أمن وسلام العـــالم إنما نستجيب لحقائق الجغرافيا والتاريخ والأهداف الإنسانية لنضالنا .

فوطننا فلسطين الذى نناضل لتحريره أرض آسيوية . وهو كجزء من الوطن العربى الذى يمتد بجناحيه بين قارتى آسيا وأفريقيا يحتل موقعاً استراتيجياً كان وسيبقى على جانب كبير من الأهمية باعتباره ملتقى القارات الثلاث .. أى فى قلب العالم القديم . . وقد أهّل هذا الموقع فلسطين لتكون فى حالة الحرب احدى قلاع الدفاع عن آسيا فى وجه غزو خارجى.

ويكفى أن نشير هنا إلى مثل الغزو الصليبى الأوروبى والذى تحملت فلسطين والوطن العربى مسؤولية التصدى له فأوقفته عن التغلغل فى آسيا . كما أن موقع فلسطين جعلها فى الوقت نفسه إبّان استتباب السلم مجال لقاء وتفاعل للحضارات الإنسانية . وقد أغنى هذا المجال ما لفلسطين فى العالم من مكانة روحية رفيعة . ونشير هنا إلى طرق التجارة التى كانت تعبر أقطار آسيا لتصل إلى شطآننا فى فلسطين والشام ومصر .

والثورة الفلسطينية تعتز بتمثلها هذه الحقائق وبأنها على ضوئها

حدّدت لنفسها أهدافاً إنسانية تربط بين نضال شعبنا ونضال الأمة العربية جمعاء من أجل تحرير الأرض وصنع التقدم وبين شعوب العالم الأخرى فى سعيها نحو التحرر والتقدم والسلام . وقد وضح هذا الربط فى ميثاق منظمة التحرير ، كما نص البيان السياسى الصادر عن مجلسنا الوطنى فى دورته الأخيرة على بذل المزيد من الجهود لتحقيق تلاحم أقوى مع بلدان المعسكر الاشتراكى بصفته حليفاً لنضال شعبنا والأمة العربيـــة وتقدمها ومع قوى التحرر والتقدم فى العالم . ووضح هذا الربط عمليا من خلال مواقفنا وأعمالنا .

من هنا فان مشاركتنا فى العمل من أجل أمن وسلام آسيا بطرح قضيتنا إنما تأتى لأن قضية فلسطين جزء من أمن وسلام آسيا ونحن ندرك مدى التأثير المتبادل بين الجزء والكل . وما زالت أمثلته بارزة أمامنا وعلى الخصوص من خلال حروبنا الدفاعية ضد العدوان الإسرائيلى والاستعمارى أعوام ٥٦ و ٦٧ و ٧٣ ومن هذه الأمثلة التحرك الذى قام به الأسطول السابع الاميركى فى المحيط الهندى إبان حرب أكتوبر ٧٣ فى اتجاه مضيق باب المندب دعماً للعدوان الإسرائيلى .

اسمحوا لنا أن نمهّد لحديثنا عن « قضية فلسطين فى المرحلة الراهنة » بتقديم بعض الأفكار والملاحظات التى تتبادر إلى الذهن حول أمن وسلام آسيا .

١ — المكان الذى تحتله قارة آسيا فى عالمنا جغرافياً وتاريخياً وحضارياً ومستقبلا . فهى أكبر القارات وأكثرها سكاناً ، وفى ربوعها قامت وازدهرت أقدم الحضارات الإنسانية وساهمت فى التراث العالمى وإذا كانت آسيا قد عانت الكثير وتخلّفت بسبب الحروب التى نشبت بين شعوبها ثم بسبب الاستعمار الأوروبى القديم الذى تسلط على أجزاء واسعة منها ونهب ثرواتها ، فانها استطاعت بنضال شعوبها فى عالمنا المعاصر أن تحرر جلّ الأجزاء المستعمرة وأن تنهض من جديد. وهى تعمل الآن بجد للتغلب على مشكلات التخلف وللانطلاق لصنع التقدم . وواضح أن أمام شعوبها أفاقاً رحبة لبناء مستقبل أفضل جماء . وإذا كانت آسيا مصطلحاً جغرافيا فانها اليوم أيضاً مدلول حضارى بما بين شعوبها من روابط كثيرة .

٢ — إن الثورة الفلسطينية كجزء من النضال العربى تنطلق فى تفكيرها بأمن وسلام آسيا من كونهما جزءاً من أمن وسلام عالمنا الذى أصبح بثورة العلم والمواصلات عالماً واحداً ، والذى تجمع

صفة الإنسانية بين شعوبه فى مختلف القارات . فضمن النضال من أجل هذا الهدف الكبير يقع نضالنا من أجل أمن وسلام آسيا ، ونضال أخوتنا من شعوب أفريقيا من أجل أمن وسلام قارتهم . وإذا كانت بعض شعوب أوروبا قد غفلت عن هذا المنطق حين طرحت قضية الأمن الأوروبى ، فان الممارسة العملية أكدت ألا بديل لها عنه . وأوصلت إلى الدعوة للحوار والتعاون بين أوروبا وشعوب أخرى . وها نحن نتابع اليوم تجربة الحوار العربى الأوربى بعد تجربة الحوار السوفييتى الأوربى الناجحة ونسهم فيها من منطلقاتنا .

٣ — لا بد إذن من قيام تعاون بين شعوب آسيا لبلوغ الأمن والسلام فى قارتهم. ولابد أيضاً من قيام تعاون بينهم من جهة وبين شعوب القارات الأخرى لدفع خطر الفناء بالحرب النووية وبلوغ السلام القائم على العدل ، ولمحاربة الفقر والجوع وتبديد الثروات كى يعم الرخاء جميع الشعوب، وتزول الهوة القائمة بين الشعوب الغنية والشعوب الفقيرة . وإننا كعرب نستشعر بحكم موقع بلادنا وتاريخنا أن علينا واجباً كبيراً فى تحقيق التعاون بين آسيا وأفريقيا على الخصوص ومن ثم مع شعوب أوروبا ونشير فى هذا المجال

إلى التجربة الغنية التي يقدمها التعاون السوفيتى — العربى من أجل السلام وبناء التقدم .

٤ — إن توجه شعوب آسيا للتعاون مع شعوب العالم لتحقيق السلام والرخاء لا يمكن بحال أن يكون على حساب نضالها العادل لطرد الاستعمار من آسيا وأينما وجد . وعليها أن تتعاون على دعم حركات التحرر .

٥ — من الواضح أن هناك مشكلات قائمة تعكر صفو شعوب آسيا وتهدد أمنها وسلامها . ويمكننا أن نميز بين نوعين من هذه المشكلات .

— فهناك المشكلات القائمة بسبب عدوان استعمارى من خارج القارة .

— وهناك المشكلات القائمة بسبب سوء العلاقات بين أقطار آسيوية .

٦ — فى مواجهة المشكلات القائمة بسبب عدوان استعمارى لا بد أن تتكاتف جميع شعوب آسيا لضرب هذا العدوان ، ولمنع أى تدخل خارجى فى أقطار آسيا . وهذا يعنى أن تقاوم هذه الشعوب الأحلاف الاستعمارية . وتجدر الإشارة هنا إلى أن تعاون

آسيا وقارات أخرى مع شعب فيتنام العظيم فى نضاله ضد العدوان الأميركى كان له أثره الكبير فى ضرب العدوان . وسيكون له هذا الأثر فى كمبوديا وباقى أجزاء جنوب شرق آسيا .

إن هناك أجزاء من آسيا لا تزال تعانى من العـــدوان الاستعمارى ، ووطننا فلسطين منها مع أجزاء من أقطار عربية أخرى . وما زالت الصهيونية العالمية والإمبريالية تعملان لمزيد من العدوان باستمرار تهجير يهود أقطار أخرى إلى فلسطين وبالتشبث بالأراضى العربية المحتلة . وإننا إذ نسجّل تقديرنا الدعم الذى نتلقاه من شعوب آسيا لنثق بأنه سيقوى حتى نبلغ أهدافنا فى تحرير أراضينا .

٧ — وفى مواجهة المشكلات القائمة بسبب سوء العلاقات بين أقطار آسيوية لابد أن تنصب جهودنا لحل هذه المشكلات بالطرق السليمة والتفاهم المباشر .

وعلينا أن نعاون بعضاً البعض لحصر الخلافات والتقريب بين وجهات النظر المختلفة وصولا إلى حل هذه المشكلات . ومن الملاحظ أن أكثر أمثلة هذا النوع تتجسد فى مشكلات حدود هى من

بقايا الاستعمار الأوروبى الذى عمد حين طردته ثورة التحرير إلى تجزئة مستعمراته قبل خروجه منها وانشغالها بمشكلات الحدود وينبغى التفكير بصيغ عملية تحقق هذا التعاون لتحسين العلاقات بين أقطار آسيوية .

٨ — إن أمن وسلام آسيا مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتقدمها . ومن هنا ينبغى أن يقوم تعاون فعّال بين شعوب القارة لتحقيق التقدم فيها والإسراع فى التنمية ، حتى تلحق بركب الدول المتقدمة وتدفع عن نفسها شبح الفقر . ولابد أن يستفيد هذا التعاون من ثروات آسيا ، وأن تستثمر النسبة الأكبر من هذه الثروات لصالح شعوب القارة . ونشير هنا إلى أن ضمان استمرار العلاقات بين شعوب آسيا وتطورها يكون فى قيام هذه العلاقات على أسس تبادل المصالح والنضال من أجل أهداف مشتركة .

٩ — لقد كانت المحيطات والبحار التى تحيط بقارة آسيا مسرحاً لحروب طاحنة ، كما كانت مجالا لتفاعل شعوب آسيا وشعوب العالم فى النطاق الحضارى ولقد آن الآوان لاستتباب السلام فى هذه المحيطات والبحار من أجل تقدم الحضارة . ومن هنا فإننا

ندعو إلى نزع الأسلحة البحرية منها ، وخصوصاً فى المحيط الهندى والبحر المتوسط ، ونتطلع لانتعاش التجارة على شواطىء آسيا ، ولتصفية القواعد البحرية العدوانية والجيوب الاستعمارية الباقية .

* * *

ونأتى للحديث عن « قضية فلسطين فى المرحلة الراهنة » . وقد وضح لنا أنها إحدى المشكلات الهامة القائمة فى آسيا بسبب عدوان استعمارى .

ما دمنا نتحدث عن مرحلة راهنة يحسن بنا أن نتفق على تحديد لها . وتقسيم الأحداث والتاريخ إلى مراحل عمل اصطلاحى يستهدف تسهيل البحث .

يمكننا أن نتخذ حرب أكتوبر ١٩٧٣ بداية للمرحلة الراهنة . فقد جاءت الحرب لتكسر حالة اللاحرب واللاسلم التى حاولت إسرائيل استمرار فرضها على العرب بعد عدوانها فى يونيو ١٩٦٧ واحتلالها أراض عربية واسعة ، لتبقى على هذا الاحتلال . وجاءت الحرب لتطرح معطيات جديدة فى الصراع العربى الإسرائيلى .

وواضح أن سلسلة الأحداث التى بدأت بحرب أكتوبر لم

تنفته . وقد حفل العام الذى تلا نشوب القتال بالكثير منها . فكان منها تتالى الاشتباكات على جبهة قناة السويس حتى أبرمت اتفاقية فصل القوات بين مصر وإسرائيل أوائل هذا العام . وكان منها حرب الاستنزاف التى خاضتها سوريا فى جبهة الجولان ، إلى أن تمّ إبرام اتفاقية فصل القوات بين سوريا وإسرائيل فى نهاية شهر مايو الماضى . وقد فرضت الاتفاقيتان على إسرائيل أن تنسحب من الأراضى العربية المحتلة . وكان من هذه الأحداث استمرار مقاومة شعبنا للاحتلال وقيام الثورة بمجموعة عمليات هامة داخل الأرض المحتلة . . كل ذلك فى مواجهة تشبث إسرائيل باحتلالها الأراضى العربية .

ومع أن حرب أكتوبر لم توصل إلى تحرير الأراضى العربية ، إلا أنها حققت نتائج هامة على كافة مستويات نضالنا العادل. وهيّأت بذلك مناخاً أفضل لمتابعة هذا النضال وفرض انسحاب إسرائيل من الأراضى العربية المحتلة .

ويمكننا أن نشير بإيجاز للدرس الذى لقّنته الحرب للعدو الإسرائيلى الذى بلغ به الصلف والعدوان مبلغاً ، وللتناقضات التى تفجّرت داخله . كما نشير إلى ما حققه التعاون بين مصر وسوريا

والمقاومة الفلسطينية والدعم الذى قدمته دول عربية أخرى ،ووقوف الدول الصديقة فى المعسكر الاشتراكى وفى العالم الثالث أجمع ، وقد أثمر ذلك كله انتصاراً معنوياً للعرب . ونشير أيضاً إلى ما وضح من إمكانية إخضاع التناقضات الثانوية بين الأنظمة العربية لصالح تناقضها الرئيسى مع العدو الصهيونى الأمر الذى أوصل إلى موقف عربى مؤثر فى الساحة الدولية .

ولقد كشفت الحرب مرة أخرى العلاقة الوثيقة بين إسرائيل والولايات المتحدة الأميركية التى أقامت جسراً جوياً لإمداد إسرائيل بأسلحة العدوان .

هام جداً ونحن نتحدث عن هذه المرحلة الراهنة أن نربطها بمراحل القضية السابقة لها ، وأن نرى موقع حرب أكتوبر من الصراع العربى الإسرائيلى ولقد تتالت أحداث قضية فلسطين منذ ما يقرب من قرن حين بدأت الحركة الصهيونية بتهجير يهود أوروبا إلى فلسطين منذ عام ١٨٨١ ،ومرت الغزوة الصهيونية بمراحل التسلل والتغلغل منذ عام ١٩١٧ الذى صدر فيه تصريح بلفور والغزو بعد أن شنّت حرب ١٩٤٨ والتوسع منذ حرب ١٩٦٧ . وقد عمدت عبر هذا المراحل إلى اغتصاب الأراضى العربية فى فلسطين والتوسع

استجابة لأهداف وأطماع لإقامة إسرائيل الكبرى كدولة عنصرية فاشية وتهجير يهود العالم إليها . وفى مواجهة هذا العدو تتابع نضال شعبنا ضد الصهيونية والاستعمار ، واستطاع أن يحقق تحرر أراض عربية نالت استقلالها وأن يصل لتحقيق نصر مبدئى فى أكتوبر الماضى . ونلاحظ أن مقاومة شعبنا تصاعدت مرة أخرى منذ حرب ١٩٦٧ فى إطار الثوره الفلسطينية واستطاعت أن تشدّ إليها أنظار أحرار العالم .

وننظر فى المرحلة الراهنة فنجد أن هناك مساع دولية لبلوغ تسوية لقضية فلسطين بتطبيق قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ تحقق انسحاب إسرائيل من الأراضى العربية المحتلة عام ١٩٦٧ وتلبّى الحقوق المشروعة لشعب فلسطين. ولقد تجاوبت الدول العربية مع هذه المساعى ، كما حرصت منظمة التحرير الفلسطينية على إدراج قضية فلسطين فى جدول أعمال الأمم المتحدة وصولا إلى قرار دولى يعالج القضية باعتبارها قضية شعب ووطن، لأن قرار ٢٤٢ نظر إليها كقضية لاجئين . وهام جداً النظر إلى أصل القضية .

وفى الوقت نفسه نجد أن إسرائيل تعمل بكل الأساليب لتعطيل هذه المساعى وتقاوم بشدة طرح القضية على الأمم المتحدة

وتحاول بنفس الوقت أن تضغط مع الولايات المتحدة لإبرام تسويات ثنائية وجزئية مرحلية لتفتت وحدة النضال العربى . ونراها تتوجه لمزيد من التشدد والتطرف عبّرت عنه برامج الأحزاب الإسرائيلية فى الانتخابات التى جرت فى مطلع هذا العام ، ويعبّر عنه يومياً الإرهاب الإسرائيلى فى الاراضى المحتلة حيث امتلأت سجون إسرائيل بالمعتقلين من العرب يقاسون أنواع التعذيب . ومن آخر هذه الأمثلة اعتقال رجل الدين المطران كبوجى ومحاكمته . ولا تزال إسرائيل تعمل على تهجير مزيد من يهود العالم إلى وطننا فلسطين ، وترفض الاعتراف بوجود شعب فلسطين وتصرّ على تجاهله فى أية تسوية ، وتتابع المؤسسة العسكرية استكمال تحويل إسرائيل إلى ثكنة مسلحة لتلبى نزعاتها العـــدوانية ولتخدم الامبريالية العالمية . كما تتابع عدوانها على الأراضى العربية فى لبنان .

إننا فى مواجهة ذلك كله ومع حرصنا على التجاوب مع المساعى الدولية لا يسعنا إلى أن نتابع نضالنا العادل مع أشقائنا العرب لصدّ هذا العدوان الإسرائيلى المستمر . وستستمر ثورتنا تحارب الحركة الصهيونية الاستعمارية وأهدافها العنصرية ، وصولا إلى تحرير

أراضينا و إقامة دولة ديموقراطية فى فلسطين . ونحن إذ نرفع هـذا الشعار نسجل اعترافنا بحق كل يهودى فى العيش فى وطنه بما فى ذلك يهود الوطن العربى وندعو ونناشد جميع شعوب وحكومات العالم المحبة للسلام وكافة قوى التحرر والتقدم فى العـــالم استمرار النضال ضد نشاطات الصهيونية العالمية لتهجير المزيد من يهود العالم إلى فلسطين المحتلة ، وضد محاولة الصهيونية مع الولايات المتحدة الأميركية التدخل فى الشؤون الداخلية لدول أخرى فيها مواطنون يهود .

إن منظمة التحرير الفلسطينية لتثق بفهم شعوب آسيا لنضال شعبنا وللنضال العربى، ولتثق أيضاً بتعاوننا جميعاً لتحرير أية أرض آسيوية من الاستعمار ولاستتباب الأمن والسلام فى ربوع القارة .

كيسنجر

وسياسة القوة السلبية »

وحكم التاريخ

جولة أخرى جديدة قام بها فى منطقة الوطن العربى وزير الخارجية الأميركى خلال هذا الشهر ، حاول فيها إطالة عمر خطته المرحلية فى معالجة الصراع العربى الإسرائيلى .. وهى الخطة التى تلوح بالتسويات الجزئية وتقوم على مقولة « أمكان التقدم نحو السلام تسويات جزئية » .

وقد جاءت جولة كيسنجر هذه المرة للمنطقة بعد أن أطلق تصريحاته عن احتمال استخدام الولايات المتحدة القوة مع الدول العربية المنتجة للنفط والتى تضمنت تهديدات باحتلال أراضى هذه الدول فى حالة حدوث ما أسماه باختناق فى الاقتصاد الأميركى . كما جاءت هذه الجولة بعد أحداث أخرى هامة حدثت منذ جولته الأخيرة قبل ثلاثة شهور ، ومن أبرز هذه الأحداث خطاب فلسطين فى الأمم المتحدة وقرارات الجمعية العامة الجديدة بشأن فلسطين

ورفض الاتحاد السوفياتي اتفاقية التعاون التجارى مع الولايات المتحدة وتدهور الموقف جنوب شرق آسيا .

بمناسبة هذه الجولة الجديدة تثار مجموعة أسئلة نحاول الإجابة عنها واحداً واحداً .

سؤال أول عن طبيعة هذه السياسة الكيسنجرية تجاه الوطن العربى التى تجمع بين استخدام أساليب الدبلوماسية الهادئة والدبلوماسية السرية وبين التلويح العلنى بالقوة الغاشمة .

* إننا كلما أمعنا النظر فى هذه السياسة نجد أنها صورة جديدة من سياسة « القوة السلبية » التى مارسها عتاة الرجعيين فى أوروبا إبان القرن التاسع عشر .

وسياسة « القوة السلبية » هذه تقوم — كما هو واضح من إسمها — على تسخير القوة الغاشمة لتحقيق هدف سلبي هو كبت تفاعل المتغيرات والأبقاء على الأوضاع الراهنة أطول مدة ممكنة وخنق القوى الجديدة وحركات التحرر التى تعبر عنها ومنع التقدم . وقد اشتهر كرمز لهذه السياسة فى القرن الماضى مستشار الإمبراطورية النمساوية « مترنيخ » .

ونلاحظ أننا حين نتحدث عن سياسة كيسنجر يتداعى لخاطرنا ذكر « مترنيخ » . وهذا التداعى يفسره أمران : أولهما ما نعرفه عن تأثر وزير الخارجية الأمريكى بشخصية مستشار النمسا من خلال دراسته لسياسته حين كان يعدّ أطروحته عنها . والأمر الآخر هذه اللغة التى استخدمها كيسنجر فى تهديداته لدول النفط ، وهى لغة تبدو غريبة شاذة فى السبعينات من القرن العشرين مجافية لروح العصر لأنها تحاول أرجاع ما اندثر من تعبيرات السياسة الدولية فى القرن التاسع عشر .

إن هذا التداعى يغرينا باسترجاع تاريخ مترنيخ لنتعرف على ممارسته سياسة « القوة السلبية » إنطلاقا من أن التاريخ ، وإن كان لا يعيد نفسه ، إلا أنه يقدم الدرس والعبرة . ومن بين صفحات كثيرة كتبت عن سياسة مترنيخ نقتطف ماقاله جرانت وتمبرلى المؤرخان البريطانيان فى تاريخهما عنه .

* « كانت أهدافه واقعية فى بساطة وقسوة ، وإن أخفاها

بكثير من الحذق تحت ستار من العبارات الرنانة . وقد اعتقد أن أول ماينبغى عمله بعد أن أمسك بزمام القيادة بين يديه هو سحق الروح التحررية . وكان سبيله لذلك التحكم فى الصحافة وإرهاب الجامعات وكبت حرية الرأى وامتلاك أداة بوليسية قوية راح يستخدمها دونما رحمة أو هوادة » .

* « كان مترنيخ يذهب فى تفسيره لميثاق التحالف الرباعى إلى أن هذا الميثاق يلزم أعضاءه بالتدخل المسلح لقمع الثورة الداخلية فى أى بلد إذا رأى المؤتمر ذلك . بينما اختلف تفسير كاسلرى للميثاق فرآه غير ملزم . (وكاسلرى هو وزير خارجية بريطانيا آنذاك والتحالف الرباعى أبرم بعد سقوط بونابرت بين دول أوروبا الكبرى آنذاك) » .

* « اندلعت الثورة فى أوروبا عام ١٨٤٨ . . وفى ١٢ مارس توجه الطلاب والاساتذة فى فيينا على رأس مظاهرة إلى الإمبراطور وفى اليوم التالى وقع صدام بين الغوغاء والجند انتهى بانضمام الجند إلى صف الثورة فاستقال مترنيخ فى تلك الليلة . وهرب من البلاد وهو يتصايح — أو هكذا يقولون — بأن الطوفان آت من بعده .

لقد كان لهروبه مغزى فائقا ، فقد جاء علما على أن الحقبة هى حقبة انتصار الثورة ، فها هو أقوى رمز للرجعية يسقط لدى أول لمسة من لمسات الثورة ، وها هو ذا الرجل الذى كمم الصحافة طول ثلاثين عاما وأرهب البرلمانات أو حطمها تحطيما وسجن الثوريين فى شتى أرجاء أوروبا الوسطى يطارد من عاصمته بل من القارة الأوروبية كلها يلاحقه إزدراء العالم ولعناته » .

ونعود إلى الحاضر لنتعرف على سياسة « القوة السلبية» فى صورتها الجديدة كما يمارسها كيسنجر . فنرى أن وصف أهدافها « بالواقعية فى بساطة وقسوة » يصدق تماما مع تطور أساليبها بحكم عامل الزمن . ونجد أن العبارات الرنانة لازالت تستخدم لتخفى هذه الأهداف . وقد باتت التصريحات الكيسنجرية نموذجا للحذق فى استخدام العبارات الملتوية المضللة . كما نجد ذلك النزوع للتدخل المسلح الذى مارسه كيسنجر فى فيتنام ونصح به — على الأرجح — فى تشيلى وهدد به موخراً فى الوطن العربى بعد أن مارسه إبان حرب رمضان عبر جسر جوى بين الولايات المتحدة وسيناء . والمتابع لأحاديث

كيسنجر يلاحظ أيضا وكأن لسان حاله فى معالجته للقضايا «من بعدى الطوفان»، فهو حريص على تهدئة المشكلات بالمسكنات وبالتخدير، ولا يشغله كثيرا معالجة أصولها. ولقد كرر فى أكثر من تصريح حول مشكلة الصراع العربى — الإسرائيلى أن ما يهمه هو تهدئة التوتر فى المنطقة لبضع سنوات .

* * *

ويثور سؤال ثان عن « الأوراق » التى بقيت فى يد كيسنجر وطرحها فى جولته الجديدة .

والحق أن استرجاعنا لدبلوماسية كيسنجر فى المنطقة منذ حرب رمضان يوضح لنا أن الكثير من أوراقه التى استخدمها بطل مفعولها . ويبدو لنا أنه لم يبق فى يده الاورقة واحدة يطرحها . وهى أن يتقدم بعرض محدد لتسوية جزئية تكون مقبولة للاطراف المعينة وتمد فى عمر خطته المرحلية قبل أن يحكم عليها بالفشل الكامل وتدفن .

ومع أن كيسنجر عمد فى تصريحه الصحفى الذى أعلن به عن جولته الجديدة إلى عدم كشف أوراقه على طريقة المقامرين وتمشيا مع أسلوب العبارات المضللة فقال « إنه لا يعتزم أن يتوصل من

خلال جولته القادمة إلى تسوية للمشاكل المعلقة ، وأن رحلته ستكون رحلة استطلاعية تهدف إلى الحصول على انطباعات مباشرة من خلال اجتماعاته مع زعماء الدول العربية واسرائيل » ، إلا أن طلب الحصول على انطباعات مباشرة لا يكون إلا من خلال شيء يعرضه هو. وليس خافيا أن دبلوماسيته السرية انشغلت باعداد هذا الشيء وانضاجه خلال الشهور الثلاثة الماضية . ولقد جاءت جميع تصريحاته أثناء جولته ضمن أسلوب العباراتِ المضللة .

ولقد ترددت جملة أخبار عن الخطوط الرئيسية للعرض الكيسنجرى الجديد، وهى فى محصلتها لاتخرج عما هو متوقع من خطة كيسنجر المرحلية التى تحاول تحقيق أهداف السياسة الاميركية فى المنطقة عن طريق اقناع إسرائيل وتسكين الغضب العربى كسبا لمزيد من الوقت ومحاولة لتفجير التناقضات العربية .

ويبدو لنا أن عملية اقتناع زعماء اسرائيل بتسوية جزئية جديدة أوشكت أن تتم . وقد ورد تعبير « كسب الوقت » فى تصريح لرابين وهو يشرح رأيه فى سياسة كيسنجر وخطته المرحلية . فهو يرى أن الخروج من الوضع الكئيب الراهن الذى جثم بعد حرب

رمضان بسلام لايكون الا بكسب الوقت لفترة تمتد سبع سنوات يسميها السنوات السبع العجاف وهى فى تقديره الفترة التى يحتاجها العالم الحر لكى يتحرر من الارتباط بالنفط العربى . ويرى أن خطة كيسنجر تمكن الحد من النفوذ السوفييتى فى المنطقة ، وهو أمر يتفق مع مصلحة اسرائيل الملحة والعملية . ولكن اسرائيل مع ذلك ستجعل همها التفنن فى ممارسة سياسة المساومة والابتزاز ثمنا لقبولها بتسوية جزئية أخرى .

أننا نتوقع أن يرمى كيسنجر بكل ثقله لتفوز ورقته الباقية ، لأن ما جدّ من أحداث خلال الشهور الثلاثة الماضية وأهمها أوضاع بلده الداخلية ، وما ظهر من صدع فى سياسة التفاهم وتردى الوضع فى الهند الصينية والتأييد العالمى للثورة الفلسطينية ، وما بان قبل ذلك من خطر تفجر أوضاع المنطقة يهدد مركزه السياسى وينذر بقرب سقوطه . ولكن ماذا بعد فوز هذه الورقة الباقية ؟ سيكون الجواب حافلا بالتشاؤم إذا لم يغير كيسنجر من منهجه ويأخذ بعين الاعتبار أصل القضية .

* * *

ونختار سؤالا أخيرا من الأسئلة التي تثور عن حكم التاريخ على سياسة « القوة السلبية » ونتائجها .

• ولقد أوجز جرانت وتمبرلي هذا الحكم بقولهما عن مترنيخ بمناسبة سقوطه : « تكررت باختفاء مترنيخ والنمسا القديمة عام ١٨٤٨ النهاية المعروفة لسياسة « من بعدى الطوفان » لقد كان النظام الذى أقامه مترنيخ جديراً بالإعجاب إذا نظرنا إليه كقوة سلبية ، ولكن مثل هذا النظام لا يمكن أن يدوم أبداً . وبسقوط مترنيخ انهار البناء المتعفن الذى نخره السوس من أساسه ليأتى بعده بناء جديد » .

ونلاحظ أن سياسة كيسنجر القائمة على القوة السلبية قد نالت اعجاب الكثيرين ممن رأوها تهدىء التوتر . ولكن هذا الإعجاب بدأ يتضاءل مع تجدد التوتر واستشراء الداء الذى لم تعالجه المسكنات وإنما خدرت آلامه . والذين يمارسون القوة السلبية لابد أن ينتهوا دون أن يدخلوا التاريخ . وتبقى مسؤوليتنا كأمة عربية أن نتابع النضال لنعالج مشكلة الصراع العربى — الإسرائيلى من جذورها .

ماذا نكتب فى الصفحة الجديدة ؟

إعلان فشل كيسنجر فى تحركه الأخير ضمن سياسة « الخطوة » هو إيذان بطى صفحة جديدة من كتاب الصراع العربى الإسرائيلى بعد حرب رمضان .

ماذا نخط نحن العرب فى الصفحة الجديدة على طريق بلوغ تحرير فلسطين ؟

ذلك هو السؤال الملح اليوم .

وللاجابة لا بد لنا من الوقوف عندما كشفت عنه الصفحة المطوية ، نستخلص منه الدرس والعبرة .

• أول ما يلفت نظرنا فيها ذلك الصدع الذى أصاب الموقف العربى الواحد بفعل تحرك وزير الخارجية الأميركى وطرحه سياسة « الخطوة بعد الخطوة » ، وما تلبد فى سماء العلاقات العربية من غيوم سوداء صنعتها الشكوك التى اقترنت بمواقف الدول العربية المعينة من هذه السياسة . ويكفى أن نلاحظ ما أصاب العلاقات المصرية السورية خلال الشهور الأخيرة والعلاقات الفلسطينية المصرية لنرى مقدار

ما وصل إليه الصدع بين العناصر الثلاثة التى صنعت الموقف العربى الواحد فى حرب رمضان . ولقد أثرّ هذا الصدع على العلاقات العربية عامة - كما هو متوقع - فبدت مجموعة عقد فيها بحاجة إلى حل . ومطلوب الآن بإلحاح مع بداية الصفحة الجديدة أن نرأب هذا الصدع ونحل هذه العقد .

• أمر ثان يلفت نظرنا ونحن نطالع الصفحة المطوية هو ما اتضح من اتفاق على الهدف وعلى الحدود التى يجب عدم تجاوزها فى التحرك السياسى بين الأطراف العربية التى اختلفت حول الموقف من سياسة كيسنجر . وهذا يعنى أن الاختلاف محصور بينها حول الأساليب ، وإذا كان هذا الاختلاف حول مدى التجاوب مع التحرك الأميركى قد عمقّ الصدع فى العلاقات بينها ، فإن فشل هذا التحرك يؤكد اتفاقها على الهدف الاستراتيجى والأهداف المرحلية وعلى حدود تحركنا السياسى التى ينبغى ألا نتخطاها . ولاشك فى أن وضوح هذه الحقيقة بما يمثله من تبديد للشكوك التى برزت ، سيكون عاملا حاسما فى عملية رأب الصدع وحل العقد . ومطلوب الآن بإلحاح أن ينجح العمل العربى الموحد فى تحقيق الاتفاق العربى على الأساليب كى لا تتكرر المتاعب التى أورثها الاختلاف عليها .

• أمر ثالث يتعلق بدور الولايات المتحدة الأميركية فى الصراع يلفت نظرنا ونحن نتأمل ما جرى . فلقد وضح تماما حجم تأثير ومقدار قدرة الولايات المتحدة على تحقيق تسوية سياسية عادلة للصراع من خلال « إقناع » إسرائيل أو « الضغط » عليها . وثبت بالدليل القاطع أنها فى المرحلة الراهنة عاجزة عن بلوغ ذلك . وهذا يعنى أن « تجربة » الوصول لحل عادل من خلال الولايات المتحدة قد بلغت مداها وتأكد فشلها . ولابد من ملاحظة أن وجهة النظر التى قالت بانتهاج هذه السياسة فى الوطن العربى كانت تركز نظرها على العلاقة العضوية بين الولايات المتحدة وإسرائيل فترى إمكانية أن تقوم القوة الأكبر بالضغط على « التابع ». ولكن وضح أن ما يحكم هذه العلاقة العضوية عوامل أكثر تعقيدا من بينها مدى تأثير « التابع » داخل « القوة الأكبر » من خلال تنظيماته الصهيونية التى تلعب على تناقضات كثيرة يعانى منها « الكبير » . ومن بينها أيضا أهداف السياسة الأميركية فى منطقة الوطن العربى .

ولقد بانت حقيقة ما تهدف إليه أساليب السياسة الكيسنجرية حين انتهجت « الخطوة بعد الخطوة » فتأكد أنها موظفة لخدمة تلك الأهداف ونابعة منها . وإذا كان وزير الخارجية الأميركى

قد تبنى فكرة اجتذاب مصر فى محاولة لطى صفحة الخلاف التى كتبها نضال الثورة العربية ضد التحالف الاستعمارى الصهيونى ، فإنه وظَّف هذه الفكرة لعزل مصر و « شق العرب عربين » - كما يقول مثل شعبى - ولإقامة محور فى مواجهة محور آخر . وبالطبع فإن فشل تحركه الأخيرة هو تعبير فى الوقت نفسه عن عدم نجاحه بعد فيما هدف إليه مع الاعتراف بأنه نجح فى تعميق الصدع فى الموقف العربى الواحد .

إن « فشل » تجربة الوصول لحل من خلال الولايات المتحدة ، لا يعنى أنه ليس لها دور تسهم فيه مع قوى أخرى دولية فى الوصول لحل . وهذا يعنى ضرورة قيام العمل العربى بدراسة للعلاقات العربية الأميركية تأخذ بعين الاعتبار هذه الحقيقة وحقيقة التصادم القائم بين حقوقنا فى وطننا ومصالحها فيه . ومطلوب الآن بإلحاح وإلى حين رسم سياسة عربية واحدة تجاه الولايات المتحدة ألا نجرى وراء « سراب أميركى » ونلتفت إلى « بيتنا » العربى نحوله لقلعة منيعة .

• الأمر الأخير الذى تكشف عنه الصفحة المطوية خاص بالعدو الإسرائيلى . فقد ظهرت بجلاء الحالة العقلية والنفسية التى تتلبس

العدو فى هذه المرحلة ومنذ حرب رمضان . فهى عقليا حالة من التحجر الفكرى يسيطر فيها العجز عن تصور لأى خروج من الواقع القائم . وهى نفسيا حالة من النزوع إلى التشدد والتطرف هربا من تصور المستقبل وتبريراً للتحجر الفكرى .

صور كثيرة لهذه الحالة التى نجد عليها العدو برزت خلال تحرك كيسنجر . ويكفى أن نتذكر تصريحات رابين وألون وبيريز . ولسنا هنا فى مجال التفصيل ، ولكن ما يهمنا هو الأسلوب الذى تفرزه هذه الحالة وتطبع به السياسة الإسرائيلية فى التعامل مع الصراع .

إنه أسلوب « المساومة والابتزاز » وعدونا لايضيق من تسميته باسمه بل نراه يجاهر فى تصريحات قادته بتعبير « لمساومة » . وذلك نابع من « القيم » الدنيا التى تحكم العقلية الصهيونية ولقد عانينا خلال الشهور الماضية من سماع حديث العدو وهو « يساوم » ومن متابعة مساومته . ومعاناتنا نابعة من « قيم » عليا تحكم عقليتنا وتقدس « منطق الحق والضمير » ، الأمر الذى أرهقنا ونحن نمدّ للعدو فى مساوماته حتى ينكشف تماما .

وعلى الرغم من فشل كيسنجر الأخير فعلينا أن نواجه حقيقة أن أسلوب العدو هذا لم ينته ، فهو يتهيأ لجولة أخرى يمارسه فيها قبل وعند انعقاد مؤتمر جنيف . وإذا كانت معاناتنا من هذا الأسلوب قد أثرت على تعميق الصدع فى الموقف العربى ، فإن علينا أن نتنبه للجولة القادمة .

إن تفاعل حالة العدو العقلية والنفسية مع أسلوبه هذا سوف يجعل قيام الحرب أمراً حتميا . وذلك أمر منسجم مع طبيعة العدو كمستعمر مستوطن عنصرى . وذلك هو كما نكرر دوما قدرنا ونحن نجابهه .

ومطلوب الآن بإلحاح فى مواجهة هذه الحقيقة أن نتحرك سياسيا وعسكريا بعد رأب الصدع فى الموقف العربى .

قلنا أن قيام الحرب الخامسة أمر حتمى ، فصراعنا لم ينته بالحرب الرابعة - حرب رمضان — وإنما دخل مرحلة جديدة . وتوشك الآن نتائج الحرب الرابعة المباشرة أن تتحدد بعد فشل كيسنجر الأخير ، وستتحدد تماما فى مؤتمر جنيف . وكما يبدو فهى لن تقدم مايمكن أن يكون بديلا للحرب .

وحتمية نشوب الحرب الخامسة لا يعنى أنها ستكون قريبة جداً. فالحرب الشاملة شرائطها التى لا بد من توافرها . وهذا يعنى أن بيننا وبينها فترة مليئة بالإعداد العسكرى والسياسى، وهكذا نعود للسؤال الذى بدأنا به هذا الحديث .

ماذا نخط فى الصفحة الجديدة ؟ كيف نتحرك كى ننتصر فى الحرب الخامسة ؟

• إن أول المتطلبات تحرك عربى سريع لرأب الصدع فى الموقف العربى ، وحل العقد فى العلاقات العربية بهدف صنع الموقف العربى الواحد الذى يمكننا كأمة من الفعل ، ويكسب وجودنا أمام العالم معنى ونحن فى ظل التجزئة .

ولو نظرنا فى كيفية مباشرة هذا التحرك لوجدنا أن لمصر دورا يمكن أن تقوم به بأن تبادر فى الحركة وتتصل بالدول العربية لإزالة ما تبقى من الغيوم السوداء التى تلبدت فى سماء العلاقات العربية. ومبرر مصر واضح فى هذا التحرك حيث نالت نصيبا كبيرا من الشكوك . كما أنه منسجم مع مكانة مصر فى الوطن العربى ومكانها فى مواجهة العدو .

كما نجد لمنظمة التحرير الفلسطينية دوراً فى هذا التحرك وفى إتخاذ مبادرته . فطبيعة منظمة التحرير تجعلها تنطوى على معنى

الوحدة العربية والموقف العربى الواحد لما لشعب فلسطين من تفاعل مع أشقائه فى مختلف الساحات العربية ، ولما تمثله المنظمة من وحدة وطنية هى تعبير فى أحد وجوهها عن موقف عربى واحد وإيجابى وعلى الرغم مما شاب العلاقات بين مصر ومنظمة التحرير فى الآونة الأخيرة بعد بيان اللجنة التنفيذية فإن المنظمة قادرة على القيام بهذا الدور ، وعلى الخصوص فيما يخص تقوية العلاقات المصرية السورية .

وهناك دول عربية أخرى مؤهلة لبذل الجهد فى مجال المبادرة . ويبقى بعد أن تتحقق المبادرة أن يبذل الجهد للاتفاق الكامل على أساليب العمل العربى فى هذه الفترة لأننا لا نريد اختلافا فى التفسير يعيد « حليمة لعادتها القديمة » . وليتذكر من يتخوف التحرك السياسى على الصعيد العربى أن الضمان الوحيد لعدم التفريط فى هذه المرحلة هو الإجماع العربى لأنه لا أجماع حين يكون هناك تفريط .

* مطلوب أيضا فى هذه الفترة العمل عسكريا على مستويين أولهما استمرار مقاومة شعبنا داخل أراضينا المحتلة ، لتتتالى عمليات كعملية تل أبيب الأخيرة . وهذا يقتضى دعما عربيا ماليا وعسكريا وسياسيا وإعلاميا لمنظمة التحرير . وآخرهما استمرار الإعداد العسكرى عربيا

وتحقيق التنسيق اللازم ، وتنفيذ مقررات القمة بشأن صناعة التسليح العربية .

• مطلوب أخيراً تحرك سياسى عربى على الصعيد الدولى يتابع ماحققناه من تقدم خلال السنوات الأخيرة . وفى هذا المجال تلح ضرورة تعزيز الصداقة مع الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية ، ومزيد من الحوار مع أوروبا الغربية، ورسم سياسة مدروسة للعلاقات مع الولايات المتحدة الأميركية. كما تلح ضرورة طرح حلنا المتكامل لقضية فلسطين بما فيها موقفنا من اليهود والعرب ودمج اليهود فى أوطانهم ، وإنهاء التطابق بين الصهيونية واليهودية العالمية .

وآفاق العمل رحبة أمامنا لنكتب بالعمل صفحة جديدة تتقدم بنا على هدف التحرير .

إعادة تقويم السياسة الأميركية

لاتزال الولايات المتحدة منشغلة بإعادة تقويم سياستها فى منطقتنا . وبعد أن قطعت شوطا فى هذه العملية بقى عليها أن تسير الخطوات النهائية فيها التى من أهمها لقاء فورد برابين فى واشنطن خلال الأسبوع الثانى من هذا الشهر . ونلاحظ أن عملية إعادة التقويم شهدت فى بدايتها زيارة ألون لواشنطن ، وها هى تشهد فى نهايتها زيارة رابين ، وذلك انسجاما مع العلاقة الخاصة التى تربط الولايات المتحدة بالكيان الإسرائيلى .

مجموعة أسئلة تبرز فى هذه الآونة حول هذه العملية وماستسفر عنه ومواقفنا كعرب فى مواجهتها .

وبداية نقف أمام سؤال أولى نستشعر حاجتنا لمعرفة جوابه .

* لماذا حدثت عملية إعادة التقويم هذه ؟ ما الذى فرض على الولايات المتحدة القيام بها ؟

السبب المباشر لحدوثها هو فشل مهمة كيسنجر قبل ثلاثة

شهور . ولكن هذا السبب مرتبط بسبب أصلى هو الذى حكم على مهمة كيسنجر بالفشل. ولقد كان من الممكن للمحلل السياسى وهو يدرس السياسة الأميركية والعوامل المؤثرة فيها بعد حرب رمضان أن يتوقع حدوث هذه العملية لمعالجة هذا السبب الأصلى. وأذكر أنه حدث قبل عام بينما كيسنجر فى قمة نجاحه بعد إبرام اتفاقيتى فصل القوات فى الجبهتين الجنوبية والشمالية ، أن انشغلت بهذه الدراسة المستقبلية وسجلت فى كتاب « ماذا بعد حرب رمضان » فى معرض الحديث عن العلاقات الإسرائيلية الأميركية « أن الخط العريض لهذه العلاقات سيبقى كما هو مع حدوث تعديل بسيط جداً فى تفاصيل العلاقة واستمرار ضمان الولايات المتحدة لوجود إسرائيل وأمنها . وسيتفاقم التوتر بسبب ذلك فى المنطقة إلى حد سيفرض على الولايات المتحدة وقفة تراجع فيها حساباتها » .

أن السبب الأصلى هو أن الولايات المتحدة وهى تجد نفسها ملزمة بمحاولة إيجاد حل لقضية فلسطين تتجه إلى حل لا يتصدى لأصل القضية وإنما يتصدى لمبررات التوتر فيها . وطبيعى أن هـــذا الحل يتأثر بموقفى طرفى الصراع وبالمناخ الدولى عامة وبالواقع الذى تعيشه الولايات المتحدة على أرضها فى هذه الفترة .

ولقد توزعت السياسة الأميركية بفعل هذه العوامل مجتمعة فوقعت في تناقض أساسي . فهي من جهة تدعم إسرائيل إلى آخر مدى بالسلاح والمال وتتبنى المنطق الإسرائيلي في الحدود الآمنة ولا تعترض على أساليب السياسة الإسرائيلية القائمة على المساومة والابتزاز . وهي من جهة أخرى مضطرة أن تأخذ بعين الاعتبار مصالحها في الوطن العربي وتحاول إرضاء بعض الحكومات العربية التي ترتبط بها . وقد أوصلتها محاولة التوفيق بين هدفين متناقضين إلى الفشل الذي منيت به مهمة كيسنجر . وكان لابد لها من ثم أن تعيد النظر في سياستها وتراجع حساباتها وتباشر عملية إعادة التقويم .

• ماذا ستسفر عنه هذه العملية ؟

هذا هو السؤال الذي يبرز اليوم . والحاجة إلى الإجابة الموضوعية عليه ملحة كيلا يفجع أولئك الذين يتوقعون مفاجآت تحمل تحولات جذرية في السياسة الأميركية . ومثل هؤلاء موجودون بنسبة ليست ضئيلة في وطننا . وقد تكرر انتظارهم أكثر من مرة منذ نكسة ٦٧ . . ولعلنا نذكر موقفهم عند تولى نيكسون وزيارة سكرانتون للمنطقة، ثم عند زيارة نيكسون نفسه بعد حرب رمضان . وفي المرتين

اختلاط لدى هؤلاء تتبعهم للمتغيرات بالتفكير المتمنى فكانت خيبتهم قوية وفجيعتهم كبيرة .

أن الإجابة الموضوعية تنطلق من إدراك أن هناك عوامل محددة هى التى تصنع السياسة الأميركية . وهذا يعنى أن التغير فى هذه العوامل . وواضح أن هذا التغير حدث أثر حرب رمضان ، ومع ذلك فقد استغرق ظهور أثره على السياسة الأميركية عاما ونصف وتلك هى طبيعة السياسات فى الدول الكبيرة التى تعبر سياساتها عن مصالحها .

العامل الأول المؤثر على السياسة الأميركية تجاه الصراع العربى — الإسرائيلى هو الواقع الذى تعيشه الولايات المتحدة تعيش الولايات المتحدة على أرضها فى هذه الفترة . وهام جداً أن نتابع ما يجيش من تيارات فيها أن الولايات المتحدة تعيش ظروفاً دقيقة وسط هزيمتها فى الهند الصينية وخيبة أمل شعبها فى النظام السياسى كله أثر فضيحة ووترغيت وأخطاء السياسة الأميركية فى الداخل والخارج . وهى تعانى من مشاكل البطالة وأزمة اقتصادية فى داخلها، ومن ضربات انهالت على مواقعه وارتباطاتها الدولية . وبفعل ذلك

أصبح « المارد وهو يعانى ضغوطا شديدة من داخله ومن حوله » موزعا بين أكثر من اتجاه . إلى المبالغة فى استخدام قوته الغاشمة ليثبت لنفسه وللآخرين أنه موجود وأنه لا يزال فى عنفوان قوته . واتجاه إلى الانعزال تعبيرا عن خيبة الأمل . واتجاه إلى التوازن ووعى المتغيرات والانسجام معها . ولقد وضع كيسنجر حين تحدث عن أوضاع بلادة الداخلية احتمال « أن تفقد الولايات المتحدة الثقة فى نفسها وتشعر بأنها عاجزة مما سيؤدى إلى مبادرات متزايدة العداء مع الدول الاقل نموا . كما أوضح أن بلاده فى موقف داخلى غير عادى ، وعدد من الصعوبات الداخلية التى تواجهها مشكلة إعادة الوحدة فيها بعد انتهاء الحرب فى فيتنام ومشكلة تحقيق الوحدة الوطنية وإعادة السلطة للرئيس التنفيذى بعد أن سلبه الكونغرس جانبا كبيرا منها .

لا نتوقع أن يسود واحد من هذه الاتجاهات ، لأن المجتمع الأميركى يتوزع بينها جميعها . ولكن الذى سيحدث هو تراوح السياسة الأميركية بينها . فمع أن دعوة العزلة ليست منطقية وسط ظروف عصرنا ولا يمكن أن تنجح كما صرح فالدهايم فى محاضرة له القاها مؤخرا فى احدى الجامعات الاميركية إلا أن هذه الدعوة

ستؤثر فى كبح جماح الاتجاه الذى ينادى باستمرار قيام الولايات المتحدة بدورها كشرطى إرهابى فى العالم. وسيجد دعاة الاتجاه المتوازن صعوبات بالغة وسط ضغوط الاتجاهين. ومن هنا ستعانى السياسة الاميركية من تذبذب ومن تمييع. وسيزيد من هذه المعاناة أن الولايات المتحدة مقبلة على انتخابات جديدة فى العام القادم. أى أن المدى الزمنى المتاح أمام محاولات تغليب الاتجاه المتوازن هو مدى قصير جدا، الأمر الذى يعنى معاناة ضغط الوقت أيضاً.

إن اطرافا عدة تنتظر أن تقوم الولايات المتحدة بدور فى تحقيق تسوية للصراع القائم فى منطقتنا. والدور الذى كانت ولاتزال مؤهلة للقيام به هو الضغط على اسرائيل كى تنسحب من الأراضى العربية المحتلة، وذلك بحكم العلاقة التى تربطها بالكيان الصهيونى فهل ستكون الولايات المتحدة وهذا وضعها راغبة فى ممارسة هذا الضغط؟ ثم إن رغبت فى ممارسته فهل ستكون وهذا وضعها قادرة على هذه الممارسة؟

ولقد وضح على مدى عام ونصف بعد حرب رمضان أن السياسة الاميركية لم تكن راغبة فى ممارسة ضغط كالذى مارسه ايزنهاور

عام ١٩٥٦ ، وإنما اختارت القيام بدور الوسيط لاسرائيل . وربما أوصلها الفشل إلى الإقتناع بضرورة الانتقال بدورها من الوسيط إلى الضاغط . وهنا سيبرز السؤال الآخر عن مدى قدرتها .

والحق أن الأوضاع الداخلية التى عرضنا لها تقلل من هذه القدرة ، وإن لم تشلها تماما . ولـكن عاملا آخر يؤثر على السياسة الاميركية ليزيد فى تفاقم الاوضاع الداخلية ويقلل القدرة إلى آخر مدى ممـكن .

هذا العامل الثانى هو السياسة الاسرائيلية تجاه الولايات المتحدة والضغوط الصهيونية داخل الولايات المتحدة .

لقد جعلت السياسة الاسرائيلية فى مقدمة مشاغلها منذ حرب رمضان الوقوف فى وجه أى تحول محتمل فى السياسة الأميركية تفرضة المعطيات الجديدة ، ولجأت فى سبيل ذلك إلى عدة وسائل كان منها متابعة اقناع الولايات المتحدة نظريا وعمليا بأهمية الدور الذى تقوم به إسرائيل فى المنطقة لصالح الاستراتيجية الاميركية سواء فى مواجهة القوة العربية أو فى مواجهة السياسة السوفياتية .

وكان منها الالتفاف على أية محاولات أميركية للتأثير وضبطها والحد منها بتقديم قيادات إسرائيلية معروفة بميولها الاميركية للصفوف الأولى فى الحكم . وهكذا جاء اسحق رابين . وكانت الوسيلة الرئيسية هى التحرك الصهيونى داخل الولايات المتحدة للتأثير على السياسة الاميركية الخارجية بمختلف السبل ، وممارسة التهديد والابتزاز إن لزم الأمر.

من الواضح أن إسرائيل تركز على استخدام هذه الوسيلة فى هذه الفترة . ولقد نجحت فى التأثير على مركز نيكسون وتأخير عملية اعادة تقويم السياسية الاميركية فى المنطقة . وهى الآن ترمى بكل ثقلها لتنتهى عملية اعاده التقويم بابقاء السياسة الاميركية على حالها ، وإلا فسلب هذه السياسة القدره على الحركة . ومن هنا فإن مهمة رابين ستكون اقناع فورد بمختلف السبل الابقاء على الموقف الاميركى كما هو . وستكون مهمة قوى الضغط الصهيونية فى الولايات المتحدة إسقاط فورد إن لم يقتنع . ولقد رأينا كيف سبق لقاء فورد بالسادات فى سالزبورغ توجيه ٨٦ من أعضاء مجلس الشيوخ رسالة إلى فورد بدعم اسرائيل ،فضلا عن ضغوط أخرى كثيرة مورست عليه . ونلاحظ أن القيادات الاسرائيلية تدرك مدى تأثير هذه

الضغوط فى ظل الأوضاع الاميركية الداخلية . وقد وصف أبا أيبان وزير خارجية اسرائيل السابق الولايات المتحدة فى حديث له «أمامنا أميركا العصبية ، الأقل ثقة بنفسها ، والأقل سيطرة على مجرى التاريخ . إنها أميركا قصيرة النفس ، تنوء تحت ثقل حملها » . وهو ينصح حكومة اسرائيل بعد أن تقرر ماتريده أن تشرك حكومة أميركا وشعبها فى ذلك . وهذ هو نقده على سياسة رابين الذى قصر فى هذا الاشراك . ولابد من الوقوف أمام هذه العقلية الاسرائيلية التى تصر على أن القرار لها وحدها .

هناك عاملان آخران يؤثران على السياسة الاميركيه تجاه المنطقة عند اعادة التقويم نوجز الحديث عنهما .

فالعامل الثالث هو العلاقات الأميركية الدولية وعلى الخصوص بالاتحاد السوفيتى وأوروبا الغربية والعالم الثالث والصين . فالانفراج فى العلاقات الاميركية السوفياتية يقضى بالتفاهم حول المنطقة وقيام الولايات المتحده بدورها فى الضغط على اسرائيل . ومصالح أوروبا الغربية فى فتح القناة وانهاء التوتر فى المنطقة لضمان الطاقة تحت

الولايات المتحده على القيام بدورها وكذلك بحثها التخفيف من عداء العالم الثالث لها ومحاولة النفاذ لمنطقة الوطن العربى بأساليب جديده. ويمكن لهذه العامل فى محصلته أن يؤثر باتجاه معاكس لمصلحة اسرائيل ولكن قوته تبقى محدوده .

أما العامل الأخير فهو الموقف العربى . وهو موقف أثبت فى حرب رمضان فعاليته سواء فى المجال العسكرى أو فى المجالات الأخرى السياسية والاقتصادية والاعلامية . وهو ينطلق من هذه القدرة على الفعل ليساهم بدوره فى التأثير على السياسة الأميركية . والأوراق التى بأيدينا نحن العرب للتأثير كثيرة وهامة . وهى مرتبطة بموقف عربى موحد قوى يفرض على الولايات المتحدة أن تعترف من خلاله بوجود القوة العربية فى عالم اليوم . كما أنها مرتبطة بالتحام العرب بالعالم الثالث وبتدعيمهم لعلاقات الصداقة التى تربطهم بالدول الاشتراكية .

إن تأثير الموقف العربى بدأ يظهر ولكنه لايزال أقل بكثير من حجمه الحقيقى . ولابد أن يمارس هذ التأثير من موقع إدراك

أن مبررات الصدام بيننا كعرب وبين الولايات المتحدة لاتزال قائمة ، وأن ماطرأ من متغيرات عالمية داخل الولايات المتحدة نفسها وفى العالم من حولها ، وما برز من قوة للموقف العربى هو الذى فتح بابا الحوار يستهدف قطع الطريق على السياسة الاسرائيلية الرامية إلى ابقاء الولايات المتحده كطرف مباشر فى الصراع يتطابق معها .

نعود للسؤال الذى طرحناه لنحدد إجابتنا على ضوء هذه العوامل الأربعة المؤثرة فى السياسة الاميركية . وهذه الاجابة هى أن محصلة هذه العوامل لايمكن أن تسفر عن مفاجآت تحمل تحولات جذرية فى السياسة الاميركية. ولكنها قد تؤثر فى احداث اهتزاز فى تطابق السياسة الأميركية مع السياسة الاسرائيلية . وسيبقى هم الولايات المتحدة هو تخفيف التوتر . وعلى من يترقبون قيام أميركا بدورها أن يوطنوا أنفسهم على تحمل أساليب التسويف والتأجيل .

إن هذه الاجابة تحدد مسؤوليتنا فى الفترة القادمة . فهى تحسم

بأن الحرب الخامسة حتمية، وستنشب حين تستكمل شرائطها . ويقيننا إن عدونا اتخذ قراره بشأنها ليمسح مالحق به من آثار حرب رمضان. وبقى أن نعد نحن العدة لها وتقوم بتحركنا السياسى فى مختلف الساحات وفى اعتبارنا أن عدونا مصر على عدوانه. وبقى أيضاً أن تتابع امتنا دعم الثورة الفلسطينية لتصعد نضالها من أجل تحرير فلسطيننا المحتلة .

ثلاثون عاما على الحرب العالمية الثانية

تتتالى منذ شهر أيار الماضى احتفالات كثيرة بمرور ثلاثين عاما على انتهاء الحرب العالمية الثانية. وتتداعى إلى الأذهان فى هذه الفترة ذكرى الأحداث الحاسمة التى توالت بين سقوط ألمانيا يوم السابع من آيار وتسليم اليابان يوم الثانى من أيلول ، ومن أبرزها قيام الولايات المتحدة بالقاء أول قنبلتين ذريتين على هيروشيما ونجازاكى يومى ٦ و ٨ آب . ويثور من جديد بهذه المناسبة الحديث عن أمور كثيرة تتعلق بهذه الحرب وبتقويم الثلاثين سنة التى مرت عليها ضمن تساؤلات عن مستقبل العلاقات الدولية فى الربع الباقى من هذا القرن الذى سيذكر فى التاريخ بأنه شهد فى نصفه الأول حربان طاحنتان شملتا أجزاء واسعة من العالم حتى عرفتا بأنهما حربان « عالميتان كونيتان » .

ولقد وجدت نفسى فى هذه الأيام مقبلا على قراءة عدد من الكتب التى أرخت للحرب العالمية الثانية . كما تحمست لمشاهدة فيلم يحكى قصة « أيام هتلر العشرة الأخيرة » وصف بأنه التزم بالوقائع. وهكذا

أمضيت ساعات طويلة عشت فيها مع ذكريات هذه الحرب . وحين نظرت فى سر هذا الانشغال وجدت من ناحية أنه متصل بالدراسة التاريخية وبالدراسة المستقبلية ، كما وجدت له جذورا نبتت من حقيقة أنى من جيل عاش طفولته وسط جو الحرب العالمية الثانية ، ولقد ترعرع جيل جديد فى أمتنا وفى العالم من حولنا من حقه أن يتمثل عبرة ذلك الحدث الضخم الذى سبق ظهوره إلى الحياة .

إن أول ما يخطر على البال حين تذكر الحرب العالمية الثانية معنى أبرزه أحد المؤرخين المعاصرين فى قوله « كانت هذه الحرب أكبر خيبة أصابت فطنة البشرية وتدبيرها فى تاريخ العالم » . فلقد فشلت محاولات إقامة السلام باقامة جماعة دولية بالمفهوم الأوروبى للدولية . ولم تفلح تسويات ما بعد الحرب العالمية الأولى فى منع نشوب حرب ثانية بل مهدت لها .

ويقترن هذا المعنى بمعنى آخر هو أن هذه الحرب مع ما انطوت عليه من مآس وفواجع تضمنت فى داخلها ثورة ضخمة رآها البعض أكبر ثورة عرفها الإنسان منذ فجر تاريخه . فقد كانت الست سنوات التى امتدت من ١ أيلول ١٩٣٩ إلى ٢ أيلول ١٩٤٥ فترة تبدل فى الروح والفكر والطموح شهدت عملية تطور تاريخى يتم

بسرعة ، وكانت سنوات الوضع لحمل دام قروناً وأولد ثورة التحرير والإنقلاب النووى .

ولابد أن نقف أمام المآسى والفواجع التى انطوت عليها هذه الحرب ، إذ لايجوز أن نمر بالكلمتين مروراً عابراً دون أن نغوص فى أعماقهما . فلقد كان مدى القتال فى هذه الحرب أوسع بكثير منه فى أية حرب سابقة ، ومنه فى الحرب العالمية الأولى ، حيث جرّت معظم بلاد العالم إلى هذه الحرب ودارت العمليات المسلحة على أراضى ثلاث قارات هى أوروبا وأفريقيا وآسيا كما شملت حوض المحيط الهادى. وهكذا اشترك مئات الملايين من الناس فيها، منهم نحو مائة وعشرة ملايين عملوا فى قوات المقاومة . وكان يعمل وراء كل جندى فى جبهة القتال من أربعة إلى خمسة رجال ونساء ليؤمنوا انتاج مواد الحرب . وبالمقارنة مع الحرب العـــالمية الأولى أصبح عدد الدول المشتركة فى الحرب العالمية الثانية ٧٢ دولة بعد أن كان عددهم فى الأولى ٣٣ ، وأصبح عدد المجندين ١١٠ مليون بعد أن كان عددهم ٧٤ مليون ، وبلغ عدد القتلى ٥٠ مليونا وكان فى الحرب الأولى ١٠ ملايين ، وبلغ الإنفاق الحربى المباشر ٩٣٥ ألف مليون دولار .

وكان قد بلغ فى الأولى ٢٠٨ ألف مليون دولار . ويشير جى ديبورين مؤلف « تاريخ الحرب العالمية الثانية » السوفييتى « إلى أن تطوير وسائل الإبادة الجديدة أدى إلى زيادة الخسائر فى الأرواح والممتلكات وأدى إلى صفة الشمول التى أصبحت تلازم الحرب » .

كما يقول تومسن الانكليزى « إن هذه الحرب كانت حرباً بين أمم بأكملها بصورة لم تعرف مطلقا من قبل ، ووردت فى قوائم الوفيات أرقام عالية عن وفيات النساء والأطفال وحين انتهى الأمر فى الشرق كانت أعلى الخسائر هى الأرقام الدالة على « المفقودين » .

ولقد عانى المدنيون فى هذه الحرب كما لم يعانوا من قبل فى أى حرب أخرى . وكانت جملة القتلى منهم أكبر من عدد القتلى من أصحاب الزى العسكرى . وقد قتلت القنبلة الذرية في هيروشيما وحدها ٩٢ ألف مدنى . وترك قذف القنابل فى أوروبا واليابان ملايين المدنيين بلا مأوى ، ومثّل هؤلاء مشكلة بعد انتهاء الحرب حيث تطلب الأمر إعادة استقرارهم واسكانهم . وعلى الرغم من أن دول العالم الثالث كانت واقعة تحت وطأة الاحتلال لم تشارك فى إثم تفجير هذه الحروب ، إلا أنها سيقت إلى ساحتها وفقدت فى أتونها

مئات الآلاف من الشباب الذين جندتهم الحكومات الاستعمارية .

حين نتأمل فى هذا الحدث التاريخى الضخم نجد أنه يؤكد فكرة برزت فى التاريخ الحديث منذ عام ١٩١٤ الذى تفجرت فيه الحرب العالمية الأولى . هذه الفكرة هى فكرة التاريخ للعالم كوحدة . فمنذ ذلك الحين طرأ وضع جديد فى تاريخ العالم جوهره كما يقول المؤرخ الانكليزى تومسن « إن القارات الست فى الدنيا لأول مرة تؤثر أحداها على الأخرى ، بحيث أن سوء المحاصيل فى أحداها أو الركود الاقتصادى فى أى منها أو الثورات السياسية أو المثل العليا ستهم الباقية وتكون موضوع الاهتمام المباشر عندها جميعاً . وبامكان أى حرب تبدأ فى أى مكان أن تتحول إلى حرب شاملة تدور فى كل مكان » . وهكذا أصبح عالمنا فى منظار الدراسة التاريخية وحدة بعد أن أصبح بثورة المواصلات عالما صغيراً واحداً .

وحين نبحث فى الأسلوب الأمثل لتناول هذه الحرب بالدراسة نجد أنه أسلوب كتابة التاريخ العالمى لأنها كانت حدثاً عالمياً . وهذا الأسلوب يركز على أربع مسائل كبيره فى معالجته هى الأحوال

المادية والأفكار والأنفعالات والشخصيات ذات النفوذ والأحداث الهامة ، ويكتب التاريخ من خلال رصد تياراته التى تبين تدفق الحركة تماماً كما يحدث حين نرسم تيارات المحيط فى رسم خرائط لقارات منفصلة .

إن مراجعة تاريخ الحرب العالمية الثانية ضمن هـذه الخطوط الأربعة التى تنظمها يغنى المرء بحصيلة من العبر والدروس ويحفل فى الوقت نفسه بالمتعة . ونضرب مثلا بدراسة هتلر التى تقع ضمن الخط الثالث حيث الشخصيات ذات النفوذ ، فهناك أمور كثيره تتعلق بهذه الشخصية وكيفية بروزها وسر تسلطها وجوانب الضعف والقوه فيها والذى بقى منها . ومثله شخصيات تشرشل وروزفلت وستالين وغيرهم ، وهناك قضايا الافكار التى سادت قبيل الحرب وأثنائها وأثر الأحوال المادية والأحداث التى جرت . ولسنا هنا فى مجال عرض أمثلة عليها ، ولكننا نهدف إلى تمثل الأسلوب الصحيح والمنهج القويم فى معالجة أحداث عصرنا العالمية .

لقد انتهت الحرب ببروز عالم جديد وبطرح صوره جديدة للتوازن الدولى ، وهكذا تفجرت ثورة التحرير فى العالم الثالث

وعمّت موجة التحرير قارتى آسيا وأفريقيا ، وبناءً على هـذه القوه الجديده مع ما طرأ من تطوز فى مجال الأسلحة الاستراتيجية ضمن الإنقلاب النووى : حدث تطور تدريجى فى صورة التوازن الدولى أوشك أن ينتهى به الاستقطاب الثنائى الذى بدأ حاداً فى أعقاب الحرب ، وأصبح عالمنا المعاصر متعدد القوى .

ومضت ثلاثون سنة على الحرب العالمية الثانية دون أن تنشب حرب عالمية ثالثة . وهذا فى حد ذاته أمر حسن . ولـكن يقلل من إشراق هذه الحقيقة أن حروبا عدة نشبت خلال هـذه الفترة . فقد حدثت المواجهة بين القطبين فى كوريا وخاضت الولايات المتحدة أبشع حرب فى فييتنام وكادت تحدث المواجهة أكثر من مرة بين القطبين فى أوروبا وفى كوبا . وفى وطننا العربى عانينا من أربعة حروب عدوانية تولى كبرها التحالف الصهيونى الاستعمارى .

وعلى الرغم من أن قيما جديدة برزت بعد الحرب وساهم العالم الثالث فى فرضها مثل قيمة العدالة البشرية والسلام القائم على العدل وقيمة التعاون الدولى من أجل الرخاء ، فإن عالمنا لا يزال يعانى من الانفاق الضخم على التسليح وتطوير الأسلحة النووية . وواضح أن

أزمة حضارية حادة تطحن ملايين الشباب فى المجتمعات الرأسمالية التى تقوم على الاستهلاك . ولقد حدث أن تساءل عدد من المفكرين فى أعقاب الحرب عما إذا كانت ينابيع الثقافة والحضارة داخل أوروبا قد نضبت معينها ، وحلم بعضهم بروح جديدة تنطلق من أجزاء أخرى من العالم ، ويبدو أن الصورة اليوم ليست بهذه الدرجة من السوء فهناك أفكار قيمة انتشرت من وسط نضال الشعوب من أجل الحرية والكفاية والعدل . ولقد أرهصت حرب رمضان وانتصار الهند الصينية بعصر جديد تحكمه قيم جديدة .

من الواضح أن لنا دوراً علينا أن نقوم به فى هذا العصر الجديد . ويؤهلنا له موقع وطننا وتراثنا الحضارى . ولكن هذا الدور يتطلب بداية أن نغذ السير فى طريق وحدة هذا الوطن . فلقد كان من أهم الحقائق التى أسفرت عنها الحرب أن عالمنا المعاصر هو عالم الكتل الضخمة والتجمعات الكبيرة . وهذه الحقيقة هى التى فرضت على أوروبا ذات القوميات المختلفة أن تسير فى طريق الوحدة ضاربة صفحاً عن العداء الشديد الذى قام لسنوات طويلة بين دولها . وقد تساءل البعض وهم ينظرون إلى القوى الأعظم فى

عالم مابعد الحرب عما إذا كان عصر الدولة القومية فى طريقها إلى الزوال ؟ أم هو نذير بظهور معنى واسع للقومية وأكثر شمولا فى مداه؟والحق أن الأعوام الثلاثين الماضية أكدت أهمية الحقيقة القومية ولكنها فى الوقت نفسه أرهصت بظهور معنى أوسع لها ووجهت إلى ضرورة التعاون الدولى بين قوميات مختلفة . وأمتنا مدعوة وهى تستكمل حقيقتها القومية فى دولة واحده إلى هذا التعاون مع القوى التى تناضل لبناء عالم أفضل فى العالم الثالث وفى المعسكر الاشتراكى وفى أوروبا والأميركتين .

وللعالم الثالث نصيبه

بمناسبة التحرك السياسى العربى الذى ينشط هذه الأيام نسأل :

هل تشمل خطة هذا التحرك دول العالم الثالث ؟

نخشى أن تكون الإجابة بالنفى . وهذا خطأ كان يجب ألا نقع فيه ، وتقصير ينبغى أن نتلافاه .

لقد شمل التحرك السياسى العربى فى الأسبوع الماضى المستويين العربى والدولى . فكانت هناك زيارات لمسؤولين عرب إلى أقطار عربية، كما كانت هناك زيارات أخرى قاموا بها لدول أجنبية . ولو دققنا فى قائمة هذه الزيارات الدولية للاحظنا أن نصيب دول العالم الثالث منها ضئيل جدا .. ولقد جاء توعك صحة الرئيس تيتو مؤخرا ليؤجل بعض الزيارات العربية ليوغوسلافيا فيزداد النصيب ضآلة .

لا نجد تفسيرا لهذا القصور إلا أن خطة التحرك أو خطط التحرك أن توخينا الدقة ، غفلت عن الضرورة الحيوية لاتصالنا كعرب بدول العالم الثالث ، فى خضم انشغالهـــا بالإتصال مع الدولتين

الـكبيرتين ومع الدول الأوروبية الاشتراكية والعربية على أمل تحقيق مكاسب سريعة فى مجال إيجاد تسوية للصراع .

ولقد كان من المؤسف حقا أن تشعر دول العالم الثالث بهذا القصور فى اتصال الدول العربية بها ، خصوصا وأنه اقترن بما عانته غالبية هذه الدول من ارتفاع أسعار النفط وأزمة الطاقة بعد حرب رمضان . ولم يـكن غريبا والأمر كذلك أن يعبر بعضها فى اتصالات لها مع منظمة التحرير عن عتبها لهذا القصور وتطلعها لدور تقوم به دول عدم الانحياز كمجموعة فى إيجـــاد سلام عادل فى المنطقة .

إن وقع هذا العتب يجب أن يـكون شديدا على نفوسنا كعرب ، لمـكاننا فى العالم الثالث وللروابط التى تربطنا بدوله والقيم التى تشدنا إليه . ولا بد لنا أن ننبه الغافلين عن الضرورة الحيوية لاتصالنا بدول العالم الثالث ونوضح لهم المصير المشترك الذى يجمعنا

قد يـكون العالم الثالث بدا لهؤلاء خفيف الوزن غير ذى شأن فى التأثير على مجرى الاحداث فى عالم اليوم . والحق أن أهمية العالم الثالث فى ازدياد مستمر ، وستتضاعف فى عالم الغد ، وهو الذى برز

حديثا إلى الوجود فى عالمنا المعاصر . ويلفت النظر أن كيسنجر وزير خارجية أميركا فى حديثه مع مجلة الأكسبريس الفرنسية كرر الحديث عنه أكثر من مرة، وتمنى « أن تخرج العلاقات مع العالم الثالث من معضلة المواجهة إلى التعاون لكى تقبع على الأقل المبادىء العامة لكيان عالمى مرموق » .

إن العالم الثالث مصطلح له دلالات حضارية واقتصادية وسياسية وجغرافية وعقيدية . فهو العالم النامى الذى فجّر ثورة التحرير ليغذ السير فى طريق التقدم . وهو العالم الذى يسعى لطرح مثل حضارية جديدة تعالج مشكلة أزمة القيم فى حضارة الغرب استوحاها من حضارته القديمة ومن تجربته النضالية ومن قيمه الروحية ومبادئه الفلسفية . وهو عالم المواد الأولية والفقر، كما أنه عالم عدم الانحياز والحياد الايجابى والكتلة « البينية » بين قوى الارتطام العالمية .

ولقد احتفل فى الشهر الماضى بالقاهرة فى إطار التضامن الاسيوى الافريقى بمرور عشرين عاما على مؤتمر باندونج الذى بدأ منه التعبير عن العالم الثالث . واستمر هذا التعبير فى صورة مؤتمرات التضامن الافريقى الاسيوى ومؤتمرات عدم الانحياز والحياد الإيجابى

ومؤتمرات الوحدة الافريقية ومؤتمرات العالم الاسلامى . فجميعها تقع ضمن « العالم الثالث ». وتنامت خلال هذه الفترة أهميته بشكل ملحوظ ، ومن المتوقع أن تتنامى مع ازدياد الحاجة العالمية لما فيه من مواد أولية وطاقة . وتشير الدراسات إلى أنه يحتوى جل احتياطى الطاقة كما أنه غنى جدا بالمواد الأولية ، ولقد لاحظ بعض الباحثين أن العالم الثالث إذا كان فقيرا متخلفا فانما هو كذلك بالواقع لا بالامكانيات . فامكانياته الطبيعية ضخمة ولا يزال المجال فسيحا أمامه ، ولديه ما يسهم به فى الحضارة الانسانية .

وربما كان إغفال دول العالم الثالث فى خطط التحرك راجع إلى الاطمئنان لموقف هذه الدول من قضية فلسطين . والحق أن العالم الثالث شغل بالقضية انشغالا كبيرا منذ ظهر إلى الوجود باعتبارها واحدة من قضاياه الهامة. وكان موقف دوله على العموم منها متفهما لطبيعة الصراع العربى - الإسرائيلى ومدركا أصل القضية. وهذه الحقيقة تفرض على عكس ما تراءى للغافلين أن يفسح المجال لدول العالم الثالث كى تقوم بدورها الفى وصول بالقضية لسلام قائم على العدل .

إن اشراك العالم الثالث بالتحرك السياسى على الصعيد الدولى سيساعد على تغليب قيم حضارية جديدة . وقد ظهرت أهمية هذه القيم من خلال طرح غاندى وطاغور واقبال قيل تبلور الفكرة ثم من خلال نداءات نهرو وعبد الناصر وتيتو الذين عبروا عن العالم الثالث باعتباره ضمير العالم وصمام أمنه. كما ظهرت فعالية هذه المشاركة فى الدورة الأخيرة للامم المتحدة التى شاركت فيها منظمة التحرير بما أسفرت عليه من قرارات . ونذكر مدى ما كان عليه حنق الولايات المتحدة الأميركية بسبب تأثير العالم الثالث فى المنظمة الدولية ، حتى بلغ الأمر بمندوبها أن يهدد باتخاذ موقف من الأمم المتحدة .

لا بد أذن أن نتمسك بسياسة تقوم على أساس الالتحام بالعالم الثالث حين ننطلق للعمل فى المجال الدولى . وهذا يعنى أن نقوم بدورنا كعرب فى دوائره الأفريقية والأسلامية وعدم الانحياز ، وأن تكون سياستنا أصلية بعيدة عن الارتجال ، وأن تستهدف بناء حضارة لا مجرد تحركات سياسية تتطلع لمكاسب وقتية سريعة . وستثمر هذه السياسة تلقائيا ثمارا طيبة فى مواجهتنا للعدوان . وعلينا أن ندرك أن أسرائيل لن تجد مناصا من استمرار محاولة النفاذ إلى

العالم الثالث بأساليب مختلفة ، على الرغم من الصدمات التى لاقتها السياسة الاسرائيلية فيه . فهى تدرك أهميته المتزايدة فى عالم الغد ، وهى تدرك أيضاً أهميته الاستراتيجية بالنسبة لها لتقفز إليه عبر الطوق العربى المحيط بها وهذا الامر يقتضى أن ينشغل تحركنا السياسى القائم على المبدأ بمجابهة هذه المخططات وقطع الطريق عليها باقامة علاقات عربية ملتحمة بالعالم الثالث . وأن نصبر على بذل غاية الجهد من أجل تقدم العالم الثالث ، ولاتبعد أعيننا عنه أمام بريق أية مكاسب سريعة أخرى تحققها علاقات مع الدول المتقدمة .

على ضوء ما تقدم يمكننا أن نحدد أمرين عاجلين تتجه بهما السياسة العربية للعالم الثالث فى هذه الفترة .

الأمر الأول : أن توضع خطة تحرك سياسى عربى واحدة للاتصال بدول العالم الثالث تتعاون على القيام بها الاقطار العربية ويكون الاتصال بهدف مشاركة العالم الثالث مشاركة فعالة فى الجهود الرامية لاقامة سلام عادل فى المنطقة . كما يستهدف أيضا التشاور لعقد مؤتمر لدول عدم الانحياز يدرس فى مجال العلاقات الدولية ويرسم طريقا للعمل من أجل تصفية الاستعمار وتحقيق التقدم والتعاون من أجل الرخاء .

الأمر الآخر : أن توضع خطة دعم اقتصادى عربى لدول العالم الثالث التى تشتد حاجتها إلى الدعم . ويتم تخصيص جانب من الأرصدة العربية المودعة فى مصارف أميركا وأوروبا لاستثمارها فى هذه الدول . وهذا يعنى الوفاء بكل الالتزامات المالية التى التزمناها خلال الفترة الماضية تجاه الدول الأفريقية والأسيوية وتحريك المنشآت التى قامت ودفعها للعمل والتخطيط لمزيد فى هذا المجال .

وثقتنا أننا نصب جهدنا فى أرض خصبة ستثمر خيراً على قضيتنا وعلى التقدم العالمى .

عصر جديد

أنظار أحرار العالم متجهة نحو الهند الصينية ، وقلوب أحرار العالم مفعمة بفرحة انتصار كمبوديا وفييتنام . وهذه الأيام هي بحق عيد لكل الشعوب المناضلة .

إن هذا الذي حدث في الهند الصينية عظيم ، ولنا أن نتوقع آثاراً كبيرة له على السياسة الدولية وفي أنحاء مختلفة من عالمنا . وستكون في محصلتها في اتجاه بناء عالم أفضل .

يهمنا أن نناقش بعض هذه الآثار ، وعلى الخصوص ما يتصل منها بصراعنا ضد العدو الصهيوني الاستعماري . ويحسن بنا من أجل ذلك أن نضع الانتصار العظيم في مكانه من أحداث عالمنا .

إن نجاح الثوار في كمبوديا وفييتنام الجنوبية في طرد الاستعمار الأميركي وعملائه وتحرير بلادهم هو جزء من نجاح ثورة التحرير العالمية ، ويقع ضمن الموجة التحريرية العالمية التي ظهرت وتدفقت منذ حرب رمضان . وهذه الموجة بدورها تقع ضمن المد التحريري الذي

شمل عالمنا منذ الحرب العالمية الثانية . ويكفى كى نحيط بهذه الحقيقة أن نرى كيف بدا منظر العالم بعد حرب رمضان مع ما حققه النضال العربى فى ساحة المعركة وعلى صعيد السياسة النفطية . ثم مع استمرار عمليات المقاومة داخل أراضينا المحتلة . ثم مع حدث البرتغال الكبير الذى قوض الديكتاتورية الفاشية فيها وما تلاه من انتصار حركات التحرير فى مستعمرات البرتغال الأفريقية . وجاء يوم فلسطين فى الأمم المتحدة فى تشرين الثانى عام ١٩٧٤ ليتجلى فيه موقف إرادة التحرر العالمية وعزلة الصهيونية والاستعمار فى المنطقة الدولية . ويبرز أخيراً فى الموجة انتصار كمبوديا وفيتنام فى الهند الصينية .

كذلك فإن نظرة على أحداث عالمنا منذ الحرب العالمية الثانية تكشف لنا عن تفجر ثورة التحرير وتدفق المد التحريرى فى الوطن العربى ثم فى بقية آسيا وأفريقيا . وعلى الرغم من أن نكسات عدة حدثت لنضال الشعوب فى هذه الفترة فإن محصلة الأحداث كانت فى اتجاه التحرير ، وقد أوصلت إلى تغيير صورة العالم . وما أوسع البون بين ما كان عليه العالم قبل الحرب العالمية الثانية وما أصبح عليه اليوم . وهكذا نرى هذه الموجة التحريرية العالمية ضمن هذا المد التحريرى الأشمل ، ويتضح لنا أن التحرير هو روح العصر .

ولعل من أهم أسباب فرحة أحرار العالم بانتصار الهند الصينية هو وضوح هذه الحقيقة ، وما كان يمثله الحدث من إعلاء للقيم التى يناضلون من أجلها وخصوصا فى العالم الثالث . فلقد ارتفعت فى سماء العالم قيمة « الحق والضمير » حين انتصرت الهند الصينية ، وبدأ هبوط وانحطاط قيمة « القوة الغاشمة » وغطرستها وهى تجرجر أذيال الهزيمة مع الخروج الأميركى . ومعلوم أن الصراع بين الدول الاستعمارية والمستعمرات وهو يحتدم فى ثورة التحرير كان صراعا بين منطق القوة الغاشمة والمصلحة الذى يحكم الاستعمار العالمى وبين منطق الحق والعدل والضمير الذى هو أساس ثورة التحرير .

إن أعظم آثار انتصار كمبوديا وفييتنام ـ فى رأينا ـ هو فيما يمنحه هذا الانتصار من قوة معنوية هائلة لمتابعة نضال الشعوب وأحرار العالم من أجل سيادة قيم الحق والعدل والضمير ، وتوفير مناخ نفسى فى عالم اليوم يمكن من تجاوز « أزمة القيم » التى عانت منها السياسة الدولية بالمفهوم الغربى لفترات طويلة ولقد توقعنا منذ حرب رمضان أن يقوى تأثير منطق الحق والعدل وما يتصل به من معان انسانية فى خضم اشتداد صراعه مع المنطق الآخر . كما

توقعنا أن تظهر اللغة الجديدة التي تعبر عن هذه المعاني الإنسانية ، وأن تبدأ الدول الغربية في الوقوف أمامها وأخذها بعين الاعتبار . ولقد كان مما يلفت النظر في حديث وزير الخارجية الأمريكي كيسنجر لمجلة الأكسبريس الفرنسية بعد سقوط بنوم بنه عاصمة كمبوديا أشارته في معرض حديثه عن الصورة الراهنة للعالم إلى « أنه اتضح لأمريكا بالنسبة للدول النامية أن طريقة تفكيرها تتمثل في أن يستمد العالم الإيحاء من اعتبارات فلسفية أكثر من اعتبارات اقتصادية .

يمكننا ونحن نقف أمام هذه النتيجة الضخمة لانتصار الهند الصينية أن نرى الموجة التحريرية العالمية التي يقع ضمنها وهي تحمل العالم إلى عصر جديد . فكيف نرى هذا العصر الجديد ؟

وما مستقبل صراعنا ضد التحالف الصهيوني الاستعماري فيه من أجل تحرير فلسطيننا ؟

من الواضح أن المناخ النفسي في هذا العصر الجديد سيكون أكثر تهيؤا لقبول قيمنا الجديدة التي تقوم على أساس الحق والضمير والعدل والبقاء والتي تستوحي كما عبر كيسنجر من اعتبارات فلسفية ، وسيزداد تأثر المجتمعات الغربية بهذه القيم بعد

أن نفذت إليها فى داخلها . وسيحاول أولئك الذين يتشبثون بالقيم القديمة احتواء القيم الجديدة بعد أن عجزوا عن مجابهتها . ولقد تضمن حديث كيسنجر لمجلة الأكسبريس اعترافا بهذه المتغيرات حين أوضح — كمؤرخ — أن فترة كنيدى شهدت آخر مباهج عصر مضى ولم تشهد بدايات عصر جديد .. ومع عام ١٩٦٩ كان علينا أن نعالج موقفا مختلفا .. وكانت مشكلتنا أن أميركا فى عالم جديد ، وأن نفعل ذلك مع تجنب السقوط فى تطرفات كثيرا ما تميزت بها دبلوماسيتنا ، بمعنى أن ننتقل من التفكير فى القوة إلى نبذ تام للقوة » .

إن صور العالم فى هذا العصر الجديد ستختلف عما كانت عليه فى المرحلة السابقة . ولنا أن نتوقع فيها غياب الاستقطاب الذى ساد فترة الخمسينات والستينات ، إذ لم يعد يحكم عالمنا المعاصر تقسيم واحد سياسى كان أو عقيدى أو حضارى وإنما تحكمه تقسيمات عدة تتداخل خطوطها . وسيتضح أكثر الطور الذى دخله التوازن الدولى بين المعسكرين القديمين بفعل التقسيمات الجديدة ، وهو طور التفاهم المتطلع للوفاق .

ولو ركزنا النظر على الولايات المتحدة الأميركية من بين الـكتل الدولية لمـكانها من الصراع العربي ـ الإسرائيلي ، و كونها طرفا فيه من خلال تلاحمها مع إسرائيل ، لرأينا أنها ستواجه ضغوطاً في داخلها ومن حولها مع بقائها قوة يحسب حسابها . ولقد وصفها البعض بأنها عملاق يواجه الضغوط . وانتصار الهند الصينية يؤكد أن لاشيء أقـــوى من إرادة الشعوب . ومن المتوقع أن تزداد الضغوط داخل الولايات المتحدة ومن حولها ان لم تـكيف نفسها مع حقائق العصر الجديد . ونلاحظ أن النقاش محتدم داخل الولايات المتحدة حول وجهة سياستها الخارجية بعد الهزيمة ، وأن هناك من يتحدث عن ضرورة انتهاج سياسة العزلة التي كانت مسيطرة هناك حتى بداية القرن العشرين ، بينما يرى البعض الآخر استحالة ذلك مع مالها من مصالح عالمية . ويمـكن أن نستخلص من هذا الذي يدور حقيقتين :

أولهما : أن هناك اتفاقا ضمنياً بين وجهات النظر المختلفة هذه على استحالة استمرار الولايات المتحدة في انتهاج سياسة التدخل في مختلف القضايا العالمية بعقلية رجل العصابات . وقد بدت هذه الحقيقة في مطلع

السبعينات وعبر عنها بالدوين فى كتابه استراتيجية للغـــد بقوله « تستطيع الولايات المتحدة أن تستمر فى القيام بدور « رجل البوليس العالمى » إلى ما لا نهاية ، لأن ذلك يكلفها كثيرا ، وهذه خدمة جليلة أدتها حرب فيتنام حين كشفت عن تكاليف هذه السياسة » .
كما عبر عنها مؤخراً أحد مستشارى البيت الأبيض بقوله « ليس لدينا أصابع كافية لنضعها فى جميع ثقوب الحاجز الذى يقف أمام السيل وسيادة هذا الإحساس سيفرض على الولايات المتحدة إعادة تقويم سياستها تجاه قضايا كثيرة .

ثانيهما : أن هذا التحول عن سياسة «رجل الإرهاب العالمى» لن يعنى أن تقبع الولايات المتحدة فى قوقعة العزلة من جديد . وقد أوضح جان فرنسواز ريفيـــل صاحب دراسة مشهور عن المجتمع الأميركى لمندوب مجلة نيوزويك مؤخرا أنه لن تكون هناك عودة لأشكال العزلة الكلاسيكية بسبب الفشل الذى منيت به السياسة الأميركية ولكن ما يمكن أن يحدث هو احتمال أن تصبح الولايات المتحدة أكثر دقة فى اختيار أصدقائها وعملائها .

والحق أنه إذا كانت العزلة ممكنة أيام السفن الشراعية ـ كما

يلاحظ علماء الاستراتيجية والجغرافيا السياسية ـ فإنها مستحيلة فى الربع الأخير من القرن العشرين الذى استحال فيه العالم بفعل ثورة المواصلات إلى عالم صغير جدا . هذا فضلا عن أن خبراء الاقتصاد يقررون أن محافظة الولايات المتحدة على اقتصادها سيقتضى زيادة اعتمادها على مصادر وأسواق عبر البحار .

لنا أن نتوقع على ضوء هاتين الحقيقتين توزّع السياسة الخارجية الأمير كية فى الفترة القادمة بين استسلام العملاق لغطرسة قوته وبين استجابته للضغوط فى داخله ومن حوله . وبالنسبة للصراع العربى الإسرائيلى على الخصوص سيكون « همّ » السياسة الأمير كية تلفيق « حل وسط » مع استمرار وهم بقاء إسرائيل . وتتأثر هذه السياسة طبعاً بالموقف الاسرائيلى الذى سيجهد فى الضغط من خلال الحركة الصهيونية على الولايات المتحدة من داخلها والذى ستتميز بالنزوع لمزيد من التشدد والتطرف .

والحق أن أثر انتصار المقاومة الصينية على العدو الصهيونى هو كأثر حرب رمضان أو أثر أى انتصار تحققه ثورات التحرير . فهو دوما ذهول يعقبه نزوع للتشدد والتطرف والارهاب والعدوان

للخروج من حالة التفكير بمخرج لا يأتى بالنهاية الحتمية . ولقد وفِّق فى تصوير هذا الأثر رسام الكاريكاتير كامينكز حين مثَّل إسرائيل كمسلَّح يحمل بندقية وهو يقف على حافة سلة المهملات التى قذف التاريخ إليها بكمبوديا وجنوب فييتنام والبرتغال . ولذا لم يكن مستغربا أن تبدو عزلة إسرائيل وهى تعبر عن قلقها لسقوط العملاء فى كمبوديا وفييتنام وسط فرحة شعوب العالم .

يبقى علينا كعرب على ضوء ما تتضح من ملامح العصر الجديد وما تكشف عن حقائق السياسة الأمريكية وموقف العدو الإسرائيلى أن نحدد بوضوح خطّ سيرنا ونرسم سياستنا . وواضح أن ما تحقق من انتصار فى الهند الصينية يؤكد سلامة موقفنا المتمسك بحقنا فى وطننا والقائل بضرورة متابعة النضال لتحرير الأراضى العربية . كما أن واقع الولايات المتحدة الأمريكية يقطع بعدم قدرتها على إيجاد حد أدنى مما يمكن قبوله كحل . كذلك فإن موقف العدو الإسرائيلى يفرض استمرار التهيؤ للحرب الخامسة .

وطبيعى أن السير فى طريق استمرار النضال والتهيؤ لضرب العدوان لا يعنى تجميد تحركنا السياسى ، وإنما هو يقتضى متابعة

التحرك السياسى المضبوط بحدود واضحة فى كافة المجالات وتوظيفه لخدمة استمرار النضال . وانتصار الهند الصينية يؤكد ضرورة أن ينطلق هذا التحرك السياسى من منطق الحق والعدل مؤكداً على القيم الجديدة التى لا بد أن تتابع شق طريقها فى العصر الجديد حتى تسود .

التحرر العربى ـ الأفريقى

فى عالم الغـــد

كيف نرى حركة التحرير العربى ـ الأفريقى فى عالم الغد ؟

ما هى المهام الملقاة على عاتقها ؟

لقد برزت هذه الحركة كحقيقة هامة من حقائق عالمنا المعاصر ، وكان لها دور مؤثر على سير الأحداث فيه . ومطلوب كما هو متوقع أن يتعاظم دورها ويقوى تأثيره مع استمرارها ونموها وتطورها فى عالم الغد . ومن هنا يثور هذا السؤالان ويأتى انشغالنا فى الإجابة عليهما ومعالجة موضوع مستقبل حركة التحرر العربى ـ الأفريقى ضمن « الحوار العربى ـ الأفريقى حول قضايا التحرر والتنمية » .

* * *

لابد لنا ونحن فى معرض النظر فى مستقبل هذه الحركة من نظرة نلقيها بداية على نشأتها والواقع الراهن الذى تعيشه . وفى هذا صدد نلاحظ أن بروزها جاء فى أعقاب الحرب العالمية الثانية ومثلث أعظم حقائق عصرنا . وقد ثورت ثورة التحرير هذه المناخ

السياسى فى العالم وظهرت فعاليتها على مدى عقدين من السنين حين انحسر الاستعمار عن أوطان كثيرة فى آسيا وأفريقيا . وانكمشت رقعته التى كانت تغطى ٣٥٪ من مساحة العالم ١٩٤٥م. وأصبحت عام ١٩٦٥ لا تتجاوز ٤٪ وصار التحرر بفعلها عقيدة الشعوب التى طال التحكم فيها وروح العصر فى العالم أجمع .

ومن بين موجات ثلاثة تتالت فى ثورة التحرير صنعت حركة التحرر العربى ـ الأفريقى موجتين وشاركت فى الثالثة . فقد ظهرت هذه الثورة أول ما ظهرت فى أجزاء الوطن العـــربى فى آسيا وسرعان ما تدفقت موجة التحرير الآسيوية . ثم ما أسرع ما تلتها فى الخمسينات موجة التحرير العربية ، وفى الستينات موجة التحرير فى أفريقيا المدارية .

والناظر فى هذه الموجات يرى مبلغ تداخلها ومدى الترابط وتبادل التأثير فيما بينها . ويتضح هذا التداخل والترابط فى حركة التحرر العربى ـ الأفريقى على الخصوص التى هى جماع الموجتين الثانية والثالثة . فجزء من حركة التحرر العربى كان أفريقيا بحكم أن الوطن العربى يشغل شمال أفريقيا وأجزاء من شمالها الشرقى ويمثل امتداد القارة فى آسيا . وقد ساهم هذا الجزء فى تفجير وتحريك الثورة التحررية على تخومه الجنوبية وبقية القارة الأفريقية عموماً .

ومن الواضح أن حرب السويس الفاصلة عام ١٩٥٦ كانت نقطة تحول فى حركة التحرير العربية واشارة بدء بالانطلاق نحو التحرير فى أفريقيـــا المدارية . وهكذا فاننا إن مثلنا كلا من الحركتين بدائرة نجد أن هاتين الدائرتين ليستا منفصلتين عن بعضهما وإنما هما متقاطعتان وتقعان معا ضمن دائرة واحدة أكبر تمثل ثورة التحرير العالمية .

ولقد اقترنت ثورة التحرير هذه فى السياسة الدولية المعاصرة بفكرة عدم الأنحياز والحياد الإيجابى ، التى هى ظاهرة سياسية انبثقت فى عالمنا المعاصر بفعل التحرير والأنقلاب النووى اللذين تميز بهما . فالتحرير أوجد الدول المستقلة حديثا التى شكلت « العلم الثالث » وبحثت لنفسها عن مكان لها فى عالم اليوم . والإنقلاب النووى غير موازين الاستراتيجية الدولية وفرض على كل الدول البحث عن حلول لابعاد خطر الافناء عن العالم .

وواضح أن « العالم الثالث » جميع بين دول تعيش ظروفا متشابهة ، فهى دول خرجت بثورة التحرير من الاستعمار القديم الذى كان لايزال يتسلط ويستعمر أقطارا مجاورة لها . وهى تستشعر خطره عليها وعلى جيرانها فتعلن حربها عليها ، وتستشعر فى الوقت

نفسه خطرا أكبر يتمثل فى الاستعمار الجديد وسط حرصها على حماية استقلالها الذى بذلت الكثير فى سبيله . وهى ترى نفسها قد تخلفت — بفعل عوامل عدة من بينها استنزاف الاستعمار لمواردها عن ركب التقدم والعلم فحاولتها أن تغذ السير فى طريق التقدم . وفى محاولتها هـــذه عليها أن تحذر محاولات الاستعمار الجديد احتواءها بالمساعدات . وهى أخيراً تعيش فى عالمها الذى يعانى من مشكلة أزمة القيم فيه وخطر الفناء بالحرب النووية . ولقد بلورت هذه الظروف القضايا التى يناضل العالم الثالث فى سبيلها ، وهى قضية القضاء على الاستعمار واستكمال التحرير ، وقضية استتباب السلام القائم على العدل وابعاد خطر الفناء الذى يتهدد العالم، وقضية التقدم والتعاون الدولى من أجل الرخاء . ونشطت حركة التحرير العربى — الأفريقى فى نضالها لبلوغ هذه الاهداف كجزء من ثورة التحرير فى العالم الثالث .

لم يكن قليلا ما تحقق بفعل هذا النضال فى الوطن العربى وفى أفريقيا . فعلى صعيد التحرير نحسر الاستعمار وانكمش ، وعلى صعيد السلام كان هناك اسهام ملموس فى المساعى الدولية التى تعمل لاستتبابه ، وعلى صعيد التقدم بذلت جهود كبيرة . وشتان بين

الصورة التى كان عليها الوطن العربى وأفريقيا قبل ثورة التحرير والصورة التى أصبحت عليها بعدها . ولقد اشتد بفعل هذا الذى تحقق عداء قوى الاستعمار لحركة التحرر العربى ـ الافريقى ولفكرة عدم الانحياز والحياد الايجابى . ونجحت هذه القوى فى توجيه ضربات لهذه الحركة كان من اخطرها عدوان إسرائيل فى يونيو ١٩٦٧ على الوطن العربى ومجموعة أعمال تخريبية فى أجزاء مختلفة من افريقيا خلال العقد الاخير من السنين .

وحين ننظر فى الواقع الراهن الذى تعيشه حركة التحرر العربى الأفريقى اليوم نجد أن هذه الضربات لم تنجح فى القضاء عليها ، وأنها ما تزال تشق طريقها لبلوغ أهدافها . ويمكننا أن نحدد فى هذا الواقع الراهن ثلاثة أهداف ملحة تتطلب جهدا خاصا من حركة التحرر العربى — الأفريقى .

هناك أولا هدف القضاء على بقايا الاستعمار فى الوطن العربى وأفريقيا وتحرير البقية الباقية من الاجزاء التى مازال تحت نير الاستعمار . ويلفت النظر أن الوطن العربى وأفريقيا يشتركان فى بقاء أسافين وجيوب محلية استعمارية تخلفت منذ عهد الاستعمار ولم تصلها بعد موجة التحرير . ففى الوطن العربى هناك الاستعمار

الصهيونى فى فلسطين المحتلة واحتلاله أيضاً لأراض عربية فى سيناء والجولان ، وهناك أيضاً جيوب سبتة ومليله ، وفى أفريقيا هناك على الخصوص كتلة أفريقيا الجنوبية فضلا عن جيوب هنا وهناك .

ويلفت النظر أيضاً أن بقايا الاستعمار هذه تتسم بالعنصرية الاستعمارية التى تمارسها روديسيا وجنوب أفريقيا واسرائيل .

* هناك ثانيا هدف مقاومة أطماع الاستعمار وخطر الاستقطاب فى الوطن العربى وأفريقيا . وواضح أن هذه الأطماع تأخذ بعين الاعتبار الموقع الاستراتيجى الهام للوطن العربى وأفريقيا والثروات الهائلة فيها . ويمكننا أن نتعرف على هذه الأطماع من خلال مايصدر من دراسات وما لاتخفيه مخططات السياسات الخارجية للدول الاستعمار . ولقد عـــبر بالدوين فى كتابه « استراتيجية للغد » عن هذه الاطماع وهو يسجل عن أفريقيا أن « الاهتمام الاستراتيجى بها زاد » وأن أفريقيا الوسطى أقليم غنى بالمواد الخام ولـكنه قليل السكان ، « وهى فراغ جزئى من السلطة » . وهو ينقل عن هنرى وولف قوله عن أفريقيا « هى غنيمة اقتصادية كبرى تستحق النضال من أجلها . . لثراءها بالمواد الخام » ويتابع مثبتا

احصاءات عما فيها من نسب المواد الخام . ومثل ذلك يتردد عن المركز الاستراتيجى للوطن العربى والثروات فيه وعلى رأسها ثروة النفط . وتتحدث هذه الأطماع الاستعمارية بصراحة ووضوح عن خطر اتحاد أغلب دول القارة ووحدة الوطن العربى على مصالحها وتسعى فى مخططاتها لمنع العرب والإفارقة من بلوغ أهدافهم .

* هناك ثالثا هدف القضاء على التخلف الذى عانى منه الوطن العربى وأفريقيا وتجاوز رواسبه وتحقيق التقدم اللازم للحاق بالعصر . ويلفت النظر من بين رواسب التخلف التى حرص الاستعمار على تكريسها تجزئة الوطن العربى وأفريقيا إلى وحدات سياسية فتتت الكيانات وقسمت مالا يجوز أن يقسم وأقامت بين أجزائه الحدود والسدود .

وعالم الغد الذى ننظر فيه ونتطلع إلى صنعه هو امتداد لعالمنا المعاصر . . عالم اليوم ، الذى اصطلح على أن تكون بدايته هى تفجير القنبلة الذرية الامريكية على مدينة هيروشيما اليابانية فى نهاية الحرب العالمية الثانية . وقد تحقق فيه انتقال البشرية إلى عصر جديد من عصور تاريخها هو العصر الذرى ، وتميز هذا العصر بانطلاق الطاقات فى عالمنا وتفجر الحياة البشرية المعاصرة فى شتى

الجوانب ومختلف الميادين » . وكان أبرز هذه التفجيرات تفجر العلم والمعرفة ضمن الثورة العلمية الثانية التى امتازت بالشمول وعمق فعلها النظرى وسعة فعلها التطبيقى وتزايد سرعتها وتفجر السكان الذى بلغ حدا لم يسبق له فى التاريخ مثيل ، وتفجر الحاجات والآمال الوثيق الصلة بتفجر العلم .

وهكذا اجتمعت فى عالمنا المعاصر ثورة التحرير التى كانت أحدى صور تفجر الحاجات والآمال والانقلاب النووى الذى قلب قوانين الاستراتيجية الكونية رأسا على عقب . ولقد أثار هذا التفجر الهائل مشكلات عديدة لكل الشعوب والانسانية جمعاء وما زال الانشغال بها قائماً .

لقد تغيرت صورة العالم بفعل الاحداث التى شهدها عصرنا . فبفعل الحرب العالمية الثانية حدث تغير وبرزت الكتلتان الشرقية والغربية — ولكل منهما عقيدتها — ضمن الحضارة الغربية الواحدة . وتزعم الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة هاتين الكتلتين . وبفعل ثورة التحرير العالمية تغيرت الصورة فبرزت مجموعة العالم الثالث فى آسيا وأفريقيا ، وبدا بوضوح انقسام العالم حضاريا فى مستويين، مستوى الدول المتقدمة ومستوى الدول النامية

المتخلفة وهو انقسام رسمت خطوطه الثورة العلمية . وتغيرت صورة العالم بفعل الانقلاب النووى أحد آثار الثورة العلمية ، فحدثت انقسامات فى كل من الكتلتين عبرت عن نفسها «عقيديا» فبرزت الصين فى المعسكر الشرقى وبدت بوضوح آسيويتها. وبرزت فرنسا فى المعسكر الغربى وأعلنت أوربيتها وشرعت دول أوربية أخرى فى بناء أوروبا جديدة . وبرزت إلى جانب ذلك عقيدة ثورات العالم الثالث وطرحت فكرة الحياد الإيجابى وعدم الإنحياز ونادت بتحرير الشعوب من بقايا الاستعمار وبالسلام القائم على العدل والتعاون الدولى من أجل الرخاء . وهكذا لم يعد يحكم عالمنا المعاصر تقسيم واحد سياسيا كان أو عقيديا أو حضاريا . وإنما تحكمه تقسيمات عدة تتداخل خطوطها أحيانا .

من المتوقع أن تبدو هذه التقسيمات بشكل أوضح فى عالم الغد مع ما نضج من تغيرات فى العلاقات بين كتله ومجموعاته ، ومع ما وصلت إليه محاولات حل مشكلات عالمنا . ولنا أن نتوقع استمرار المتغيرات ما دامت الثورة العلمية مستمرة ومثلها محاولات حل المشكلات . وما يهمنا كثيرا هو أن نعرف اتجاهات التغيير .

ان استمرار الثوره العلمية فى أبعادها الثلاث .. تقصير المسافات

فى كوكبنا ، واكتشاف أعماق بحاره ، واختراق الفضاء المحيط به ، سيوصل إلى مزيد من ترابط شعوب العالم وتبادل الأفكار فيما بينهم . وسيوصل بالتالى إلى عالميــــة أية مشكلة ، وإلى إحساس بالوحدة فى المشكلات العامة ومن أجل مجابهة تحديات الكشوفات الجديدة . وهذا الإحساس العام بالوحدة لا يعنى إلغاء تمايز شعوب العالم لأن ثورة المواصلات وتبادل الأفكار فيما بينها بفعل هذه الثورة ستبرز بقوة الشخصية القومية المتميزة إلى جانب الاحساس العام بالوحدة الانسانية . أى أنه إحساس بالوحدة من خلال التنوع .

واستمرار الثورة العلمية ، وما يعنيه ذلك من تطوير الأسلحة الفتاكة عموما ، وما ينتج عن ذلك من بروز شبح الفناء وتسلط خطر الحرب النووية التى لا تبقى ولا تذر سيفرض فى عالم الغد ـ استمراراً لما حدث فى عالمنا المعاصر ـ تراجع فكرة الحرب العالمية وتزايد قوة الردع النووى وحصر المشكلات العالمية والاقليمية ومحاولة التفاهم عليها والوصول إلى حلول لها تبعد أخطار التوتر على الأقل . ومعلوم أن الانقلاب النووى فرض نوعا من التوازن الاستراتيجى . وقد دخل هذا التوازن فى السبعينات مرحلة جديدة

بعد أن مر بثلاث مراحل منذ الحرب العالمية الثانية . فبعد الحرب كان التوازن مختلا مع انفراد الولايات المتحدة بالسلاح النووى فبرزت بالتفاعل مع عوامل أخرى سياسة حافة الحرب وفكرة الحرب الصليبية الشيوعية فى الغرب وبالمقابل كانت فكرة انتشار الثورة الشيوعية تسيطر على الاتحاد السوفياتى . وفى الخمسينات ومع امتلاك الاتحاد السوفياتى للسلاح النووى تحقق التوازن فى ظل المخاوف المتبادلة فسادت سياسة الردع الشامل بين المعسكرين . ومع تطور السلاح النووى فى الستينات فضلا عن تغيرات أخرى أخذ التوازن صورة أكثر دقة وأوصل إلى سياسة التعايش السلمى بحكم « ميزان الرعب النووى » .

وهكذا تراجعت الحرب الذرية الشاملة لتترك الباب مفتوحا للحرب المحدودة . وتقاربت الدولتان الكبيرتان تدريجيا ، وحدث فى داخل كل من الكتلتين تفكك وتباعد وأوصل ذلك كله إلى المرحلة الرابعة التى بدأت بدخول السبعينات، وتضافرت فيها الجهود لتحقيق توازن مستقر من خلال سياسية التفاهم بين الدولتين الكبيرين وحدوث الانفراج الدولى . ومن خلال قبول الولايات المتحدة للمتغيرات الاساسية فى الصورة الدولية ، وتسليمها بوجود الصين والعالم الثالث .

من المتوقع أن يرث عالم الغد من عالمنا المعاصر مشكلاته التى لم يتم التوصل إلى حلول كلية لها ما دام هو استمرار له . وإنسان الغد حين يتصدى لهذه المشكلات لا يبدأ من فراغ ، وانما يتابع محاولات الحلول التى جهد إنسان عالم اليوم فى طرحها مستفيدا من حصيلة التجربة وما وصلت إليه المحاولات. وهكذا فإن « المعاصرة» شرط لازم « للمستقبلية » .

وفى مقدمة المشكلات الموروثة التى ستشغل عالم الغد تأتى مشكلة « أزمة القيم » فى عالمنا . فهذه المشكلة تلقى بظلهـا الثقيل على جميع المشكلات الأخرى وتؤثر على محاولات ايجاد حلول لها. وهى تهدد وجود ومصير الإنسان بعد أن اكتوى الإنسان المعاصر وعانى أشد المعاناة من نتائجها وويلاتها . ويكفى أن نشير من بين هذه النتائج التى ظهرت فى هذا القرن إلى الحربين العالميتين اللتين نشبتا وإلى حروب محدودة لمدة أخرى ، وإلى المجاعات والقحط والمسغبة والمرض والجهل التى ما تزال تطحن ملايين البشر على الرغم من كل التقدم الذى حققه الإنسان،وإلى الاستغلال والتسلط والعنصرية والفوارق الضخمة بين سكان كوكبنا الأراضى ، وإلى شبح الفناء بالسلاح النووى فى الافق لا يـكاد يغيب ويشتد وطؤه مع ازدياد

التوتر . وأخبار ذلك كله تصل الإنسان المعاصر من مختلف أنحاء عالمنا الصغير الموحد وتضغط بثقلها عليه إن لم يعشها بنفسه .

وقد تجلت أزمة القيم هذه فى سيطرة منطق « القوة الغاشمة والمصلحة » على الحضارة الغربية الحديثة التى فرضته بدورها على العالم أجمع بعد أن تسلطت عليه. وجسدت هذه الأزمة الأنظمة الأخلاقية والاجتماعية والسياسية التى ظهرت فى هذه الحضارة وحكمت بها علاقات شعوب الغرب بعضهم ببعض وعلاقاتهم مجتمعين بأمم العالم الأخرى . واشتد خطر أزمة القيم هذه مع ما حققته الحضارة الغربية الحديثة من تقدم علمى مادى قام على بعض القيم السليمة ، فقدم لمنطق القوة الغاشمة والمصلحة ما يمكنه من التحكم . وكانت نتيجة ذلك وبالا على الغرب نفسه وعلى العالم فى وقت واحد . وهكذا اقترنت الكشوف الجغرافية والثورة الصناعية بالاستعمار وويلاته ، ومن ثم التنافس الاستعمارى ، وأوصلت إلى نشوب عدد من الحروب التى تضاعفت ويلاتها مرات بفعل التقدم حتى بلغت ذروتها فى عالمنا المعاصر ، ونجمت عن ذلك مشكلات كثيرة .

ألحت هذه المشكلات على الغرب فى القرن العشرين، فجدت دوله فى محاولة ايجاد حلول لها، وتابعت محاولات أوربية سابقة بلورت فكرة

التوازن الدولى وفكرة الحكومة العالمية وفكرة حل المشكلات بالطرق السلمية . ونلاحظ أن هذه المحاولات تصدت للمشكلات العارضة ولم تلتفت فى أغلب الاحيان للمشكلة الأصل ، وهكذا جسدت هى بنفسها أزمة القيم. كما اقتصرت على أوربا ضمن حدود الجغرافيا والحضارة . فمفهوم التوازن الدولى كان على عكس ما يوحى به الاسم مقتصرا على التوازن بين دول أوروبا الكبرى ، وبقى كذلك طوال القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين حين فرض مؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ تغيرا فيه . ولا يزال الغرب فى عالمنا المعاصر متأثرا بالمفهوم الأصلى ، وسيبقى كذلك جزئيا فى عالم الغد بسبب الميراث الحضارى على الرغم من تجاوز حدود الجغرافيا . وما قلناه عن التوازن الدولى يصدق على مفهوم الحكومة العالمية ومحاولات ايجادها منذ مؤتمر فينا عام ١٨١٥ إلى عصبة الأمم عام ١٩١٩ . فالحكومة العالمية هنا تشمل أوروبا القرن التاسع عشر ويضاف إليها الولايات المتحدة فى القرن العشرين ، وانشغالها هو فى الحفاظ على الاوضاع الراهنة التى تعبر عن مصالح الدول الكبرى والتفاهم على استغلال الآخرين تجنبا لنشوب حروب بين هذه الدول بسبب تنافسها . وعلى والرغم من فشل عصبة الأمم مع بداية الحرب

العالمية الثانية فإن المحاولة الجديدة التى ظهرت فى أعقاب هذه الحرب وهى تجربة الأمم المتحدة تأثرت إلى حد كبير بهذا المفهوم ، وإن كانت متغيرات العصر الذرى وتفجراته قد فرضت عليه تغييرا محدودا . ومجمل القول أن الغرب سيبقى فى عالم الغد متأثرا إلى حد معين بهذا المفهوم الذى يعانى من أزمة القيم . وسيتوقف هذا الحد أيضاً على جهود العالم فى طرح القيم الجديدة وتبنيها .

والمتأمل فى تاريخ العالم المعاصر ليقف أمام دورة هذه المحاولات الغربية لحل المشكلات الدولية ويلفت نظره أن تفاقم المشكلات كان يفرض استمرار محاولات تظهر بدورها مشكلات جديدة لأنها تركز على معالجة الاعراض بمنطق القوه الغاشمة والمصلحة . كما يلفت نظره أن التقدم العلمى الذى طرح معطيات جديده عارضت بشدة المفاهيم الغربية فى العلاقات الدولية ففرض إعادة النظر ، وكما يقول مالك ابن نبى فى فكرة الأفريقية الآسيوية «فقد سيطرت على الحياة الدولية ـ بكل أسف ـ إرادة القوة التى لاتفارق حضاره القرن العشرين ، فهى قانون للنفسية الغربية يسجل التأخر الخلقى لإنسان الغرب حتى كأنه يعيش فى القرن التاسع عشر » . ولقد حاولت الدول الكبرى تعطيل حركة التاريخ حين كانت المعطيات الجديده تفرض إعادة النظر . ولما كان التاريخ لا يمكن تعطيل حركته فإن الاحداث

تترا كم وتفوض إعادة النظر وإلا حدث الانفجار . وهكذا نجد أن محاولات الغرب حل مشكلاته وصلت فى عالمنا المعاصر إلى تحول هام . انعطاف خطير فقد انتبه الغرب إلى المشكلة الأصل . . مشكلة أزمة القيم . وبدأت أوروبا التى حكمت العالم وغيرته تسىء الظن بنفسها . وأصبحت المشكلة فى صورتها العالمية تعنى مساعدة الحضاره الغربية على أزمة الضمير فيها وتلك مهمة يمكن لحركة التحرر فى العالم الثالث أن تنهض بها .

إن هذا التحول الهام فى الحضاره الغربية الحديثة تزايد خلال العقدين الماضيين بفعل انتشار ثورة التحرير . وكما كان لثورة الجزائر وثورات أفريقيا أثرها الكبير على الضمير الأوروبى فى الخمسينات ، فقد كان لحرب فيتنام والثورة الفلسطينية أثرها الكبير على الضمير الأميركى والعالمى فى الستينات والسبعينات . وتزايد هذا التحول أيضا بفعل استمرار الثوره العلمية واشتداد أخطار الأسلحة النووية ، وبدأت آثاره فى الظهور داخل المجتمعات الغربية نفسها وكان منها ثورة الشباب وحركات الرفض عامة .

لقد أعطينا الحضارة الغربية اهتماما خاصا فى الحديث عن أزمة القيم لأن هذه الحضارة حكمت العالم وغيرته . وماتزال مفاهيمها تؤثر عليه . ولنا أن نتوقع ظهور آثار هذا التحول بوضوح أعظم

فى عالم الغد الذى سيشتد الصراع فيه بين منطق الحق والعدل ومنطق القوة الغاشمة والمصلحة . ونتوقع أن يقوى تأثير منطق الحق والعدل ومايتصل به من معان انسانية فى عالم الغد خصوصا إذا قام العالم الثالث بدوره كاملا لأن تلك هى حركة التاريخ . وهكذا سيكون لهذه المعانى الإنسانية أثرها فى أحداث المستقبل . كما ستظهر اللغة الجديدة التى تعبر عن هذه المعانى الانسانية وعن منطق الحق والعدل ، وستتصارع مع اللغة القديمة التى تعبر عن منطق القوة الغاشمة والمصلحة . ولقد رأيناه مثلا على ذلك فى صدى خطاب فلسطين فى الأمم المتحدة يوم ١٣ نوفمبر ١٩٧٤ الذى سجل أن هيئة الأمم اليوم ليست هيئة الأمم بالأمس ، ذلك لأن عالم اليوم ليس هو عالم الأمس ، وأعلن « أننا نعيش فى عالم يطمح للسلام والعدالة والمساواة والحرية . يطمح إلى أن يرى الأمم المظلومة الرازحة تحت الاستعمار والاضطهاد العنصرى وهى تمارس حريتها وحقها فى تقرير المصير . يطمح إلى أن يرى العلاقات الدولية بين الدول كافة تقوم على أساس المساواة والتعايش السلمى وعدم التدخل فى الشئون الداخلية ، وتأمين السيادة الوطنية والاستقلال ووحدة الأراضى الاقليمية لكل دولة . واقامة علاقات اقتصادية على أساس العدل

والتكافؤ والمنافع المتبادلة ، يطمح لأن تنصب الجهود الإنسانية على مكافحة الفقر والمجاعة والأمراض والكوارث الطبيعية ، وعلى تطوير القدرات الانتاجية والعلمية والتقنية للبشر لزيادة الثروات وتضييق الفروق بين الدول النامية والدول المتطورة ، ولكن ذلك كله يصطدم بواقع عالمي مايزال يسوده الاضطراب والظلم والاضطهاد والاستغلال ، وما زال مهددا بالكوارث الاقتصادية والحروب والأزمات » .

على ضوء ما سبق ، وبعد أن تعرفنا على نشوء حركة التحرير العربي ـ الأفريقي وواقعها الراهن ، وبعد أن نظرنا فى عالم الغد يمكننا أن نتحدث عن رؤيتنا لمستقبل حركة التحرر العربي ــ الأفريقي .

بداية نؤكد أن مستقبلها هو جزء من مستقبل ثورة التحرير العالمية والعالم الثالث . والعالم الثالث مصطلح له دلالات حضارية واقتصادية وسياسية وجغرافية وعقيدية . فهو العالم النامى الذى فجر ثورة التحرير ليغذ السير فى طريق التقدم . وهو العالم الذى يسعى لطرح مثل حضارية جديدة تعالج مشكلة أزمة القيم فى حضارة

الغرب ، وقد استوحى هذه المثل حضاراته القديمة ومن تجاربه النضالية . وهو عالم المواد الأولية والفقر ، كما أنه عالم عدم الانحياز والحياد الايجابى . وقد بدأ التعبير عنه منذ مؤتمر باندونج ١٩٥٥ واستمر فى صورة مؤتمرات التضامن الافريقى الآسيوى ومؤتمرات عدم الانحياز والحياد الايجابى ومؤتمرات الوحدة الأفريقية ومؤتمرات العالم الإسلامى . وواضح أن التعبير عن فكرة العالم الثالث لايزال فى بداياته ، وأمامه أن يحقق تصفية بقايا الاستعمار فيه ويستكمل قوته الاقتصادية بالتنمية الكثيفة والسريعة فى كافة مجالاتها ويلحق بركب التقدم العلمى . ولقد تنامت أهمية العالم الثالث خلال عقدين من السنين بشكل ملحوظ ، ومن المتوقع أن تتنامى باستمرار فى عالم الغد مع ازدياد الحاجة العالمية إلى ما فيه من مواد أولية وطاقة ، ومن خلال مساهمته فى طرح مثل حضارية جديدة تشتد حاجة العالم اليها. وقدظهرت أهمية هذه المثل وفعاليتها حين برز العالم الثالث باعتباره ضمير العالم وصمام أمنه وباعتباره جسراً يصل بين قوى الارتطام وهمزة وصل لا كتلة جديدة تزيد فى تقسيم العالم ونلاحظ أن العالم الثالث مستمر فى التعبير عن نفسه على الرغم مما أصابه من عداء الاستعمار .

وواضح أن هناك صعوبات كثيرة فى طريق قيامه بدوره ، ولكن من المؤكد أن المستقبل أمامه . وهو إذا كان اليوم فقيراً متخلفا فإنما هو كذلك بالواقع لا بالامكانيات ، بالفعل لا بالقوة ، فامكانياته الطبيعية ضخمة ورصيده المادى شبه بكر ولديه ما يسهم به فى الحضارة الانسانية .

وتتحدد على ضوء هذه الرؤية المجملة لمستقبل العالم الثالث المهام الملقاة على عاتق حركة التحرر العربى الأفريقى فى المرحلة القادمة . وهى وثيقة الصلة بالأهداف التى برزت فى واقع الحركة الراهن .

فالمهمة الأولى هى استكمال تحرير الوطن العربى وأفريقيا والقضاء على بقايا الاستعمار وجيوبه ولا يمكن لحركة التحرر العربى ـ الأفريقى أن تسكت عن الوجود الاستعمارى فى أوطانها بعد أن أصبح التحرر روح العصر ، وبعد أن آذنت انتصارات ثورة التحرير فى جنوب شرق آسيا بعصر جديد .

ولقد أوضح خطاب فلسطين فى الأمم المتحدة وهو يرفع صوت الثورة الفلسطينية أنه ما زالت شعوب كثيرة منها زمبابوى وناميبيا وجنوب أفريقيا وفلسطين وغيرها ضحية للعدوان والقهر والبطش. وتشهد تلك المناطق فى العالم صراعا مسلحا فرضته قوى الاستعمار

والتمييز العنصرى ظلما وإرهابا ، فاضطرت الشعوب المضطهدة إلى التصدى له ، وكان تصديها عادلا ومشروعا . وأهاب الخطاب بالمجموعة الدولية « أن تسهم فى دعم هذه الشعوب ومساعدتها على انتصار قضاياها العادلة ونيلها حقها فى تقرير المصير » .

طبيعى إذن أن تركز حركة التحرر العربى الأفريقى جهدها وتنشغل أول ما تنشغل بتحرير هذه الأوطان وهذا يعنى أن تشن حرباً شعواء على الوجود الاستعمارى فيها .

وتقترن هذه الحرب الشعواء على الوجود الاستعمارى فى الوطن العربى وأفريقيا بالحرب ضد التمييز العنصرى الذى يمارسه هذا الوجود ، والذى تعانى منه على الخصوص جنوب أفريقيا وفلسطين . وواضح أن نضال حركة التحرر العربى ـ الأفريقى ضد العنصرية واجب إنسانى عظيم يتجاوب مع الضمير العالمى خصوصاً بعد أن نجح العالم الثالث فى تعرية الأنظمة العنصرية فى جنوب أفريقيا والصهيونية فى فلسطين أمام الأسرة الدولية فى الأمم المتحدة .

كما يقترن النضال من أجل التحرر وهزيمة العنصرية بالحرص على محاربة أشكال النفوذ المختلفة وحماية الوطن العربى وأفريقيا من الوقوع فى استقطاب دولة كبرى .

واضح أن هذه المهمة الأولى تعنى انشغال حركة التحرر العربى — الأفريقى على الخصوص بتحرير فلسطين من الاستعمار الصهيونى العنصرى الذى يجمع بين كونه استعمار أو كونه نظاما عنصريا وكونه أداة للاستعمار العــــالمى . ونلاحظ أن التحالف الاستعمارى الصهيونى من موقع وعيه لأهمية القارة ولمكان الوطن العربى فيها عمل على تمكين إسرائيل من التغلغل فيها لتكون أداته فى استغلالها وليتقفز بها من فوق الحصار العربى فيمكن لهـا من الاستمرار . وإذا كان قد نجح فى ذلك من خلال الستينات فإن مخططاته لم تلبث أن أصيبت بضربة فى السبعينات مع انكشاف طبيعة التغلغل الإسرائيلى للافريقيين ، ومع تنامى العلاقات العربية الأفريقية . وقد وقفت دول القارة وقفة واحدة فى حرب رمضان وقطعت علاقاتها باسرائيل .

لا بد أن نتوقع أن تحاول السياسة الإسرائيلية على الرغم من الصدمة الكبيرة التى تلقتها فى أفريقيا معاودة الكرة لتتغلغل من جديد . وقد كشفت المناقشات التى دارت فى الأوساط الإسرائيلية عن اهتمام كبير بالقارة البكر لما فيها من ثروات ، ولما لها من أهمية استراتيجية كعمق للوطن العربى . وأوضحت أسباب الفشل الذى

أصاب السياسة الإسرائيلية ، ومن أهمها أن المساعدات الإسرائيلية كانت استعراضية ، وكانت مساعدة رجـــل أوروبى أبيض ، وارتبطت بالوجود الغربى فى القارة ، ويبدو أن وجود إسرائيل سيأخذ هذه المرة بعين الاعتبار بقايا البناء ، وسيركز على البحث حلفاء أوربيين وسيهتم بالشباب والأعلام . ولـكن سيضع فى الاعتبار الأول توثيق علاقات إسرائيل بالـكيانات العنصرية الشبيه بها فى أفريقيا وخصوصاً جنوب أفريقيا وروديسيا لأن ذلك على حد قول هرتزوج السبيل إلى كسر العزلة فى أفريقيا . ومعلوم أن العلاقات بين إسرائيل وجنوب أفريقيا قوية جداً وهى تشمل تعاونا واسعاً فى المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية وتعبر عن طبيعة التـكوين الواحد كوجود استعمارى استيطانى أوروبى .

من هنا فإن معركة حركة التحرر العربى — الأفريقى ضد الصهيونية فى فلسطين وضد الأنظمة العنصرية فى جنوب أفريقيا ستـكون حاسمة . وهى تقع ضمن المعادلة التى تختزل أساسيات الصراع فى المستقبل والتى تقول أن مصير الإمبريالية العالمية يتوقف مصير العالم الثالث . ومصير العالم الثالث يتأثر إلى حد كبير بمصير

الوطن العربى . ومصير الوطن العربى يتوقف على مصير فلسطين . ومما لاشك فيه أن مصير الصهيونية سيتحدد فى نهاية المطاف مصير الإمبريالية العالمية فى كل من الوطن العربى وأفريقيا . ومن هنا يتحدد دور الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربى — الأفريقى بصورة عامة .

المهمة الثانية هى السير فى طريق الوحدة لتحقيق وحدة الوطن العربى والتقدم على طريق الوحدة فى أفريقيا . والصلة وثيقة بين النضال من أجل التحرير والنضال من أجل الوحدة ، وكل منهما يدعم الآخر . كما أن هذا النضال من أجل الوحدة هو الذى سيمكن من التغلب على واقع التجزئة الذى حرص الاستعمار قبل خروجه أن يكرسه ، وسيقضى على ظاهرة تفتت الكيانات .

وتحقيق الوحدة أو التقدم على طريقها فى الوطن العربى وأفريقيا فضلا عن حيويته من أجل التحرير فهو السبيل لتحقيق التقدم واللحاق بالعصر . فعالمنا المعاصر هو عالم الكتل الكبيرة ، والتنمية فيه وثيقة الصلة بالمشروعات الكبيرة ، ولا مجال لأى كيان صغير أن يحقق تقدما إن بقى فى عزلة . وإذا كان كل من الاتحاد السوفيتى

والولايات المتحدة قد حققا تقدما كبيراً بعد التوحيد فإن أوروبا سرعان ما حذت حذوهما وكذلك الصين.

والنضال من أجل الوحـــدة ضمن حركة التحرر العربى ـ الأفريقى يعنى المباشرة فى إيجاد الحقائق الوحدوية ويستلزم الانطلاق فى التخطيط للمستقبل فى الوطن العربى وأفريقيا من نظرة وحدوية تعنى حقائق واقع التجزئة وتدرك أبعاد عالم الغد وتسعى للوحدة . وإن غياب هذه النظرة عن التخطيط المستقبلى سيؤدى إلى بروز مشكلات التضارب والتراكم . كما أن هذا النضال سيستلزم تقوية المؤسسات الوحدوية واستكمالها لتكون قادرة على النهوض بمسئولياتها . ولابد أن تخطط هذه المؤسسات لبناء هياكل متكاملة للبنى الأساسية فى الوطن العربى وأفريقيا وللاتفاق على خطط مشتركة للتصنيع الثقيل والمتوسط والخفيف وللتعاون المالى والتجارى والعلمى والتقنى ، وقبـــل ذلك كله لتطوير الزراعة فى الوطن العربى وأفريقيا .

إن هذا النضال سيقتضى أن تغذ حركة التحرر العربى ـ الأفريقى السير لاستكمال الحوار العربى ـ الأفريقى بهدف الوصول

إلى التعاون الكامل . ولابد أن يكون واضحا أن تعبير «الحوار» هنا يحمل مدلولا يختلف عن مدلول الحوار العربى الأوروبى ، لأن الحوار هنا يجرى فى كتلة واحدة هى كتلة العالم الثالث تشترك فى الانتماء لأصول حضارية واحدة وتمر فى طور واحد من النمو ومستقبلها مشترك، بينما الحوار العربى ـ الأوروبى يتم بين كتلتين وحضاريتين وعالميين .

وطبيعى أن يركز التعاون العربى الأفريقى على كل مجالات التنمية . ولكن عليه بداية أن يركز على التعاون الثقافى للنهوض بالثقافة العربية ـ الأفريقية ولتأصيل القيم الحضارية التى تحكمها ولدفع حركة اليقظة التى بدأت مع ثورة التحرير . وسيتطلب هذا الأمر تحقيق الاتصال الوثيق بين قادة الفكر وبين مراكزه فى الوطن العربى وأفريقيا .

المهمة الثالثة هى قيام حركة التحرر العربى ـ الأفريقى بدور عالمى عن طريق الإسهام فى حل المشكلات العالمية ، وبلوغ السلام القائم على العدل وتحقيق التعاون الدولى من أجل الرخاء .

وواضح أن القيام بهذا الدور يقع ضمن حقيقة أن هذه الحركة جزء من ثورة التحرير وجزء من العالم الثالث . وأن القيام بها مقترن بالنضال من أجل التحرير ومن أجل الوحدة والتقدم . وأن

القيام به مرتبط بتحقيق التقدم الثقافى . وهو نابع أيضا من حاجة العالم لمعالجة أزمة القيم التى عانت منها البشرية كما أوضحنا .

ولقد استطاعت حركة التحرير العربى ـ الأفريقى وفى العالم الثالث عامة أن تقدم الكثير فى هذا المجال منذ الستينات . وفرضت على الحضارة الغربية مفاهيم جديدة وقيما جديدة بدأت الدول الغربية تتنبه لها . ويلفت النظر إلى ما صرح به وزير الخارجية الأميركى فى ربيع ١٩٧٥ من أنه أدرك من خلال عمله السياسى « أن العالم الثالث يتخذ مواقفه وفقا لاعتبارات فلسفية وليس وفقاً لاعتبارات اقتصادية كما هو الحال فى الغرب » . وقد حققت الحركة انتصار اعلان كلمة فلسطين فى الأمم المتحدة وانتصار بحث المواد الأولية وانتصار إدانة العنصرية والصهيونية كحركة عنصرية . ولا يزال أمامها الكثير لتحققه فى عالم يعانى الكثير من أزمة القيم .

وبعد ..

فإن القيام بهذه المهام يعنى فى حد ذاته صنع مستقبل الوطن العربى وأفريقيا . ويعنى الإسهام العربى ـ الأفريقى فى صنع عالم الغد . وهو يقتضى كما هو واضح أن يأخذ التعاون العربى ـ الأفريقى

من أجل التحرر والتنمية مداه . ويشغل المكان الأول من اهتمامات الوطن العربى وأفريقيا ، ويكون واعياً لكل المحاولات التى تحاول التفريق بين امتداد جغرافى واحد وأصحاب تاريخ مشترك . ويكون واعياً لمحاولات إغراء الانسياق وراء الارتباط بقوى خارجية كبديل عن هذا الارتباط المصيرى .

فهرس

الصفحة

على الصعيد الفلسطينى

على الصعيد الدولى

كتب المؤلف

(أ) كتب تاريخية: تاريخ ليبيا:

١ — السنوسية : نشأتها ونموها فى القرن التاسع عشر:

٢ — أحاديث من تاريخ ليبيا خلال القرنين ١٨ و ١٩

٣ — ليبيا قبيل الاحتلال الايطالى

٤ — وثائق تاريخ ليبيا

٥ — بدايات اليقظة العربية الحديثة فى ليبيا

(ب) كتب سياسية فكرية :

٦ — من المقاومة إلى الثورة الشعبية فى فلسطين

٧ — هذه الليلة الطويلة (مسرحية سياسية)

٨ — عبد الناصر والثورة العربية

٩ — ماذا بعد حرب رمضان .

١٠ — الحوار العربى الأوروبى . . وجهة نظر عربية .

هـذا الكتاب

كتاب « العرب وتحديات المستقبل » يتناول قضايا الثورة العربية على الصعيد القومى وعلى الصعيد الدولى ، كما بدت فى السنة الخامسة من رحيل عبد الناصر العظيم الذى قاد الثورة العربية فى فترة هامة من تاريخها . وقد ارتبطت جميع الدراسات التى يضمها هذا الكتاب بأحداث جرت فى وطننا العربى ، وكان كاتبها مشاركا فى هذه الأحداث .

والكاتب هو الدكتور أحمد صدقى الدجانى أحد رجال الفكر العربى المعاصر والأستاذ الجامعى وعضو المجلس المركزى بمنظمة التحرير الفلسطينية الذى جمع بين الإنشغال بالعمل العلمى والإنشغال بالعمل العام . وهو يتابع فى دراساته التى يضمها هذا الكتاب ما بدأه فى كتبه السابقة عن الثورة العربية والنضال العربى .



الثمن : ١٦٠ قرشاً مصرياً ١/٢ دينار كويتى
١٠ ليرة لبنانى